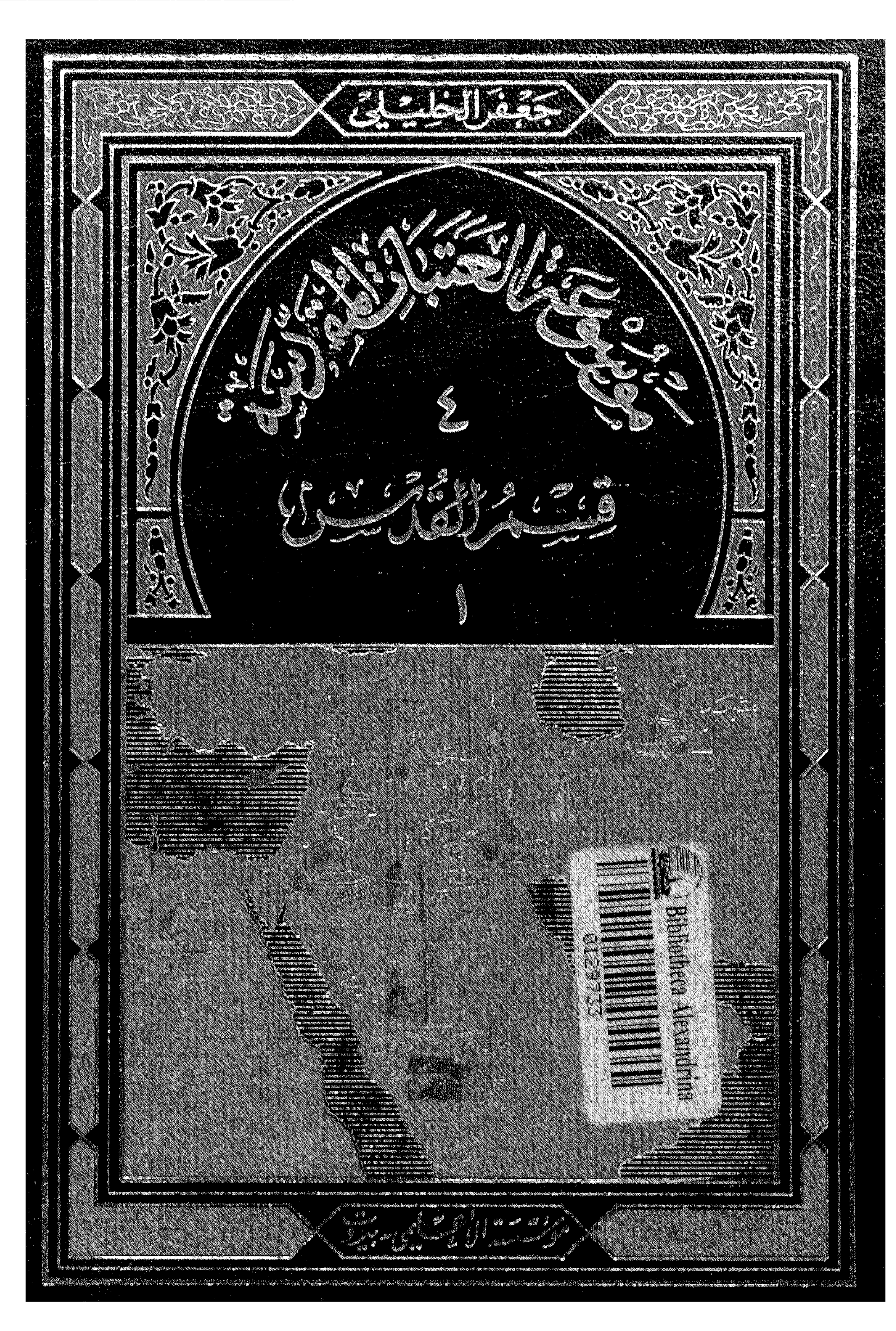

جعفر الخليلي
موسوعة العتبات المقدسة
٤
قسم القدس
١
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت







موسوعة العتبات المقدسة

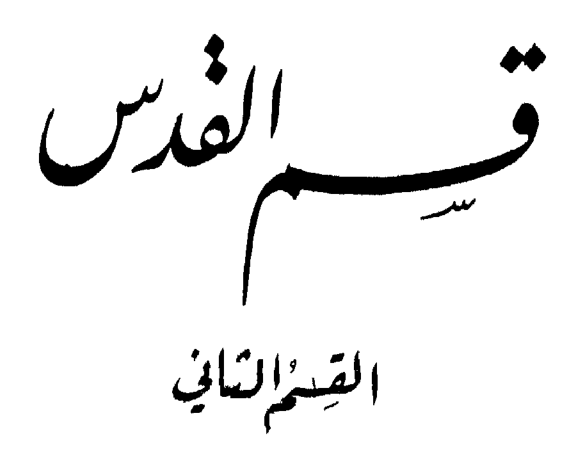
قسم القدس - ٤



موسوعة العتبات المقدسة

٤

الجزء الأول من



تأليف

جعفر الخليلي

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠

الارض المقدسة

في نظر الإسلام وعقيدته

كتبـــه

جعفر الخليلي



فلسطين

إلمامة موجزة بتاريخ فلسطين والقدس القديمة

حدودها وموقعها

اختلف المؤرخون في تعيين حدود فلسطين القديمة اختلافاً ربما كان كبيراً وليس من سبب في هذا الاختلاف الا التغييرات التي طرأت على هذه البلاد من جراء تغيير الزمن ، والنفوذ ، والاقوام ، ففلسطين القديمة كما وصفها جيمس هنري بريستد : هي الارض الواقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من بحر الروم ، وهي شقة من الارض كما يصفها ، واقعة بين البادية شرقاً والبحر غرباً ، طولها نحو ١٥٠ ميلاً ، ومساحتها نحو عشرة الآف ميل (١) .

أما ابن الاثير فيقول عنها انها الكورة المعروفة فيما بين الاردن وديار مصر وإنّ أمّ بلادها بيت المقدس (٢) .

ويقول ياقوت : انها آخر كور الشام من ناحية مصر ، وان من قصبتها البيت المقدس ، ومن مشهور مدنها عسقلان ، والرملة ، وغزة ، وأرسوف

(١) العصور القديمة – ص ١٥٢ مط الاميركية – بيروت .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير باب الفاء واللام .

وقيسارية ، ونابلس ، وأريحا ، وعمان، ويافا ، وبيت جبرين ، وقيل في تحديدها : انها اول أجناد الشام من ناحية الغرب ، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام اولها رفح من ناحية مصر، وآخرها اللجّون من ناحية الغور ، وزغر ديارقوم لوط . وجبال الشراة الى إيلة كله مضموم الى جند فلسطين(١).

وعند ابي الفدا ان فلسطين كورة كبيرة تشتمل على بيت المقدس وغزة ؛ وعسقلان(٢) .

وطبيعة فلسطين الجغرافية تختلف باختلاف مواقعها ، فالجزء الاكبر من فلسطين قاحل لا ينتج شيئاً . والقسم الجنوبي منها عبارة عن قطعة من البادية تمتد شمالاً حتى القدس ، آكام جافة جديبة مؤلفة من الحجر الكلسي ، اما الأودية الواقعة في شمال البلاد فهي ذات خصب وغلال وافرة ، والبلاد برمتها لا يقع فيها المطر صيفاً . ولا سقاية فيها فكل اعتمادها على امطار الشتاء ، ولذلك كانت غلاتها دون غلات سواها من البلدان التي ترويها امطار الصيف ، ولا موانىء في فلسطين الا في الجزء الشمالي منها ؛ وهذه كان قد استولى عليها الفينيقيون منذ عهد بعيد فامست البلاد منفصلة عن البحر ، بعيدة عنه ، ولم تساعدها مواردها الطبيعية على التقدم المادي ولا على انشاء قوة سياسية كالبلدان المتمدنة المجاورة لها كمصر وما بين النهرين ، وسوريا ، وفينيقيا (٣).

اسم فلسطين

أما من اين جاء اسم فلسطين ففيه اخبار كثيرة واغلبها يحتاج الى دليل علمي . وهي تلفظ بكسر الفاء ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره

---

(١) معجم البلدان — مادة فلسطين مط صادر ودار بيروت .

(٢) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين — احمد سامح الخالدي — وزارة الثقافة والاعلام الاردنية ص ١٧ .

(٣) العصور القديمة — جيمس هنري بريستد ص ١٥٢ مط الاميركانية ببيروت .

نون على ما اورد ياقوت وفي اعرابها اختلاف كبير عند العرب وزعموا أنها سميت بفلسطين نسبة لفلسطين بن سام بن ارم بن سام بن نوح ، وزعم الآخرون بل انها سميت باسم فلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح ، وفي كتاب ابن الفقيه على ما روى ياقوت انها سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان ابن حام بن نوح وقد نسبوا إليها فلسطيّ واستشهدوا بقول ابن هرمة .

كأس فلسطية معتقة شيبت بماء من مزنة السَبَل [١]

وتفننوا في اسباب التسمية وعزّ على نقلة مثل هذه الاخبار ان لا يكون لابن نوح الثالث (يافث) نصيب كنصيب اخويه في هذه التسمية فقالوا بل إنما سميت فلسطين نسبة لمن نزلها اول مرة وهو فلسطين ابن كيسوحين بن لقطين بن يونان بن يافث بن نوح [٢] .

واغلب الظن إن لم يكن من اليقين نظراً لبعض الدلالات التاريخية من الاثار ان شعباً من شعوب البحر المتوسط يعرف بالفلسطينيين هاجر من جزيرة (كريت) واستوطن فلسطين فسميت البلاد باسمه [٣] .

ونجد المؤرخين الذين ينسبون اسم فلسطين للشعب النازح الى هذه الارض يقولون بأنه شعب أفراده بحارة يضعون على رؤوسهم تيجاناً من الأسل مثل تيجان البحارة النورديين (الشماليين) .

وهذا الاهتمام بتاج الاسل نجده في تواريخ بعيدة وموغلة في القدم تحت مرقم نحات ومؤرخ الحضارة المصرية على جدران هيل (مدينتجو) [٤]

---

(١) معجم البلدان مادة (فلسطين) مط صادر ودار بيروت .

(٢) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – احمد سامح الخالدي – وزارة الثقافة الاردنية ص ١٨ .

(٣) العصور القديمة – جيمس هنري بريستد ص ١٥٦ مط الاميركانية بيروت .

(٤) اسطورة الشعب المختار – ترجمة الدكتور اكرم فاضل ص ٦ وزارة الثقافة والاعلام – بغداد .

وهذا الشعب النازح من جزيرة (كريت) كان نزوحه بعد مجيء الكنعانيين الى هذه الارض فشغل الساحل الجنوبي الغربي لفلسطين اي البقعة المحصورة من غزة الى يافا[١] .

أما فلسطين قبل نزوح هذه القبائل من البحر المتوسط اليها فقد كان باسم كنعان لذلك سمي سكانها القدماء بالكنعانيين وهي جزء من ارض الشام .

(١) بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية – المحامي حسين جميل ص ١٠ وزارة الثقافة والأعلام العراقية – بغداد .

تمثالان قديمان لرأسي فلسطينيين (كريتيين) وعلى رأسيهما التاجان الخاصان بهؤلاء الاقوام .





سكان فلسطين والقدس القدماء

والوقوف على تاريخ فلسطين القديمة من ارض الشام (ارض كنعان) لا يخلو من صعوبة ومشقة لقلة المصادر العلمية من الاثار التي تحكيها الابنية ، والألواح ، والرقائم ، والنقوش ، كالتي في الاقطار المجاورة لفلسطين من تاريخ الفراعنة ، والفينيقيين ، وآشور ، وبابل تلك الاثار الغنية بالمخطوطات المنقوشة على البردي والآجر ، وفوق المعابد وكثرة ما بقي سالماً منذ القرون القديمة من الاواني والادوات ، واسباب المعيشة التي توصل العلماء الى قرائتها واستقصاء ماهيتها ، حتى تم الوقوف على كثير من أحوال السكان في تلك الاصقاع ، وبدأت الحقائق تحل محل الشكوك وتطرد الأوهام في تاريخ الكثير من الاقطار والممالك .

أما فلسطين فقد كان نصيب المؤرخين فيها قليلاً من هذه الاثار التي يمكن منها تكوين فكرة علمية كاملة عن تاريخها القديم وعلى الأخص الموغل في القدم فلم يبق باليد الا التوراة ثم الآثار التي وجدت في بابل وآشور وفي آثار الفراعنة بصورة خاصة التي جاء فيها ذكر فلسطين وحوادثها ، والا بعض ما بقي من الابار واسس الجدران والكتابات والقبور في داخل فلسطين نفسها مما لا تفي بالغرض الكامل لتعطي فكرة كاملة غير مشوبة بالشكوك والظنون .

والتوراة مشحون بالكثير من القصص والاساطير والاخبار والكثير منها

مبالغ في روايته مما لا يصلح هنا الكثير منه ان يكون مصدراً علمياً كاملاً عند المؤرخين ومع ذلك فان المؤرخين الاكاديميين يرجعون الى التوراة باعتباره أقدم مصدر باليد فيأخذون منه ما لا يتنافى مع الدراسات المنطقية على قدر الامكان ويسندونها بما يعثرون عليه من الادلة الاثرية المادية التي يحصلون عليها داخل فلسطين او خارجها مما كشفت عنه التنقيبات في آشور وبابل، وفي تاريخ الفينيقيين والفراعنة بصورة خاصة واليونان والرومان والفرس وفي اصقاع فلسطين .

وفي عقيدة الاسلام « ان العقل ركن المعتقدات الاول فما اوجبه كان واجباً ، وما احاله كان محالاً . وما أجازه كان جائزاً » وهذا ما يتفق كل الاتفاق مع منطق الباحثين من المؤرخين الاكاديميين .

أما الذي يكاد لا يتسرب الشك اليه نتيجة الدراسات العلمية هو أن اكثرية سكان فلسطين الاوائل كانوا من (الساميين) الذين نزحوا من جزيرة العرب وكان قد خيم بعض هؤلاء الساميين في البادية بين العراق والشام. فالمقيمون منهم قرب الفرات كانوا يتسربون تدريجاً الى المدن المجاورة . فمن تحضر منهم هناك خدم دولتها في الحروب او غيرها مما يحتاج الى قوة بدنية ثم لا يلبث انيندمج في أهلها .

وكان سكان المدن يسمون أهل تلك البادية (آراميين) اي أهل الجبال ، وأهل ما بين النهرين (عمورو) او (مورو) اي أهل الغرب ، لأن بلادهم واقعة غربي الفرات .

وقد يراد با (لعمورو) أهل غربي الفرات من بدو وحضر الى البحر المتوسط ، ثم سموهم (عربي) او (عرب) ومعناها ايضاً في اللغة السامية الأصلية (الغربيون) وكانوا يسمون بلادهم (مات عربي) أي بلاد الغربيين او بلاد العرب [١] .

- (١) العرب قبل الاسلام – جرجي زيدان ص ٤٧ مط دار مكتبة الحياة – بيروت .

ويرى البعض من المحققين ان سكان ارض الشام القدماء التي تعتبر فلسطين جزءً منها كانوا يدعون (العمور اللودانو)[١] .

ولكن التاريخ لم يستطع ان يعين لنا بالضبط متى كانت هجرة هذه القبائل من جزيرة العرب الى هذه الاصقاع والى ارض الشام خاصة إنما يمكن حصرها بين ٣٥٠٠ — ٢٥٠٠ قبل الميلاد على أغلب الظن .

ومع كل ذلك فلم تكن فلسطين حين نزح إليها الساميون غير مأهولة ، فالرجوع الى ما هو معروف لدى المؤرخين للعصور التاريخية القديمة يدل على ان البلاد كانت آهلة بالسكان وان قاطنيها الأوائل كانوا قبائل من اشباه الرّحل[٢]

ويستدل من تاريخ فلسطين انها لم تكن ابداً من نصيب شعب واحد تجمعه جامعة من جوامع القومية ، وإنما كانت في جميع الأزمنة مزيجاً من الاعراق ، ومن الهجناء والمولدين المختلطين ، وكانت زقاقاً مقفلاً من الطراز الاول تنتهي لديه موجات المهاجرين المتعبين[٣] .

وبالاضافة الى ذلك فان لموقع فلسطين الجغرافي اهمية كبرى لاسيما ما يخص الاتجار وتبادل السلع والبضائع منذ قديم الزمان وكانت فلسطين لهذه الأسباب تؤلف مدينة وحضارة مزدهرة وتجمع من كل صوب ما تجمع من بدو ومن حضر يدخلها ويذوب فيها ، .

ويقول اندريه ايمار ، وجانين او بوايه ، في موسوعتهما الشهيرة : ان جوار البحر المتوسط ، وارتفاع سلاسل لبنان يطبعان بطابع خاص المنطقة التي هي امتداد لصحارى البلاد العربية نحو الغرب : فكنعان في الجنوب وسوريا في

(١) اسرائيل بنت بريطانيا البكر — محمد علي الزعبي ، ص ٩ مط الانصاف — بيروت معتمداً على كتاب (الاسلام والمسيحية في لبنان) .
(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل — تأليف المحامي هنري كتن : ترجمة وديع فلسطين ط ١ منشورات مكتبة لبنان — بيروت .
(٣) اسطورة الشعب المختار — ترجمة الدكتور اكرم فاضل — وزارة الثقافة والاعلام — بغداد .

الشمال ، وتشد هذه المنطقة ، الى هذه الصحارى صلة دائمة من حيث انها تتعرض لهجمات الرياح المحرقة المفاجئة ، ومن حيث انها تستهوي البدو الرحل وقد بلغتها منهم موجات متعاقبة ، وأقامت في أقسام كبيرة منها أحياناً ، فهي لهم الارض السعيدة بفضل امطارها وانهارها ، وينابيعها : فالزراعة ممكنة فيها ، وجبالها مكسوة بالاشجار ، ثم ان الطرقات المختلفة تؤدي اليها وتمرّ فيها ، وهي المسلك الطبيعي الوحيد بين مصر وجميع بلدان الشرق الادنى ، وقد يلفظ البحر فجأة القراصنة ورائدي المغامرات ، ولكن هذا البحر نفسه طريق يؤدي الى البلدان المختلفة ، وهنالك اخيراً طرق القوافل التي تصلها باسفل الفرات وبلاد ما بين النهرين ، فهي بلاد صغيرة اذن لا حدود طبيعية لها ، ولا وحدة فيها ، ولا ادارة مركزية تجمعها ، ومفترق مستطيل قسمته طبيعة الارض الى طرائد طويلة تتجه من الشمال الى الجنوب ، وهي الى ذلك مفتوحة امام كل سيطرة وتأثير وقد طمعت فيها كل الامبراطوريات العظيمة ، والجماعات البشرية التائهة التي رغبت في ان تقتطع فيها لنفسها مكاناً [١]

ومع كل ذلك المزيج والاختلاط من مختلف الشعوب العابرة والمستوطنة فان الطابع العام لسكان ارض كنعان (فلسطين) طابع سامي ، وقد تأثر بمختلف الحضارات فكانت له طبيعة ذات اون حضاري مكتسب من العراق ، ومن مصر ، وبلدان البحر الابيض المتوسط .

يقول جيمس هنري بريستد : ان اتجار فلسطين مع بابل علم الساميين الغربيين ــ اي سكان فلسطين ــ الكتابة المسمارية ، وكانت فلسطين مدخل الجسر الواقع بين آسيا وافريقيا ، فامتزجت فيها مدنيات مصر ، وبابل ، وفينيقية ، وبلاد إيجه ، وآسيا الصغرى باسلوب لا مثيل له في الشرق القديم .

وكانت السلع التجارية هي عنوان تلك المدنيات ، ودليل تغلغلها في الوسط الفلسطيني ، ولأن موقعها بين جارتيها القويتين : مصر والعراق جعلها معتركاً

---

(١) تاريخ الحضارات العام ــ ج ١ ص ٢٥٥ ــ منشورات عويدات بيروت .

حربياً قروناً عدة ، فقد استولت عليها مصر مئات السنين وبعد ذلك استولت عليها آشور . ثم تسلط عليها الكلدان ، وآخر الكل بسط يده عليها الفرس . وحين آل امرها الى العبرانيين لم يؤملوا ان يبقوا امداً طويلاً احراراً من الضغط الخارجي [١] ثم انتزعها الرومان واستولى عليها المسلمون العرب ، وقد ترك كل قوم فيها شيئاً من آثارهم خيراً كان أو شراً ، ليس في عهودها الاخيرة وانما في جميع عهودها القديمة .

الكنعانيون

وكان الكنعانيون اول شعب تميز عنصره وعرف نجاده بعد تلك القبائل السامية وما قبلها من سكان فلسطين الذين لا يعرف التاريخ عنهم شيئاً كثيراً والكنعانيون كما يقول رواة الاخبار ساميون واصلهم من اولاد (لاود) ابن سام ومن سلالة (عمليق) وهو ابو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام [٢] وكانت طسم ، والعماليق ، وأميم ، وجاشم ، وكانوا عرباً ، ولسانهم كان عربياً ، وهم اول من عرفهم التاريخ بعد السكان الذين كانوا يدعون با (لعمووا اللودانو) .

وفي نحو ألفي سنة قبل الميلاد شرع الكنعانيون يستوطنون السهول والبقاع الساحلية ، فانشأوا مدناً وقرى . واخذوا يعنون بتنمية ثقافتهم الخاصة ، وقد روت التوراة ان البلاد كانت تسمى (ارض كنعان) على ما ورد في سفر (العدد) ٣٤ : ١ و٣٥ : ١٠ . او بلاد الكنعانيين على ما ورد في سفر (الخروج) ٣ : ١٧ [٣] .

---

(١) العصور القديمة – ترجمة داود قربان ص ١٥٥ مط الاميركانية – بيروت .
(٢) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٧٨ مط صادر ودار بيروت – بيروت .
(٣) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تأليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ط ١ منشورات مكتبة الحياة – بيروت .

وقيل انما عرف الكنعانيون بهذا الاسم فلنسبتهم للارض التي سكنوها والمعروفة باسم (ارض كنعان) اي الارض الواطئة[1] .

وهنالك من يذهب الى ان نزول الكنعانيين بارض فلسطين كان قبل اكثر من ٣٠٠٠ سنة ، ويقول محمد علي الزعبي : واذا علمنا ان (نرام سين) الملك الاشوري غزا فلسطين في القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد فناوأته حكومتها العربية تحققنا أن العرب الكنعانيين هم اهل فلسطين منذ قرون لا نستطيع تحديدها[2] .

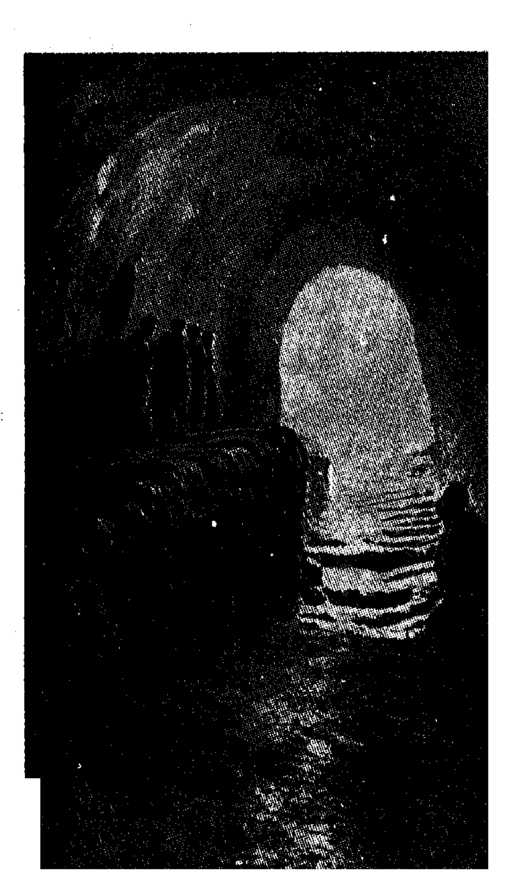
وما قيل عن حضارة الكنعانيين وكونها عصارة عدد من الحضارات قد قيل في ديانة الكنعانيين ، فديانتهم كانت مزيجاً من تأثيرات مختلفة اذ كانت ملتقى دينياً لمختلف الشعوب كما كانت ملتقى تجارياً .

العبرانيون

والعبرانيون ساميون نشأوا في الجزيرة وانتشروا كقبائل رحل بخيامهم ومواشيهم ، وكانت حياتهم حياة بداوة مطلقة ليس لها بالحضارة صلة او نسب ، ولا يعرف التاريخ كيف ومتى حل بعض هذه القبائل ارض مصر

(١) بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية – تاليف المحامي حسين جميل – وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ص ١٠ .

(٢) اسرائيل بنت بريطانيا البكر ص ٩ مط الانصاف – بيروت معتمداً على كتاب (الاسلام والمسيحية في لبنان) .



طريقة سحب المياه من الانفاق في عهد الكنعانيين

وكل ما عرف هو انهم عاشوا فترة من الزمن مستعبدين للطواغيت من الفراعنة ، وانهم لقوا في مصر الشيء الكثير من الاضطهاد حتى تسنى لهم ظهور النبي موسى فخرج بهم من مصر الى فلسطين .

وكان اول غزو العبرانيين لارض كنعان في نحو القرن الثاني عشر ق.م ، وحين دخل العبرانيون ارض كنعان وجدوا هناك حضارة ونظاماً وحياة لم يألفوها من قبل ، وكان الكنعانيون يقيمون في مدن آهلة بسكان يسودهم من النظام والاساليب ما يضمن لهم حياة سعيدة ، وكانت اغلب المدن الكنعانية مسورة بأسوار منيعة ليس من السهل الاستيلاء عليها ، وكانت حضارة الكنعانيين قديمة نشأت منذ الف وخمسماية سنة [1] من ظهور العبرانيين لذلك كانت المدن الكنعانية وعلى الاخص القدس (اورشليم) تهزأ بحملات العبرانيين ، ولهذا ظلت السيطرة على (القدس) نحو بضعة قرون غير تامة وليس القدس وحدها التي كانت تهزأ بحملات العبرانيين وانما الكثير من بقاع فلسطين وحتى السهول قد عجز العبرانيون عن السيطرة عليها وانتزاعها من يد الكنعانيين ، فلم يحدث قط ان اذعن الفلسطينيون للغزاة اذعاناً كاملاً اذ انهم استبقوا سيطرتهم مفروضة على سهولهم الساحلية الواقعة على طول البحر المتوسط [2] .

ويقول بريستد : ولا يخفى ان هذه المدن التي عجز مهاجموها من العبرانيين عن افتتاحها كانت ذات حضارة قديمة ومنازل متقنة ، فيها كثير من أسباب الراحة ، وحكومة ، وصناعة ، وتجارة ، وعلم ، ومعرفة بالكتابة ، وديانة حضارية اقتبسها اخيراً العبرانيون من مواطنيهم لان العبرانيين لم يستطيعوا ان يعيشوا

---

(١) العصور القديمة – جيمس هنري بريستد – ترجمة داود قربان ص ١٥٥ مط الاميركية .

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تاليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ط ١ منشورات مكتبة لبنان – بيروت ص ٣ .

بمعزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها ، لان الصناعة والتجارة كانت رابطاً قوياً بينهم ، وقد احدث هذا الامتزاج تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين واخراجهم من سكنى الخيام الى سكنى الدور والبيوت العامرة ، والباسهم الالبسة الزاهية حتى لم يعد بعد زمن تفريق الكنعانيين عن العبرانيين من حيث المظهر والعادات والمدنية سهلاً خصوصاً بعد امتزاج الكنعانيين بالعبرانيين بالزواج واختلاط الدم[١] .

ومرّ بعض الزمن دبّ فيه الضعف في حكام مصر فظهر اثر التأخر والانحطاط ، عليهم جلياً وذلك في نحو ١١٠٠ قبل الميلاد وكانت آشور حينذاك بمعزل عن التفكير في غزو الاقطار الغربية فكان ذلك وجهاً من وجوه حسن الحظ للعبرانيين اذ اتيحت الفرصة المناسبة لوقوع الحرب بين العبرانيين والكنعانيين استولى فيها العبرانيون على ممتلكات الكنعانيين ، ثم ظهر النبي داود ومن بعده سليمان فتمت السيطرة حينذاك للعبرانيين على القدس وسائر البقاع في تفاصيل يتحدث بها ويعللها التاريخ .

ودامت مملكة العبرانيين نحو قرنين ثم انقسمت الى مملكة اسرائيل في الشمال ، ومملكة يهودا في الجنوب ، وبتسمية هذا الاخير عرف اليهود وانتسبوا له .

الآشوريون

ونشب النزاع بين الاشوريين والمصريين في نحو سنة ٧٣٣ — ٧٢١ ق.م نظراً لكونهما القوتين العظيمتين المسيطرتين على واديين من اخصب اودية الدنيا عطاء وأوفرها حضارة فالآشوريون في وادي الرافدين ، والمصريون في وادي النيل فكان من مصلحة العبرانيين (الاسرائيليين) الانحياز الى المصريين على ما قدرت سياستهم واقتضى قربهم لمصر اكثر من قربهم للعراق ، فنقم

(١) العصور القديمة — جيمس بريستد — ص ١٥٥ مط الاميركانية .

عليهم الاشوريون واعدوا العدة لغزوهم في فلسطين والاستيلاء على حاضرتهم اورشليم (القدس) ، وكان على رأس الحملة التي جردت لغزو فلسطين الملك (سنحاريب) ملك اشور فانهار امامه العبرانيون ، وحاصر القدس وفتحها ، وسبا اليهود وفرض عليهم شروطاً قاسية وجزية كبيرة حتى اضطر اليهود الى قشر الذهب عن ابواب الهيكل وجدرانه وتسليمه للاشوريين[1]

وقد عاد الاشوريون الى بلادهم بعد ان كاد الطاعون يقضي عليهم ، ثم رجعوا بعد ذلك فاحتلوا فلسطين ودخلوا اورشليم واسروا ملكها (منسه) وسفّروه الى بابل وذلك في نحو سنة (٦٧٨ ق.م)[2] ثم اطلقوه بعد ذلك ورجع الى (اورشليم) وبنى سورها من جديد ، ثم ضعف شأن الاشوريينَ بعد ذلك وتخلوا عن البلاد .

الكلدانيون

واعقب الكلدانيون الاشوريين في السيادة على بابل وصار لهم شأن كبير وكان التنافس بينهم وبين المصريين مثلما كان على عهد الاشوريين ، ومرة اخرى انحاز الاسرائيليون الى المصريين بداعي المصلحة فجرد ملك الكلدانيين (نبوخذنصر) حملة كبيرة وقام بمهاجمة (اورشليم) واستولى عليها في نحو عام (٥٨٧ ق.م)[3] ، وقد قتل من اليهود خلقاً كثيراً ، وساق الكثير منهم أسرى الى بابل وعلى رأس الأسرى ملك اليهود (يهوياكين) وهدم اسوار المدينة وقلاعها وهيكلها ، وهكذا تم انقراض العبرانيين نهائياً كدولة ذات استيطان ، وذلك في نحو (٥٦٨ ق.م) على ما يعين بعض المؤرخين .

---

(١) الطريق الى فلسطين — محمد عنان ص ١٦٤ مط دار الكتب بيروت — ط ١ .

(٢) لقاء عند بوابة مندلبوم — احمد فوزي عبد الجبار ص ٢٣ — وزارة الثقافة والارشاد العراقية مط دار الجمهورية — بغداد .

(٣) الطريق الى فلسطين — محمد عنان ص ١٦٥ مط دار الكتب — بيروت .

عهد الفرس

وحين قضى الفرس على الكلدانيين واستولوا على بلاد بين النهرين وكان قد مرّ على تدمير القدس وسبي اليهود نحو سبعين سنة أعاد ملك الفرس (كورش) اليهود من سبيهم الى اورشليم التي كان قد استولى عليها ، فاعاد اليهود بناء الهيكل من جديد ، كما قاموا ببناء الاسوار حول اورشليم بأمر من ملك الفرس (دارا) ولكن اليهود لم يستطيعوا أن يستعيدوا سلطتهم ، ولا شيئاً من نفوذهم السابق ، اذ كانت دولتهم قد دالت في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

العهد اليوناني

واكتسح اليونانيون الفرس في عهد الاسكندر ودخلت مصر ومعظم بلاد الشرق تحت نفوذ اليونانيين في عصر الاسكندر ولما مات الاسكندر وتم اقتسام البلاد من قبل قواده كانت فلسطين من نصيب البطالسة ، وحاول اليهود مقاومة بطليموس الاول وعصوا عليه في (اورشليم) فساق بطليموس عليهم جيوشه وفتح المدينة ونكّل باليهود وارسل منهم نحو مائة الف اسير الى مصر وكان ذلك في نحو (٣٢٠ ق.م)

وفي سنة ١٦٨ ق.م استولى على (اورشليم) انطيوخوس الرابع ملك السلوقيين ، فتمرد اليهود من جديد على حكمه واستطاعوا بمساعدة (المكابيين) في شمال البلاد من استعادة اورشليم التي بقيت في حوزتهم حتى عام ٦٣ ق.م[1]

الحكم الروماني

وفي أعام ٦٣ ق.م استولى الرومان تحت قيادة (بومبيوس) على مدينة القدس وهدموها ، ولكن اليهود ناووه وتمردوا عليه فنكّل بهم وألغــى

---

(١) المصدر المتقدم .

(مجمعهم) وهدّم سور المدينة ثم جاء الحاكم (هيرودس) فاتخذ من اورشليم عاصمة له ؛ وقد عرف باهتمامه في الانشاء والتعمير لذلك ما لبث ان اعاد بناء المدينة من جديد واقام السور وانشأ العمارات . وتم له ان يقيم ثلاثة حصون فخمة ؛ وكان من اهم ما ذكر من تعميره وانشائه هو قيامه ببناء (الهيكل) واحيائه من جديد . وبناء القلعة الكائنة بباب الخليل ؛ واجرى الماء في القنوات وترك اثاراً كثيرة في القدس ؛ وقد ولد المسيح في آخر سنة من سني حكم (هيرودس) الذي نصبته روما ملكاً على اورشليم .

وقد كشف عالم آثار اسرائيلي النقاب اليوم عن اكتشاف مدينة عمرها (٢٠٠٠) ألفي سنة تحت مدينة القدس القديمة . وقد وصفت الحفريات التي قام بها الأثري المذكور بأنها اول محاولة لاكتشاف قدس ما قبل العهد

بقايا قصر الملك هيرودوس الكبير في السامرة



الميلادي ؛ اي المدينة التي اختفت عندما دمّر الرومان هيكل هيرودس عام ٧٠ ق.م.[١] .

وفي عام ٦٦ ب.م تمرد اليهود على الحكم الروماني فجرد (تيطس) حملة على المدينة وذلك في عام ٨٠ ب.م واستولى على (اورشليم) واحرقها عن آخرها ، ودمّر الهيكل . وشرد اليهود في ارجاء المعمورة .

ثم عاد الرومان فاحيوا المدينة من جديد وعمروها وجعلوا منها مدينة وثنية في عهد الامبراطور الروماني (هادريان) .

العهد المسيحي

وحين انتشرت المسيحية واعتنق الرومان ديانتها واصبحت المسيحية ديانة الدولة الرسمية وذلك في ٣٢٥ ب.م اعيدت المدينة الى سابق عهدها من البناء وزالت الانصاب الوثنية .

وفي عام ٦١٤ ب.م غزا لاكاسرة من الفرس ممالك الرومان واستولوا على فلسطين واحتلوا حاضرتها (اورشليم) وفتكوا بسكانها وهدموا كنيسة القيامة ثم استطاع امبراطور الرومان (هرقل) من مهاجمة الفرس وانتصاره عليهم ، واستعادة فلسطين منهم .

وفي عهد المسيحية تجددت الشعائر الدينية فبنى الامبراطور قسطنطين الاول كنيسة القبر المقدس . وأنشأت امه كنيستين . هما كنيسة الميلاد في بيت لحم . وكنيسة القيامة في القدس . وبدأت فلسطين تجتذب وفود الحجيج المسيحيين ، كما اصبحت مركزاً لحياة النساك والانخراط في سلك الرهبنة[٢] .

---

(١) جريدة الحياة البيروتية العدد ٧٢٧٠ في ٢٤ شباط ١٩٧٠ .

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل – تأليف المحامي هنري كتن – ترجمة وديع فلسطين ص ٣ مكتبة لبنان ط ١ بيروت .

العهد الاسلامي

وفي سنة ١٥ للهجرة وقبيـــل ١٦ للهجرة اي فيما يتفق وسنة ٦٣٦ للميلاد تم احتلال فلسطين من قبل جيوش المسلمين العرب ودخلوا (القدس) بعهد شريف عهد به الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لاهل ايلياء اي (القدس) الذي سيأتي ذكره فيما بعد .

الأرض المقدسة

والتاريخ الاسلامي يعنى عناية خاصة بالارض المقدسة ويعتبر تقديسها ركناً من اركان معتقداته لانها موطن الانبياء وموضع ظهور نبوتهم ودعوتهم الى التوحيد ، والصلاح ، ونشر الخير وسائر المبادىء التي ايدها الاسلام واتم الدعوة لها وختم بها النبوّة ، واختلف مورخو الاسلام في تحديد هذه (الارض المقدسة) ولكنهم اتفقوا جميعاً على ان حاضرة هذه الارض هي مدينة القدس ، عاصمة تلك الدعوات المتتالية التي بشر بها الانبياء ، ولذلك كانت القدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين .

ولقد حدد القاضي مجير الدين الحنبلي الارض المقدسة ، فقال :

تحدها من القبلة : ارض الحجاز ، وتفصل بينهما جبال الشورى (الشراة) ومن الشرق من بعد دومة الجندل برية السماوة الممتدة الى العراق ، ومن الشمال مما يلي الشرق نهر الفرات ، ومن الغرب بحر الروم ، ومن الجنوب رمل مصر والعريش ، ثم يليه تيه بني اسرائيل وطورسيناء .

ومن هذا التحديد يستخلص ان الارض المشمولة بالقدسية لنزول الانبياء فيها وبث دعوتهم بها ، واتخاذها مدفناً لهم هي ارض واسعة شاسعة لا تقتصر على العاصمة (القدس) وضواحيها واطرافها وانما تشمل اغلب المدن التي يشملها اسم فلسطين ان لم تكن كل مدنها بموجب هذا التحديد .

ويحدد القاضي مجير الدين الحنبلي وهو من ابناء القرن التاسع (القدس) . في ذلك القرن بقوله :

اما الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفاً مما يلي القبلة ويطلق عليه (عمل القدس الشريف) ويسوغ لقضاة القدس الحكم فيه فمن القبلة (عمل الخليل) ومن الشرق : نهر الاردن ، ومن الشمال : مدينة نابلس ، ومن الغرب : الى ما يقارب مدينة غزة [١]

وتستخلص عقيدة الاسلام بقدسية الارض المقدسة من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ومما روى الخلفاء والصحابة والأئمة ، ولمكانة هذه الارض وعلى الاخص (القدس) التي سيأتي الحديث عن مكانتها في الاسلام وفي عقيدته جازت المبالغات والاساطير في الروايات ، واستسيغ ما لم يستسغ في نقل الرواية والاحاديث سواء عن تلك التربة المقدسة او ساكنيها او الانبياء الذين بشروا بالدين والصلاح ، والخير فيها ، اما الشيء الذي لا جدال فيه فهو ان الاسلام يعتبر فلسطين وحاضرته القدس ركناً من اركان معتقداته التي تستلزم تقديسها بصفتها مهبط الانبياء الذين نزلوا في فلسطين وايمان الاسلام بما جاء به هؤلاء الانبياء ايماناً مطلقاً بصفتهم رسل الله وأنبياءه المبشرين بالحق .

لقد جاء في الروايات انه سئل رسول الله (ص) عن اكرم الناس قال : اتقاهم لله ، فقالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فاكرم النـــاس يوسف الصديق فانه نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله ، فهؤلاء الاربعة وهم : ابراهيم الخليل وولده اسحاق ، وولده يعقوب ، وولده يوسف ، قبورهم في فلسطين وفي محل واحد ، وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف ، والمقصود بالكرم هنا هو النقاء والطيب وما شاكل كما يشمل السخاء والجود وقد عرف بهما ابراهيم الخليل بصورة خاصة بين اقدم الانبياء .

---

(١) اهل العلم والحكم في ريف فلسطين – احمد سامح الخالدي – وزارة الثقافة والاعلام، الاردنية – عمان .

والى جانب هولاء الانبياء قد دفنت زوجاتهم المعروفات بالصلاح عند الاسلام ، وقد دفن هولاء الانبياء وزوجاتهم في مغارة ذكر خبرها الرواة من المسلمين ومن غير المسلمين من اهل الكتاب .

وروى الطبري ان سارة زوجة ابراهيم قد ماتت على ما قيل بقرية الجبابرة من ارض كنعان في حبرون فدفنت في مزرعة اشتراها ابراهيم[١] وقد دفن ابراهيم في هذه المزرعة ايضاً .

فأول من دفن اذن في هذه المغارة كانت سارة زوجة ابراهيم ثم دفن فيها ابراهيم الخليل ، ثم ربقة زوجة اسحاق ، ثم اسحاق ، وقد مات اسحاق بالشام ودفن عند ابيه ابراهيم[٢] ثم دفن بعده في المغارة يعقوب ، وتقول الاخبار ان يعقوب هذا هو المعروف باسرائيل ، وتزعم انه هرب خوفاً من اخيه عيص (عيسو) الى خاله ، وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي (اسرائيل) ! وكان قد نزل الشام ومات ودفن عند قبر ابيه وجده[٣] ثم دفنت (ليقا) او (ليعا) زوجة يعقوب ويقال لها (ايليا) ايضاً .

---

(١) تاريخ الامم والملوك – الطبري ج ١ ص ٢١٦ مط الاستقامة .
(٢) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٢٧ مط صادر ودار بيروت – بيروت .
(٣) المصدر المتقدم .

احد مداخل مدفن النبي ابراهيم وساره واسحق وربقة ويعقوب وليقا في حبرون (الخليل)

واغلقت المغارة دون الآخرين من اولاد يعقوب والعيص (عيسو) واخوته ، ثم علّم من الخارج على كل قبر برمز يشير الى قبر كل واحـد وبقيت المغارة مغلقة دون ان يصل اليها احد حتّى جاء الروم فاقاموا كنيسة هناك، واصبحت هذه القبور مزاراً .

وحين جاء الاسلام هدّم المسلمون تلك الكنيسة (١) وشادوا محلها هذا الضريح الذي يقوم اليوم على ما شيد المسلمون في (الخليل) من قبل وقد جرى فيه تجديد وتعمير في كل فترة من الزمن .

وكانت مدينة (الخليل) تسمى (حبرون) قبل دفن الخليل فيها ، وقيل في وصفها انها قرية بالبيت المقدس ، ويقال لها حبرى أيضاً ، وروي عن كعب الحبر على ما ذكر ياقوت الحموي ان اول من مات ودفن في حبرى كانت سارة زوجة ابراهيم ، وان ابراهيم خرج يطلب موضعاً لقبرها فقدم على (صفوان) وكان على دينه وكان مسكنه ناحية (حبرى) فاشترى الموضع منه بخمسين درهماً ، فدفن فيه سارة ، ثم دفنه ودفن اولاده بعده وبنى سليمان حول هذه القبور حيراً ، ثم اضاف ياقوت قول الرواة على اختلاف رواياتهم والمورخين في اخبارهم فقال اعتماداً على رواية العقيدة لا التاريخ بأن في هذه المغارة قبر ابينا آدم كذلك !! وخلف هذا الحير الذي اقامه سليمان قيل ان هناك قبر يوسف الصديق جاء به موسى من مصر وكان مدفوناً في وسط النيل فدفن عند آبائه ، وعن يعقوب رويت مثل هذه الرواية فقيل ان يعقوب قد مات بمصر فنقل يوسف جثمانه ودفنه حيث أبيه اسحق ،

وروى ياقوت بعد ذلك ان تميم الداري قدم على رسول الله ومعه قومه وسأله ان يقطعه (حبرون) فاجابه وكتب له كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله (ص) لتميم

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل – تأليف القاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٤١ .

الداري واصحابه ، اني أعطيتكم بيت عينون وحبرون ، والمرطوم ، وبيت ابراهيم بذمتهم وجميع ما فيهم ، عطية بتّ ، ونفّذت ، وسلّمت ذلك لهم ولاعقابهم بعدهم ابد الآبدين ، فمن آذاهم فيه آذى الله » شهد بذلك ابو بكر ابن ابي قحافة ، وعمر ، وعثمان ، وعلي بن ابي طالب » [1] .

ولا حاجة للتدليل على ضعف هذه الرواية ، لأن حبرون يومذاك لم تزل بيد الروم ، ولم يستول الاسلام عليها بعد فكيف يمكن قطعها لتميم الداري؟ ولأن الشهود قد جاء ترتيبهم كما لو كانوا خلفاء بعد رسول الله ، فكيف وقعت هذه المصادفة ؟

والمؤكد ان هذه القبور قد عين محلها قبل ظهور الاسلام بزمن بعيد ، وقد قدست من قبل اليهود ، والمسيحيين ، وعني بها الرومان في ايام حكمهم عناية كبيرة بالاضافة الى عنايتهم ببيت المقدس .

ومما يذكر عن قدم معرفة الناس بهذه القبور ما روي عن محمد بن بكران ابن محمد خطيب مسجد الخليل في اوائل القرن الرابع الهجري قال سمعت محمد بن اسحاق النحوي يقول : خرجت مع القاضي ابي عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم الخليل عليه السلام فاقمنا به ثلاثة ايام ، فلما كان في اليوم الرابع جاء الى النقش المقابل لقبر (ريقة) زوجة اسحق عليه السلام فأمر بغسله حتى ظهرت كتابته . وتقدم الي بان أنقل ما هو مكتوب في الحجر الى درج كان معنا على التمثيل (اي رسمه على الورق كما هو) فنقلته ، ورجعنا الى الرملة فاحضر اهل كل لسان ليقرأه عليه فلم يكن فيهم أحد يقرؤه . ولكنهم اجمعوا على ان هذا بلسان اليوناني القديم ، وانهم لا يعلمون انه بقي احد يقرؤه غير شيخ كبير (بحلب) فعمدوا إلى احضاره ، فلما حضر عنده أحضرني فاذا هو شيخ كبير ، فأملى علي الشيخ المحضّر من حلب ما نقلته في الدرج على التمثيل اوله :

---

(١) معجم البلدان – مادة حبرون – مط دار صادر ودار بيروت – بيروت .

بسم إلهي إله العرش القاهر الهادي الشديد البطش العليم الذي لا يحد ، هذا قبر ابراهيم الخليل ، والعلم الذي بحذائه من جهة الشرق قبر زوجته ساره والعلم الاقصى الموازي لقبر ابراهيم الخليل قبر يعقوب . والعلم الذي يايه من الشرق قبر اليا (ليقا) — وفي معجم البلدان (ليعا) زوجة يعقوب وقد كتبه العيص (عيسو) بخطه ![1] والعيص هو اخو يعقوب ومنافسه . واكتسب البناء المنسوب لسليمان المحيط بقبر ابراهيم صفة المسجد واطلق البعض على ضريح ابراهيم صفة الحرم فسموه حرماً .

ولفضيلة هولاء الانبياء وابيهم ابراهيم الخليل عند الاسلام مراسيم وآداب خاصة يقوم بها المسلمون ، وادعية وصلوات ، وقد وردت نصوص قديمة لما يستحب ان يقوله الزائر ويدعو به في مقام ابراهيم .

وجاء في كتاب (الانس الجليل) ان كل ما ذكره العلماء رضي الله تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وآله فهو سائغ في حق خليل الله ابراهيم .

ولم يقتصر التقديس عند الإسلام على المدفونين في هذه المغارة بل ان القرآن الكريم تناول عدداً غير قليل من هؤلاء الانبياء الذين ضمتهم فلسطين قاطبة والقدس بصورة خاصة نورد هنا بعض ما ورد عن بعض هولاء في نصوص القرآن الكريم توضيحاً للاسباب التي جعلت المسلمين يطلقون على فلسطين اسم (الارض المقدسة) وجعلت لهذه الارض تلك المكانة المقدسة في نظر الاسلام وعقيدته بالنظر لمكانة هولاء الرسل والانبياء عند الله تعالى والتي يشير اليها القرآن الكريم كتاب الله ودستور المسلمين .

ابراهيم الخليل

قال الله جل وعلا في محكم كتابه عن ابراهيم الخليل :

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل — للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٤٢ — ٤٣ .

« سلامٌ على إبراهيم ، كذلك نجزي المُحسنين ، إنّه من عبادنا المؤمنين »

وقال « ولقد آتينا ابراهيمَ رشده من قبلُ وكنّا به عالمين »

وفي آية اخرى جاء « واذكرْ في الكتابِ إبراهيمَ إنّه كانَ صدّيقاً نبيّاً »

وفي آية اخرى « وتلك حُجّتنا آتيناها ابراهيمَ على قومه نرفعُ درجاتٍ من نشاء إنّ ربّك حكيمٌ عليم » .

وفي سورة الصافات جاء « وإنّ من شيعته لأبراهيمَ اذ جاءَ ربّه بقلبٍ سليم » .

وجاء في آية اخرى « قل إنني هداني ربّي الى صراطٍ مستقيم ديناً قيّماً ملّة ابراهيمَ حنيفاً وما كانَ من المشركين » .

وقال : « إن ابراهيمَ كانَ أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراطٍ مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنةً وانه في الآخرةِ لمن الصالحين » .

وقد جاء ذكر ابراهيم في القرآن الكريم ٦٣ مرة ، فهو ابو الانبياء ومن اوائل المبشرين بالله ووحدانيته وهو الى جانب ذلك قد لقي من الاذى والعذاب في محاربته للاصنام وتثبيت الدعوة الى وجود الله ما لقي في سبيله ، وهو بعد ذلك من السخاء واكرام الضيف والشهامة ما تحدثت به الكتب .

يقول عبد الوهاب النجار : ان ابراهيم كان مضيافاً ولا يرضى لاضيافه بما يقيم اودهم ، بل كان يكثر لهم من القرى ، لأن ثلاثة أضياف لا يقدرون على التهام عجل سمين ، بل هو يفضل عنهم وكان يكفيهم عناق صغير (المعزى الصغيرة دون السنة من العمر) او بعض الفطير يقدم اليهم ، ولكنه اظهر حفاوة هونت عليه ان يبذل من ماله كل كريم ولا يفعل ذلك الا الكريم .

ويقول : وها اناذا استطرد لكم حكاية قرأتها في بعض الكتب العبرية الادبية وهي ان ابراهيم نظر الى البرّيّة يوماً فرأى رجلاً قد بلغ من الكبر عتيا يمشي وفي

يده عكازته ، فقام واستقبله واضافه وقدم له طعاماً فلما طعم الرجل مع ابراهيم قال ابراهيم : هلمّ نشكر الله الذي اطعمنا ورزقنا هذه النعم ، ولكن الرجل أبى وقال : لا أعرف الله الذي تقوله ، وانما اشكر إلهي الذي في بيتي — يعني صنمه — فغضب ابراهيم وطرد الرجل ، فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلاً :

ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ وحباه بجلائل النعم وأطال عمره وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده ولا يؤدي شكر شيء من نعمه عليه ، ومع اصراره على الكفر وتماديه في الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصلة ، وأنا لأني أطعمته مرة واحدة وخالف مشورتي في عباد الله اطرده ، وأسف لذلك أسفاً شديداً (١)

لوط

ولوط هو ابن اخي ابراهيم ، آمن بعمه وبشّر بدينه وفي ذلك تقول الآية الشريفة :

« فآمنَ لوطٌ وقال إني مهاجرٌ الى ربّي » .

وهاجر مع عمه ابراهيم فجاءت الآية الكريمة :

« ونجّيناه ولوطاً الى الارضِ التي باركنا فيها للعالمين » .

وفي سورة الشعراء « كذّبت قوم لوطٍ المرسلين ، إذ قالَ لهم أخوهم لوطٌ ألا تتقون ، إني لكم رسولٌ أمين ، فاتقوا الله وأطيعون » وما أسألكم عليهِ من أجرٍ إن أجريَ الا على ربّ العالمين » .

وفي آية اخرى وقد قال لوط بعد أن رأى إسراف قومه في المنكر :

« ربّ نجّني وأهلي مما يعملون ، فنجيناه وأهله اجمعين »

---

(١) قصص الانبياء — عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ١١٧ .

وجاء في سورة التحريم : « ضربَ اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدينِ من عبادِنا صالحين .. الخ »

وورد ذكر لوط في ٢٧ موضعاً من القرآن الكريم .

وكان لوط قد نزل سادوم وعامورة في الاردن بعد ان فارق عمه ليبشر وينذر ، وكان قومه يأتون المنكر كما يصف القرآن الكريم ويشرح المفسرون ، ولم تفد معهم مواعظ لوط وارشاده ، فنزل عليه ذات يوم ثلاثة من الملائكة ضيوفاً وهو لا يعلم انهم من الملائكة كما تقول التفاسير ، لقد نزلوا عليه لكي ينزلوا على قومه العذاب ، فتعرض بهم قوم لوطٍ وطلبوا من لوط تسليمهم ضيوفه ليفسقوا بهم فقال لهم :

« ... يا قوم هولاء بناتي هنَّ أطهرُ لكم فاتقوا اللهَ ولا تخزونِ في ضيفي ، أليسَ منكم رجلٌ رشيد » .

وهنالك كشف الملائكة عن انفسهم و

« قالوا يا لوطُ إنّا رسلُ ربّك لن يصلوا اليكَ فأسرِ بأهلك بقطعٍ من الليل .. الخ » .

وفي عرض لوط بناته على القوم في سبيل حفظ كرامة ضيوفه صورة من اروع صور السخاء والنبل والشهامة والايمـــان، وكانت هذه الصفة من اجلى واحلى مـــا اتصف به لوط بين الانبياء .

اسحق ويعقوب

ومن انبياء الارض المقدسة كان اسحاق وكان ابنه يعقوب، وقد خصهما الله في كتابه العزيز بالتعزيز فورد ذكر اسحق ١٦ مرة في القرآن الكريم ، وورد ذكر يعقوب ١٠ مرات فضلاً عن سرد قصتهما . فقد جاء في القرآن الكريم :

« وبشّرناه باسحقَ نبياً من الصالحين — اي بشرنا إبراهم — وباركنا

عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » .

وقوله تعالى عن سارة « فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب »

وجاء في قوله تعالى لابراهم :

« ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاً هدينا »

ثم قوله تعالى لابراهيم ايضاً :

« ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيًا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا »

ومن فضائل يعقوب شدة الايمان بالله وقد تجلى ذلك حين أنهى له اولاده خبر افتراس الذئب أعز ابنائه اليه وهو يوسف حتى قال لهم وهو يحس ان الفتك به انما جرى من قبلهم وليس من الذئب :

« بل سولت لكم أنفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

وحين ووجه يعقوب باحتجاز ابنه بنيامين شقيق يوسف من لدن عزيز مصر واحتمال ضياعه كما ضاع اخوه يوسف لم ييأس من رحمة الله بل قال :

« انما اشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

يوسف الصديق

قال الله تبارك وتعالى في ابراهيم :

« ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود ، وسليمان ، وايوب ، ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين » .

وقال الله يخاطب يوسف :

« وكذلك يَجتَبيكَ رَبُّك ، ويُعلِّمك من تأويل الأحاديث ويُتمّ نعمته عليكَ وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويكَ من قبل ابراهيمَ واسحاقَ ، ان ربّك عليمٌ حكيم » .

وخص الله يوسف بقوله :

« ولما بلَغ أشده آتيناه حُكماً وعِلماً وكذلك نَجزي المُحسنين » .

وقوله تعالى :

« وكذلك مكنّا ليوسفَ في الارضِ يتبوّأ منها حيثُ يشاء نُصيبُ برحمتنا من نشاءُ ولا نَضيعُ أجرَ المُحسنين » .

وقوله تعالى :

« ولأجرُ الاخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

وقد ورد ذكر يوسف في ٢٦ موضعاً من القرآن الكريم .

ومن اجلى صفات يوسف الأمانة والعفة التي وقفته مثل ذلك الموقف المشرف وهو شاب في ريعان الشباب وغضارة الفتوة من زليخا الملكة الجميلة التي ضرب بجمالها اروع الامثال وكانت قد اختلت به وراودته عن نفسه كما تصف الآية الكريمة :

« وراوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسِه وغَلّقتِ الابوابَ وقالتْ هيتَ لك . قالَ معاذَ الله انه ربّي — يريد به زوجها — أحسنَ مثوايَ إنه لا يُفلح الظالمون ، ولقد همّتْ به وهمّ بها لولا ان رأى برهانَ ربّهِ كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاءَ انه من عبادِنا المخلصين »

وللامام الفخر الرازي كلمة قديمة أوردها في تفسيره ، خلاصتها على ما جاء في (قصص الانبياء) ان يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله : « إنّه من عبادِنا المُخلصين » وشهد الشيطان ببراءته بقوله : « فَبِعزّتِك

لأغوينّهم أجمعين الا عبادك منهم المُخلصين » وشهد ببرائته الشاهد من اهل العزيز اذ قال : « إن كانَ قميصُه قُدّ من قُبل فصدقت وهوَ من الكاذبين ، وإن كان قميصُه قُدّ من دُبُر فكذبَتْ وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصَه قدّ من دُبُرٍ قالَ إنه من كيدكُنّ ان كَيدَكُنّ عظيم ، يوسفُ أعرِضْ عن هذا ، واستغفري لذَنبِك إنك كنتِ من الخاطئين » وشهدت ببرائته النسوة اللاتي قطعنّ ايديهن بقولهن « ما علمنا عليه من سوءٍ » وشهدت ببرائته زوجة العزيز بقولها « الآنَ حَصْحَصَ الحقّ ، أنا راودتُه عن نفسِه وانه لمن الصابرين » .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار : ان قصة يوسف مورد غزيرِ المادة لمن يريد ان يستنبط الاخلاق الفاضلة الطاهرة ويشرح الاستقامة على المبادىء الحقة واثرها في النفس ، وهي موضع درس عميق في علم النفس ، ولا يكون العالم النفسي مسرفاً إذا وضع في الاخلاق وعلم النفس كتاباً كبيراً وافياً مرجعه فيه (سورة يوسف) .

والى جانب العفة التي اتصف بها يوسف فقد اتصف بالحلم والغفران اذ قابل ذنب اخوته الذين نكلوا به وألقوه في غيابة الجب واتهموه واتهموا شقيقه (بنيامين) بالسرقة حين جاؤوه يستغفرونه قائلين : « ... تاللهِ لقد آثرك اللهُ علينا وإنّا كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليومَ يَغفر اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين » .

موسى وهارون

ومن انبياء الله الذين كانت الارض المقدسة منبتاً لدعوتهم موسى بن عمران واخوه هارون فقد جاء في القرآن عن موسى :

« وأوحينا الى أمّ موسى أن أرضِعيه فاذا خفتِ عليه فألقيهِ في اليمّ ولا تخافي ولا تحزَني إنّا رادّوه اليكِ وجاعلوه من المرسلين » .

وفي آية أخرى :

« ولما بلغ أشُدَّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نَجزي المُحسنين »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم :

« فلبثتَ سنينَ في اهل مدينَ ثم جئتَ على قَدَرٍ يا موسى ، واصطنعتُكَ لِنفسي » .

وفي موضع آخر من الآيات جاء عنه : .

« وآتينا موسى الكتابَ وجعلناه هدىً لِبني اسرائيلَ ألاّ تتّخذوا من دُوني وكيلاً ذُرّيةَ منْ حملنا معَ نوح إنه كانَ عبداً شَكُورا » .

وجاء ذكر موسى في كثير من المواضع الاخرى منفرداً ومع اخيه هارون كما في الآية الكريمة :

« ولقد منّنا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومَهما من الكربِ العظيم »

« وآتيناهما الكتابَ المُستبين ، وهديناهما الصراطَ المُستقيم وتركنـــا عليهما في الآخرين ، سلامٌ على موسى وهارون ، إنّا كذلك نَجزي المحسنين انهما من عبادِنا المؤمنين » .

وفي آية اخرى قول الله تعالى في موسى وهارون :

« واذكر في الكتابِ موسى إنّه كان مُخلصاً وكانَ رسولاً نبيّا ، وناديناهُ من جانبِ الطُورِ الأيمن وقرّبناه نجيّا ، ووهبنا له من رَحمتِنا أخاه هارون نبيا » .

وفي موضع آخر من الآيات جاء ذكر النبيين موسى وهارون :

« إذهبْ الى فرعونَ إنه طغى ، قالَ رَبِّ اشرحْ لي صدري ، ويسّرْ لي أمري ، واحلُلْ عُقدةً من لساني يفقهـــوا قولي ، واجعلْ لي وزيراً من أهـــلي هارونَ أخي اشدُدْ بـــه أزري ، وأشركهُ في أمري ، كي نسبّحكَ كثيراً ، ونَذكُركَ كثيراً ، إنّك كنتَ بنا بصيراً ، قالَ قد أوتيتَ سؤلَكَ يا موسى » .

هل كان موسى مصرياً

نشرت جريدة الاهرام بعددها الخاص في ١٠ مايو سنة ١٩٣٩ خبراً لمراسلها في لندن نقله الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الانبياء) جاء فيه :

موسى عليه السلام : هل كان مصريـــاً

لندن في ٩ مايو — لمراسل الاهرام — اشارت جريدة (نيوز كرونيكل) الى الطبعة الالمانية التي نشرت في آمستردام لكتاب (موسى والتوحيد) من تأليف الاستاذ (سيجموند فرويد) من علماء تحليل النفس المشهورين ، ومما قالته الجريدة : ان اهم آراء الاستاذ (فرويد) في هذا الصدد قوله : ان النبي موسى لم يكن يهودياً ، بل كان مصرياً من اتباع (إخناتون) وهو يعتقد — اي فرويد — ان اليهودية والمسيحية ، اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

وقالت الاهرام : وسننشر الترجمة الانكليزية لهذا الكتاب يوم ٢٦ مايو الحالي[1] .

وردّ على هذا القول بعض العلماء كان منهم الاستاذ منصور وهبه ، والدكتور هلال فارحي ، ونوقش رأي فرويد فيما يتعلق بنسب موسى وفيما يتعلق باليهودية والمسيحية وكونهما قد اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

والمعروف عند المتتبعين والباحثين هو ان اخناتون لم يكن من عباد الشمس كما يقول فرويد وانما كان موحداً يؤمن بالاله الواحد وانه كان يعتبر الشمس من اكبر آيات الله ويتخذها وسيلة الى الله تعالى وهذا ما استدل عليه من الآثار وعلى هذا فلن يكون هنالك خلاف في العقيدة بين اخناتون وبين موسى الا في تقديس الوسيلة وهي الشمس على ما نرى .

---

(١) قصص الانبياء — للشيخ عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ١٥٥ .

ومن اشهر ما اتصف به موسى وهارون هو الجهاد المستمر في سبيل الدعوة للتوحيد وعبادة الله سواء يوم كان بمصر او يوم حل بفلسطين وهو يدعو بني اسرائيل الى دين الحق وهم يتمردون عليه حتّى اتخذوا عبادة العجل وحتّى اكثروا عليه من الحجج والمقترحات والطلبات فقال :

« ربِّ اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرقْ بيننَا وبين القوم الفاسِقين »

ومن اشهر ما اتصف به موسى اخلاصه في العمل ومراعاته العهود ومن ذلك كان عهده في خدمة (شعيب) وقضاء الأجل الذي بينه وبين شعيب وزاد على ذلك رعاية منه لشيخ كبير ليس له من ناصر وقريب .

داود

ومن انبياء الارض المقدسة كان داود وقد جاء ذكره في ١٦ موضعاً من القرآن الكريم : قال الله تعالى :

« ومن ذريّته داودُ وسليمانُ أولئك الذينَ هدى اللهُ فَبِهداهُم اقتَدِهْ »

وجاء في آية أخرى :

« واذكر عبدنا داودَ ذا الأيدِ إنّه أوّاب ، إنّا سخّرنا الجبالَ معه يُسبحّنَ بالعشي والإشراق ، والطيرُ محشورةٌ كلٌّ له أوّاب ، وشَدَدنا مُلكَه ، وآتيناهُ الحكمةَ وفَصلَ الخطاب » .

كذلك جاء ذكره في آية اخرى :

« ولقد فضّلنا بعضَ النبيينَ وآتينا داودَ زبورا » .

والزبور عبارة عن قصائد واناشيد تتضمن التسبيح لله وحمده والثناء عليه والتضرع له .

ومن اشهر ما اتصف به داود انه جزأ ازمانه يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوماً للوعظ ، ويوماً لخاصة نفسه ، ثم انه عرف بعد ذلك بالحكمة كما جاء

في الآية الكريمة : « وشددنا مُلكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » وفي الآية الكريمة « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين » .

وهو بعد ذلك كان معروفاً بحسن الصوت ورخامته وحسن الانشاد .

سليمان

وجاء في القرآن الكريم عن سليمان :

« وَوَهبنا لداودَ سليمانَ نعم العبدِ إنّه أوّاب » .

وفي موضع آخر :

« إعملوا آلَ داودَ شُكراً وقليلٌ من عباديَ الشكور » .

وفي موضع آخر على لسان سليمان :

« وقالَ ربّي أوزِعني أن أشكرَ نِعمتكَ التي أنعمت عليّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادِكَ الصالحين » .

واستجاب الله دعاه على ما تقول التفاسير ، والمراد بوالديه هو داود وأمه . وكانت أم سليمان على ما يروي الرواة والمفسرون من العابدات الصالحات . وقد روي عن جابر عن النبي (ص) قال :

قالت ام سليمان بن داود (لابنها) : « يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة »[1] .

وجاء ذكر سليمان في ١٧ موضعاً من القرآن الكريم .

ومن اشهر مميزات سليمان الذكاء والفطنة واصالة الرأي منذ صباه وقد تمثل العدل في جميع احكامه على ما يقول المفسرون ، فقد قال المفسرون :

---

(١) البداية والنهاية – لابي اسماعيل بن كثير القرشي ج ٢ ص ٢٠ مط السعادة بمصر .

ان حزناً — أي زرعاً او كرماً — تدلت عناقيده نفشت فيه غنم لغير اهله — اي أكلته ليلاً — فجاء المتحاكمون الى داود وعنده سليمان فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضاً عن حرثه الذي أتلفته الغنم برعيه اياه ليلاً ، فقال سليمان — وهو ابن احدى عشرة سنة على ما تقول الرواية — غير هذا أرفق ، فأمرْ بدفع الغنم الى أهل الحرث فينتفعوا بألبانها وأولادها وأشعارها ، وادفع الحرث إلى اهل الغنم يقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان — اي يرد كل جانب ما يخص الجانب الآخر اليه — (١) .

وعلق عبد الوهاب النجار على ذلك بقوله :

قال البيضاوي (والاول) نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني (والثاني) مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا أبق ، وحكمه عند الشافعي : وجوب ضمان المتلف بالليل ، إذ المعتادّ ضبط الدواب ليلاً ، وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وآله لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته فقال :

« على اهل الاموال حفظها بالنهار ، وعلى اهل الدواب حفظها بالليل » وعند ابي حنيفة : لا ضمان الا ان يكون معها حافظ .

زكريا ويحيى

وزكريا هو ابو يحيى على ما يقول المفسرون وكان زوجاً لخالة مريم ابنة عمران وكان زكريا ممن يقوم على رعاية الهيكل في العبادة ، وكانت امرأة عمران — أم مريم — قد نذرت مولودها للهيكل ، وحين ولدت مريم جاءت بها الى الهيكل ، وقد تصدى كل من كان على خدمة المعبد لأن يكفلها والتجأوا الى القرعة لحسم النزاع فكانت (مريم) نصيب (زكريا) فقام بأمرها كما اشارت الآية الكريمة الى ذلك في قولها :

---

(١) قصص الانبياء — الشيخ عبدالوهاب النجار ط ٣ ص ٣١١ — ٣١٢ .

« وكَفَلَها زَكريّا » .

كما اشار القرآن الكريم الى القرعة بهذا الشأن اذ قال :

« وما كنتَ لديهم إذ يُلقونَ اقلامَهم أيّهم يكفلُ مريمَ وما كنتَ لَدَيهم إذ يختصمون » .

وكانت زوج زكريا عاقراً وقد بلغ هو من العمر عتياً وحين شاهد مريم وقد رزقها الله بعيسى اشتدت ضراعته لله بان يرزقه ولداً ، ينهج نهجه في الدعوة لعبادة الله بعد تخوفه من استمرار بني اسرائيل في الضلال .

وتقول الآية الكريمة :

« ونادَته الملائكةُ وهو قائمٌ يصلّي في المحراب إنّ الله يُبشّركَ بيحيي مصدقاً بكلمةٍ من الله وسيّداً وحَصوراً » .

فحملت زوجة زكريا بيحيي وجاء عنه في القرآن :

« وآتيناه الحُكمَ صبياً » .

وفي آية أخرى :

« يا زكريا إنّا نُبشّركَ بغلامٍ اسمهُ يحيي لم نَجعلْ له من قبلُ سميّا »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم :

« يا يحيي خُذ الكتابَ بقوة وآتيناه الحكمَ صبيا ، وحناناً من لَدُنّا وزكاةً ، وكانَ تقيّا ، وبرّاً بوالديه ولم يكنْ جبّاراً عصيّا ، وسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ، ويومَ يبعث حيّا » .

وقد قتل يحيي كما تقول الاخبار كما قتل ابوه زكريا ، وفي نبوّتيهما اقوال اذ قيل انهما لم يكونا من الانبياء وانما كانا من عباد الله الذين وصفتهم الآية أباً وأماً وابناً فقالت :

« كانوا يُسارعونَ في الخيراتِ ويدعونَنا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين »

عيسى بن مريم

وجاء في القرآن الكريم عن عيسى بن مريم الآية :

« وزكريّا وعيسى والياس كلٌ من الصالحين »

وفي موضع آخر من القرآن الكريم قول الله :

« إذ قالَ اللهُ يا عيسى إنّي مُتوفّيكَ ورافعُك إليَّ ومُطهّركَ من الذين كفرُوا وجاعلُ الذين اتبعوكَ فوقَ الذين كفروا الى يوم ِ القيامة ِ ثم إليَّ مَرجِعُكم فأحكمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

وفي آية اخرى :

« إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللهَ يبشّركِ بكلمة ٍ منه اسمه المسيح عيسى بن مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرة ِ ومن المقرّبين » .

وفي موضع آخر من الآيات :

« ويعلّمه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ ورسولاً الى بني اسرائيلَ إني قد جِئتُكم بآية ٍ من ربّكم اني أخلقُ لكم من الطينِ كهيئة ِ الطيرِ فأنفخُ فيه فيكون طيراً باذن ِ الله ِ وأبرئُ الأكمهَ والأبرصَ ، وأحيي الموتى باذن الله ِ وأنبئكم بما تأكلونَ وما تدّخرونَ في بيوتكم ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين » .

وفي آية اخرى :

« فلما أحسّ عيسى منهم الكفرَ قالَ مَنْ أنصاري إلى الله قال الحَواريّون نحن انصارُ الله آمنّا بالله ِ واشهدْ بانا مسلمون ، ربّنا آمنّا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مَعَ الشاهدين » .

وفي آية اخرى :

« إنّ مثل عيسى عندَ الله كمثلَ آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قالَ له كن فيكون »

وفي رسالته تقول الآية :

« وقفّينا على آثارِهم بعيسى بن مريمَ مصدقاً لما بين يَدَيه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

ويؤكد القرآن رسالة عيسى بآية أخرى فيقول :

« ثم قفّينا على آثارِهم بِرسلِنا وقفينا بعيسى بن مريمَ وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوبِ الذين اتبعوه رأفةً ورحمة » .

كذلك تؤكد الآيات رسالة عيسى في مواضع اخرى فتقول :

« وآتينا عيسى بن مريمَ البيّنات ، وأيّدناه بروحِ القدس » .

وفي مكانته ومقامه عند الله تقول الآية :

« وما قتلوه يقيناً بل رَفعَه اللهُ اليه وكانَ الله عزيزاً حكيماً » .

وكثيرة هي خصائص المسيح وقد جاء ذكره في ٢٤ موضعاً من القرآن الكريم ، وكان من أهم ما اتصف به هو الحلم والصفح ومقابلة الاساءة بالاحسان ، ومن مبادئه المشهورة :

« اذا ضربك احد على خدّك الايمن فأدر له خدك الأيسر » .

« والمكان الذي حوكم فيه السيد المسيح في عهد الحكم الروماني عندما كان اليهود يطالبون بتسليمه اليهم لقتله او صلبه ، اصبح فيما بعد في عهد الحكم الاسلامي مدرسة وقفية يؤمها طلاب العلم من مختلف الأقطار ، وهي واقعة في جوار الحرم القدسي الشريف وفي مكان مرتفع يشرف على المسجد الاقصى المبارك والقسم الأكبر من مدينة القدس . وبمرور الزمن وتعاقب

الاحداث تشعث بنيانها ودرس معظم آثارها ، وفي اواخر عهد الدولة العثمانية أصبحت ثكنة عسكرية . فلما تألف المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى عام ١٩٢٠ وتولى شؤون المحاكم الشرعية والاوقاف الاسلامية قام بعمارة هذا المكان الاثري التاريخي وحوّله كما كان من قبل داراً للعلم ، فاستقرت فيه كلية روضة المعارف الوطنية نحو ١٥ عاماً كانت خلالها معقلاً من معاقل القضية الوطنية الفلسطينية وملتقى رجالات العالمين العربي والاسلامي ، وفي قاعة محاضراتها الفسيحة انعقد اول مؤتمر اسلامي عالمي لقضية فلسطين عام ١٩٣١ وغيره من المؤتمرات والاجتماعات الوطنية . ثم استولت عليه السلطة العسكرية البريطانية عام ١٩٣٨ واتخذته مركزاً عسكرياً لمقاومة المجاهدين الفلسطينيين داخل القدس القديمة عندما تفاقم أمر الثورة الفلسطينية واشتد خطرها . ولما استؤنفت الثورة عام ١٩٤٧ اثر قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، استولى عليه جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني وسلمه لقيادة المتطوعين العراقيين . واخيراً اصبح داراً للمدرسة العمرية التابعة لوزارة التربية والتعليم الاردنية[1] . (اما اليوم فهي تحت سيطرة الاسرائيليين) .

مريم العذراء

وفي قدسية مريم وفضيلتها ذكر مجيد في القرآن الكريم وقد جاء ذكرها في ٩ مواضع من القرآن منها :

« إذ قالتْ امرأةُ عمرانَ ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني مُحرّراً فتقبّلْ منّي إنّك انتَ السميعُ العليم ، فلما وضعتْها قالتْ ربِّ إني وضعتُها أنثى واللهُ أعلمُ بما وضعتْ وليس الذكرُ كالأنثى واني سمّيتها مريمَ واني أُعيذُها بك وذُرّيتَها من الشيطان الرجيم ، فتقبّلها ربّها بقبولٍ حسنٍ

(١) من مذكرات السيد محمد امين الحسيني .

وأنبتها نباتاً حَسَناً وكَفّلها زكريا كلّما دَخَل عليها زكريا المحرابَ وَجَدَ عندها رزقاً قالَ يا مريمُ أنّى لكِ هذا قالتْ هو من عندِ اللهِ ان اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغير حساب » .

ومن الآيات الباهرات قولُ الله تعالى في مريم :

« واذ قالت الملائكةُ يا مريمُ ان اللهَ اصطفاكِ وطَهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين » .

* * *

هذا الى جانب المئات من الرسل والانبياء والقديسين الذين جاء ذكر بعضهم في القرآن الكريم وبعضهم في الروايات ، والقصص ، والاخبار ، الى جانب ذكر قصصهم في التوراة والانجيل تصريحاً او تلميحاً ، ومن هولاء النبي (شعيا) بن (أمصيا) وكان قد جاء قبل زكريا ويحيى ، وتقول الروايات ان (شعيا) هذا هو الذي بشّر بعيسى ومحمد عليهما السلام وهذا ما رواه محمد بن اسحق .

وكل هولاء الرسل والانبياء والقديسين الذين جاء ذكرهم في الكتب المقدسة وفي القرآن الكريم قد أضفوا على ارض فلسطين هذه القدسية العظيمة في عقيدة الاسلام . وجعلوا لهذه الارض — ولا سيما القدس — منزلة لا تضاهيها منزلة من حيث هذا الجمع المحتشد من الرسل والانبياء والقديسين الذين ولدوا فيها ، او عاشوا في ربوعها ، وبشروا بعبادة الله في اصقاعها وهياكلها ومعابدها ، او ماتوا في ارضها وقبروا في تربتها .

ومن الآيات العامة في جمع من اولئك الانبياء قول الله تعالى عنهم ومن بينهم النبي اسماعيل الذي ولد في ارض فلسطين :

« قُولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل الى ابراهيمَ واسماعيلَ واسحاق

ويعقوب والأسباطَ وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من رَبّهم لا نفرّقُ بين أحد منهم ونحنُ له مسلمون » .

وفي آية اخرى خص الله طائفة من اولئك الانبياء الذين استوطن معظمهم ارض فلسطين بالذكر فقال تعالى في سورة النساء .

« إنّا أوحينا اليكَ كما أوحينا الى نوحٍ والنّبيينَ من بَعدِهِ ، وأوحينا الى إبراهيمَ وإسماعيلَ ، واسحاقَ ، ويعقوبَ والاسباطَ وعيسى وأيّوب ويُونس وهارون وسليمان ، وآتينا داودَ زبوراً ، وَرُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، وَرُسُلاً لم نقصصْهم عليك وكلّم اللهُ موسى تكليماً ، رُسلاً مُبشّرين ومُنذرين لئلا يكونَ للناس على اللهِ حجّة بعد الرُسُلِ وكان اللهُ عزيزاً حكيماً » .

القدس

لمحـــة موجـــزة

عن تاريخ القدس

يقول عارف باشا العارف عن القدس : « لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ ، انها وان لم تكن من المدن التجارية المهمة ، ولا من المدن الزراعية او الصناعية على رغم وقوعها بين البادية في الشرق ، والبحر من الغرب ، الا انها كانت على مرّ الدهور مطمح أنظار الغزاة والفاتحين فحوصرت مراراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت ، وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ ، ولكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة في هذا الوجود ، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان ، ذلك لأنها مقدسة في نظر جميع الاديان » .

والباحث في تاريخ القدس لا يستطيع ان يقطع بمبدأ هذا التاريخ ويعرف كيف نشأت هذه المدينة اول ما نشأت ، وكل ما يمكن التثبت منه هو ان هذه المدينة موغلة في القدم وليس الى معرفة اصلها في الواقع العلمي سبيل .

اما الاخبار فتقول ان ارض مدينة القدس كانت صحراء قبل ان تبنى وتمصّر وهي واقعة بين اودية وجبال ليس فيها بناء او عمارة فكان اول من اختطها وبناها ملك اليبوسيين المدعو ملكيصادق . ومعناه بالعبرانية ملك الصدق ، وقد قيل انه اسم لسام بن نوح . وقيل ان اول اسم اطلق على القدس

كان (بيوس) نسبة إلى اليبوسيين وقيل بل ان اول اسم اطلق عليها كان اسم (ايلياء) لان ايلياء هو الذي بناها على ما تقول هذه الاخبار وليس (ملكيصادق) ، وان ايلياء هذا كما يقول ياقوت هو ابن ارم بن سام بن نوح وهو اخو دمشق ! وحمص ! واردن ! وفلسطين[١] مما لا يخرج عن دائرة الاخبار .

و (ايلياء) بالالف الممدودة وبالالف المقصورة (ايليا) وبحذف الياء الاولى (إليا) ومعناه بيت الله ، وقد سمي البيت المقدس ايلياء على ما جاء في شعر الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحـــن ولاتـــه وقصر باعلى (إيلياء) مشرف[٢]

وهناك من يقول ان اسمها الاول كان (روشلم) اطلق عليها هذا الاسم حين تم بناؤها[٣] اما اسماؤها الاخرى من (اورشليم) و (اوريسلم) بالسين المهملة و (اوريشلوم) و (اوريشلّم) بتشديد اللام و (اوراسلم) فهي اسماء عبرانية اطلقت عليها فيما بعد ، ومن ضمنها (زوشلم) الّتي وردت في كتاب (الانس الجليل) محرفة على ما نعتقد .

وفي حديث عطاء أبشري (أوري شلم) براكب الحمار يريد بيت المقدس .

قال الاعشى :

وقـــد طـفتُ للمـــال آفاقَـــه عمان ، فحمص ، فأوري شلم[٤]

وهناك اسماء قديمة اخرى اطلقت على (القدس) قبل ان تسمى بالقدس ومن ضمن هذه الاسماء اسم (سالم) واسم (شالم) وقد اشتق الاسمان من

---

(١) معجم البلدان – مادة (ايلياء) مط صادر ودار بيروت – بيروت .
(٢) المصدر المتقدم .
(٣) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠ .
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الاثير ج ١ ص ٥٠ .

اسم (ملكيصادق) الباني الاول للقدس ، والذي اطلقوا عليه (ملك السلام)[1] على ما تقول الروايات .

ومن ضمن هذه الاسماء ايضاً اسم (صهيون) قال الازهري : قال ابو عمرو : صهيون هي الروم ، وقيل البيت المقدس ، وقال ياقوت ، وصهيون موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون ، والمعروف انه جبل في القدس ،

ومن اسمائها (بابيشي) على ما ورد في سجلات الفراعنة الذين سيطروا على القدس حيناً من الدهر[2] .

وسماها الامبراطور ادريانوس سنة ١٣٩ م باسم (إيليا كابتولينا) ولكنها عادت فعرفت باسم (ايلياء) اي بيت الله حتى الفتح الاسلامي حيث استقرت على اسم واحد هو بيت المقدس ، وسمي مسجدها بالمسجد الاقصى ثم اقتصر اسمها على (القدس) وهو من اسماء الله[3] .

والقدس هو (البيت المقدس) الذي سنشير اليه فيما بعد ، وقد سمي بذلك في الاسلام لأنه المحل الذي يتطهر فيه من الذنوب او سمي بذلك للبركة التي فيه ، قال الشاعر :

لا نوم حتى تهبطي ارضَ العُدُس   وتشربي من خير ماءٍ بِقُدُسْ

وقد اراد بذلك الارض المقدسة على ما جاء في تاج العروس ولسان العرب ،

والقُدّوس هو الطاهر المنزّه عن العيوب ، ولم يجيء منه الا (قدّوس) و (سبّوح) و (ذرّوح) وقد تكرر ذكر التقديس في الحديث والمراد به

---

(١) تاريخ القدس — نقلا عن سفر التكوين الاصحاح ١٤ العدد ١٨ .

(٢) انها لذكرى — شاكر البدري مط دار البصري ، ولقاء عند بوابة مندلبوم — احمد فوزي عبد الجبار .

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثر ج ٣ ص ٢٢٣ — ٢٣٤ مط العثمانية بسوق الزلط بمصر .

التطهير ، ومنه الارض المقدسة ؛ قيل هي الشام وفلسطين ، وسمي (بيت المقدس) لانه الموضع الذي يتقدس فيه من الذنوب ؛ ويقال (بيت المَقْدِس) و (البيت المُقَدَّس) و (بيت القُدْس) .

ومن الحديث : لا قُدِّست أمّةٌ لا يؤخذ لضعيفها من قويها ، اي لا طُهِّرت[1] .

ثم حين استولى العثمانيون على فلسطين اطلقوا على (القدس) نعت (الشريف) فصارت تدعى (بالقدس الشريف) .

كيفية بناء القدس لأول مرة

وسواء كان الباني الاول لمدينة القدس هو سام الملقب (بملكيصادق) كما تقول الاخبار او كان بانيها ايلياء حفيد ملكيصادق ؛ فقد تواترت الاخبار بان بناتها كان (اليبوسيون) وان (ملكيصادق) اي سام بن نوح هو اول من اختطها وبناها وكان قبل ذلك يسكن وقومه في الكهوف ، وقد عرف بالتقوى فما غشي امرأة ، ولا اراق دماً . وما أكل سوى الخبز ، وما شرب سوى الخمر ، وكان محباً للسلام حتى اطلق عليه (ملك السلام)[2] واشتهر امره حتى بلغ ملوك الارض الذين هم بالقرب من ارض بيت المقدس وبالشام ، وسدوم وغيرهما ، وتقول هذه الرواية ان عدة اولئك الملوك كانت اثني عشر ملكاً ، فحضروا اليه ؛ فلما رأوه ، وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شديداً ، ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس ، فاختطها وعمرها وسميت (بروشلم) فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم على ان يكون (ملكيصادق (ملكاً عليها ، وكنّوه (بابي الملوك) وكانوا باجمعهم تحت طاعته ، واستمر حتى مات بها[3] على ما تقول الاخبار .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) تاريخ القدس – عارف باشا العارف ص ١١ مط دار المعارف بمصر .
(٣) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠ .

وقيل ان سام هذا كان القيم بعد ابيه نوح في الارض ومن ذريته الانبياء كلهم ، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، ونزل بنوه سرّة الارض ولم تكتف هذه الاخبار بان تنسب له التخطيط الاول لمدينة القدس ، وانما اعتبرته هو المؤسس الاول (للمسجد) في القدس .

ويرى بعض الذين يعتمدون الاخبار بدون تمحيص علمي ان آدم هو الذي بنى بيت المقدس ، وقال البعض الآخر بل بنته الملائكة ،

اما الشيء الثابت هو ان مدينة القدس مدينة قديمة ، وغاية في القدم كما يستدل من الآثار ، ويقول عنها القاضي مجير الدين الحنبلي انها كانت قديماً اكبر من مصر (ولعله يقصد القاهرة) واكبر من بغداد كما وصفها البعض من مؤرخي المسلمين ، فقالوا ان العمارة والمنازل كانت متصلة من جهة القبلة الى القرية المعروفة يومئذ (بدير السنة) ومن جهة الشرق الى جبل طور واستمرت العمارة بطورزيتا الى حين الفتح العمري ، وما عمارة داود وسليمان لمدينة القدس الا تجديد البناء القديم ليس الا[1] .

---

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٠٦ .

القدس في عهد
اليبوسيين والكنعانيين

واليبوسيون هم بناة القدس الاولون كانوا رهطاً من بطون العرب الاوائل نشأوا في صميم الجزيرة العربية وترعرعوا في ارجائها ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية واستوطنوا ارض فلسطين ، واغلب الظن ان ذلك قد حدث حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد[١] فكان اليبوسيون هم اصحاب القدس ، اما حبرون وبيت لحم فقد كان اصحابها الاموريين .

والكنعانيون عرب من نجـد وينتسبون هم الآخرون الى سام كنسبة اليبوسيين ملوك القدس انفسهم وقد قيل ان كنعان موجود بفلسطين منذ مائة قرن على الاقل اما شراح العهد القديم فلا يعترفون بهذه التقديرات اذ يرون ان عمر العالم يستحيل ان يتجاوز السبعين قرناً[٢] مستندين في ذلك على التوراة الذي يرجع اليه المؤرخون لقدمه وكونه المصدر الاول في هذه الاخبار ،

ويستنتج المورخون من بعض الآثار ولا سيما الآثار المصرية في ايام الفراعنة الى جانب الاخبار المروية بان اليبوسيين ما لبثوا ان اصبحوا ذوي حضارة وكانت (القدس) المسماة (بيبوس) عنوان تلك الحضارة التي كانت تتجلى

---

(١) تاريخ القدس ص ١١ مط المعارف بمصر .
(٢) اسرائيل بنت بريطانيا البكر – محمد علي الزعبي ص ٢١ .

في عماراتها وابنيتها الفخمة واسباب معيشتها ورفاهية سكانها ، وكان من ملوك (يبوس) القدماء الملك (سالم اليبوسي) وقد بذل جهداً كبيراً في سعة عمران هذه البلدة ، واقام على جبل صهيون وهو محل من محلات القدس برجاً للدفاع عن المدينة عند محاولة غزوها من الشرق او الغرب ، وكانت لليبوسيين في القدس حكومة ذات نظام ، لها صناعتها وتجارتها ، وكيانها المعروف بين المدن المتحضرة .

وان موقع (يبوس) الاستراتيجي قد جعل لها ولليبوسيين والكنعانيين شأناً كبيراً في عالم التجارة ، فهي واقعة على طريقين من اهم طرق التجارة واحدة تربط البحر بالصحراء ، والاخرى تربط حبرون (الخليل) (ببيت إيل) من اعمال (رام الله) وفي (بيت إيل) كانت الطريق تسير في اتجاهين : واحد نحو شكيم (نابلس) والآخر الى (اريحا) ووادي الاردن[1] .

فكان لا بد ان تزدهر الحضارة في القدس بسبب انتقال التجارة والبضاعة والصناعة بين العراق من الشرق والفينيقيين من الشمال وبين مصر من جهة الغرب عن طريق هذه المدينة وسكانها اليبوسيين والكنعانيين .

وبالنظر لموقع (يبوس) الجغرافي وكونها واقعة على مرتفعات مطوقة بالاسوار المنيعة التي بناها ملوكها دفاعاً عنها عند محاولة غزوها فقد اصبحت (يبوس) منيعة واصبح سكانها وملوكها ممن يعتز بهذه المناعة فكان لملوكها جيوش اشداء وكانوا يحسنون السياسة فقد اورد المؤرخون اخباراً كثيرة تتعلق بحسن هذه الصناعة وما عثر عليه في الآثار من عقود ومعاهدات بين ملوك (يبوس) والملوك المجاورين وتحسين علاقات بعضهم ببعض زيادة في توثيق حسن الجوار والاستعداد للدفاع المشترك بينهم عند وقوع الحرب .

والراجح ان معظم سكان الضياع والقرى المجاورة كانوا من الكنعانيين

---

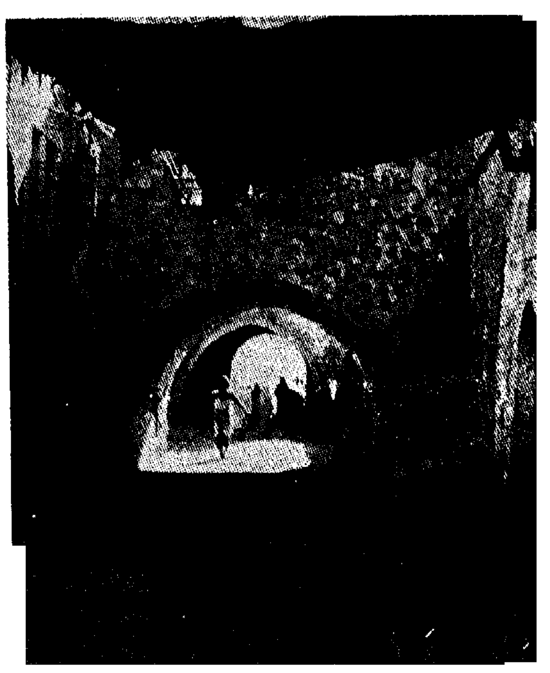
(١) تاريخ القدس – عارف باشا العارف ص ١٢ مط دار المعارف بمصر .

الذين لا يكاد يميزهم احد عن اليبوسيين لاتحاد الاصل والعنصر فكلاهما ساميان ، وكلاهما قد هاجر في اوقات متقاربة ان لم تكن واحدة ، وكلاهما وجدا في هذه البقعة وهناك من يطلق على الرهطين اسماً واحداً ويسميهما بالكنعانيين ، اما اللغة فكانت كنعانية ولم تتغير الا حين تداخلت فيها اللغة البابلية عند استيلاء البابليين عليها ، وظلت اللغة البابلية هي اللغة الرسمية الى ان دخلها الفرس وسيطروا عليها ،

وكانت ديانة القدس وسكانها اليبوسيين عبادة الاصنام ، وكان صنمهم الاكبر (بعل) ومعناه الرب[1] وكان بعل هذا صنماً صيغ من الذهب لقوم الياس كما جاء ذلك في قول الله تعالى « وإنّ الياسَ لَمِنَ المُرسلين ، إذ قال لقومِهِ أتدعون بعلاً وتَذَرونَ أحسنَ الخالقين » .

قال علماء النسب : هو الياس التشبي وقد بعث بالنبوة بعد (هارون) فالانبياء الذين بعثوا قبله هم آدم ، وشيث ، وادريس ، ثم نوح ، ثم ابراهيم ثم اسماعيل ، واسحق ثم يعقوب ، ثم يوسف ، ثم لوط ، ثم صالح ، ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا عمران[2] وقالوا كان ارسال الياس الى اهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنماً باسم (بعل) فكذبوا النبيّ الياس .

شارع من شوارع القدس القديمة



وفي نسخ أخرى من الاقوال ان (بعل) هذا كان يخص قوم يونس ، وسمى العرب معبودهم الذين يتقربون به الى الله بعلاً لاعتقادهم الاستعلاء به .

---

(١) تاج العروس مادة (بعل) .
(٢) البداية والنهاية في التاريخ ج ١ ص ٣٣٧ مط السعادة بمصر .

وكانت هذه الحضارة التي تتمتع بها (القدس) ، والحياة الرفيهة التي كان ينعم بها سكان القدس قد جعلتها مطمح الانظار ولا سيما من قبل العبرانيين الذين كانوا يعيشون عيش البداوة في البراري والخيام ويمارسون رعي الغنم وقد بدأوا يقلقون راحة الكنعانيين في مدنهم وقراهم ويهاجمون سكان (القدس) فلاذ اليبوسيون — وقد بدأوا يشعرون بالضعف — بفراعنة مصر ، فكان هذا سبباً لخضوع القدس مدة للفراعنة وسيطرتهم وليس من شك ان (القدس) قد تأثرت بالحضارة الفرعونية واقتبست منها شيئاً غير قليل ، وكان من اشهر الفراعنة الذين سيطروا على القدس (توت عنخ آمون) و (رعمسيس الثاني) . .

والظاهرة التي توصل اليها المؤرخون من مدارستهم للآثار وقراءة ما وجدوه من النقوش والكتابة في الآثار المصرية ان القدس كانت في عهد استيلاء الفراعنة عليها محفوفة بغابات كثيفة تمتد من الجبال حتى البحر ، ولا شك انه كان لهذه الغابات شأنها ايضاً في خدمة الحضارة للفوائد التي يمكن ان تحصل من اخشابها في البناء والشعال فضلاً عن استغلال حاصلاتها الحيوانية والشجرية .

القدس في عهد العبرانيين

واخيراً غزا العبرانيون القدس وتمكنوا من احتلالها في نحو عام ١٠٤٩ على ما تذكر بعض المصادر واستمر حكم العبرانيين نحو اربعة قرون اقتبس العبرانيون الشيء الكثير من الحضارة التي عرفت بها القدس فغيرت لهم طريقة معيشتهم ، وطورت حياتهم ، ونقلتهم من حياة البداوة الى المدنية مما اشرنا الى ذلك من قبل ، ويذهب المؤرخون الى ان سيطرة العبرانيين خلال تلك المدة لم تكن سيطرة تامة سالمة من الثورة والتمرد باستثناء عهد داود وعهد سليمان بصورة خاصة ، وكان داود اول من احتل القدس كملك اذ سار بجيش قيل ان عدده كان ثلاثين الف مقاتل فاستولى عليها وغير اسمها الكنعاني (اوروسالم) وسماها (مدينة داود) ولكن هذا الاسم لم يدم طويلاً ، فكان داود اول

ملك عبراني سيطر على المدينة بالرغم من الثورات التي قامت في وجهه من قبل اولاده اخوة سليمات.

وكان داود قبل ان يزحف بجيشه على القدس يقيم في حبرون (الخليل) فدخل القدس ملكاً عليها ولاول مرة شرع ببناء (بيت المقدس) اي المسجد .

بناء بيت المقدس (المسجد)

وفي بعض الاخبار ان داود لم يكن هو الذي اول من شرع ببناء بيت المقدس (المسجد) ولا سليمان كان اول بانيه كما يقول معظم المؤرخين وانما كان اول من بنى بيت المقدس هو يعقوب بن اسحق ، فقد رووا ان يعقوب حين لحق اخاه (العيص) باهله وما معه من الانعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال (ساعير) مرّ (بساحور) فابتنى له بيتاً ، ولدوابّه ظلالاً ، ثم مرّ على اورشليم قرية (شخيم) بن جمّور فنزل قبل القرية ، واشترى مزرعة (شخيم) بن جمور بمائة نعجة ، فضرب هنالك فسطاطه ، وابتنى ثمة مذبحاً وسماه (ايل إله اسرائيل) وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه ، وهو (بيت المقدس) اليوم والذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود ، وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك .

وهنالك اخبار اخرى تقول انه لما استقرت يد يوشع بن نون بعد موسى على البيت المقدس نصب (قبة الزمان) التي كان قد اقامها موسى وكانت تحمل في التيه كرمز مقدس للعبادة ، لقد نصبها يوشع على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون اليها فلما بادت صلوا الى محلتها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الانبياء[1] .

اما الاخبار التي تبانى عليها اغلب المؤرخين فهي ان داود هو الذي بنى

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي ج ١ ص ٣٠٨ مط السعادة بمصر .

المسجد – اي بيت المقدس – وعلى الصخرة قبة في الموضع الذي قدسه الله تعالى في (ايليا) .

واوحى الله الى داود – على ما تقول هذه الاخبار – لما كثر طغيان بني اسرائيل : اني اقسمت بعزتي لابتلينهم بالقحط سنتين او اسلط عليهم العدو شهرين، او الطاعون ثلاثة ايام، فاختار داود الطاعون ، وامرهم ان يتجهزوا ويلبسوا اكفانهم ، ويخرجوا نساءهم ، وإماءهم ، واولادهم أمامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذي بنى عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد ، ففعلوا واظهروا هناك مسكنتهم وخروا سجداً من حين طلوع الصبح ، فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت الى أن زالت الشمس ثم رفعه عنهم .

ثم اوحى الله الى داود أن ارفعوا رؤوسكم فقد شفّعتك فيهم فرفع داود رأسه ثم نادى بني اسرائيل ان ارفعوا رؤوسكم فرفعوا رؤوسهم وقد مات

مسجد النبي داود وقد تناول فيه المسيح وحواريوه العشاء السري



منهم مائة الف ، وسبعون الفاً أصابهم الطاعون وهم سجود[١] وغير هذا الخبر اخبار اخرى مستقاة من العقيدة الدينية .

وجاء في الاخبار ان داود قد أعدّ لبناء بيت المقدس مائة الف بدرة ذهباً ، والف الف بدرة ورقاً ، وثلثماية الف دينار لطلاء البيت .

وهنالك من الاخبار ما يشير الى ان مدينة القدس حين بنيت كان محلّ المسجد في وسطها وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى بناه داود .

ويقال لمسجد بيت المقدس (الزيتون) ولا يقال له الحرم على بعض الروايات ، كما يقال للزيتون (طورزيتا) . وهو الجبل الذي قام عليه مسجد بيت المقدس ، واقسم الله في القرآن المجيد « والطور والزيتون وطورسنين وهذا البلد الامين » .

يقول ابو هريرة : ان التين هو طور سيناء وهو مسجد دمشق . والزيتون هو (طور زيتا) اي مسجد بيت المقدس ، وطور سنين حيث كلم الله نبيه موسى[٢] والواضح ان نزول هذه الآية كان قبل قيام مسجد دمشق فلا يمكن ان يكون المقصود (بالتين) — على قول ابي هريرة — هو مسجد دمشق . اما مسجد القدس فقد كان قائماً عند نزول الآية كمسجد توحيد لعبادة الله .

وفي (التين) و (الزيتون) زوايات كثيرة . وقد روى الكثير انهما جبلان وعن ابن عباس : ان التين هو مسجد نوح الذي بني على الجودي . والزيتون هو بيت المقدس — وهناك من يقول انه الجبل الذي صلب عليه المسيح ويسمى بجبل سكوبس ايضاً . وعن الضحاك : ان التين هو المسجد الحرام . والزيتون المسجد الاقصى . وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله عليه

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل — القاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ١٠٤
(٢) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل القاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٧

موسى وان سينين وسيناء واحد[١] .

ويستدل من الأقوال التي تنسب بناء المسجد لداود لأول مرة ، ان هـذا المسجد قد بني على اساس قديم ولم يكن داود المؤسس الاول وانما كان داود مجدداً اذ هناك من يقول بان الصخرة التي سمي المسجد باسمها هي الصخرة التي كان يذبح عليها ابراهيم عليه السلام القرابين لله .

ومسجد الصخرة هذا هو المسجد الذي أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ض) ببنائه سنة ٦٨٥ وتم في نحو سبع سنوات .

وتزيد الاخبار التأكيد بأن باني هيكل المسجد ببيت المقدس لم يكن غير داود ، وتقول بان داود قد ابتاع من ارنان اليبوسي ارضه الواقعة على تل (موريا) وهي البقعة التي يقوم عليها الآن الحرم القدسي ، وكانت قبل ذلك بيدراً وشرع في بناء الهيكل ومات ولم يتمه[٢]

القدس في عهد سليمان

والمعروف ان داود قد اوصى ابنه سليمان بان يعنى بمدينة القدس ويسعى لاتمام بناء الهيكل ، فاستعان سليمان (بحيرام) ملك صور وأمدّه هذا بمهرة الصناع الفينيقيين ، وكان لدى (حيرام) هذا عدد كبير من مهرة الصناع الذين يحتاج اليهم سليمان لبناء المدينة والهيكل .

ويقول جيمس هنري برستيد: ولربما كان الصناع الذين زخرفوا مدينة صور هم الذين اشتغلوا في زخرفة هيكل (اورشليم) .

ويظهر ان هذا الهيكل كان فخماً بحيث ان الخشب المستعمل فيه كان قد استورد من صور ايضاً وأمدّه به حيرام الملك ، أما الطراز فيذهب المؤرخون الى انه كان طرازاً كنعانياً ، وقد خص هذا الهيكل باقامة الطقوس الدينية ، وتم بناء الهيكل في سنة ١٠٠٧ ق.م

---

(١) مجمع البيان — سورة التين — الآية ١ — ٢ .
(٢) تاريخ القدس — عارف باشا العارف ص ١٦ مط دار المعارف بمصر .

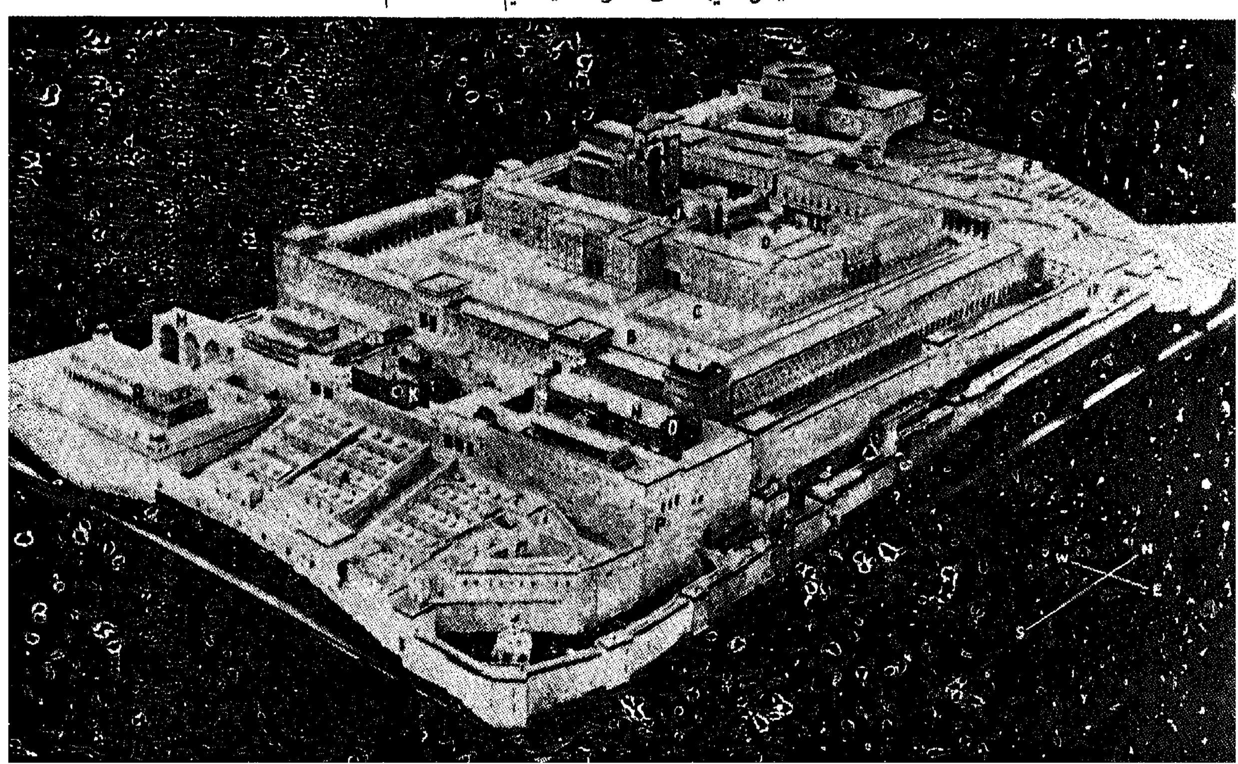
واتسعت القدس في زمن سليمان فبنى فيها الدور وشيد القصور واتسع ملكه وامتد من الفرات الى تخوم مصر فعمرت القدس في زمانه بحيث باهت الحواضر والمدن الكبيرة واشتهر الهيكل وقرن اسمه باسم سليمان وسمي بهيكل سليمان .

ومن آثار سليمان البناء الكائن تحت المسجد الاقصى ، وبرك سليمان الواقعة الى الجنوب من بيت لحم[١] وقيل انه لما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه على ما ذكر القاضي مجير الدين واحكامه الهيكل جمع الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو الذي أقره ببنائه ، وان كل شيء فيه لله تعالى وان داود عهد اليه ببنائه واوصاه بذلك .

واضافة الى كل ذلك قد احرز النظام المركزي تقدماً كبيراً في عهد سليمان

(١) تاريخ القدس ص ١١ مط المعارف بمصر .

مخطط لهيكل سليمان حتى سقوط اورشليم سنة ٥٨٦ م



وازداد عدد موظفي البلاط الذين يعملون الى جانب الملك في ادارة المملكة كما جاء في (تاريخ الحضارات العام) وقد جاء في التوراة ان سليمان « جعل النقد في اورشليم عادياً كالحجارة »(١)

ويقول تاريخ الحضارات العام : وقد استخدم سليمان ثرواته لا لتقوية جيشه فحسب بل لتجميل عاصمته ايضاً فاقام على رابية (صهيون) الهيكل و (بيت الملك) الذي اكمله بقصر للملكة التي قيل عنها أنها اميرة مصرية ، ولكن التنقيب عن الآثار لم يتوصل الى اظهار هذا او ذاك من الابنية ، ولذلك فان كل محاولة لتحقيق تصميمها تكون مجرد اجتهاد(٢)

والامر الذي عده التاريخ من البدهيات بعد بناء الهيكل والبرك والقصور الفخمة هو الاسراف الذي بدا في حياة البلاط في عهد سليمان فقد عرفت المدينة فيما عرفت الزخرفة بالذهب المطعم بالعاج والحجارة المنحوتة ، وخشب الارز الذي جهزه الملك حيرام لسليمان . وبناء المراكب التي استخدمها سليمان في خليج العقبة لتحويل جانب من التجارة مع الجزيرة العربية الى القدس بعد ان كانت مصر قد احتكرتها لنفسها .

وحين مات سليمان انقسمت البلاد الى مملكتين : يهوذا وعاصمتها (اورشليم) التي التحق بها سبطان فقط . واسرائيل . وعاصمتها (السامرة) التي التحق بها الاسباط العشرة الاخرى .

وهناك من المؤرخين من يذهب الى ان سليمان لم يكن يهودياً وانما كان آشورياً وهو (شلمناصر) الذي حوّر اسمه الاسرائيليون فسموه سليمان(٣) وعرف بعد ذلك بهذا الاسم .

---

(١) تاريخ الحضارات العام ج ١ ص ٢٦٦ منشورات عويدات – بيروت .
(٢) المصدر المتقدم ص ٢٦٧ .
(٣) اسطورة الشعب المختار – ترجمة الدكتور اكرم فاضل ص ٥ – وزارة الثقافة والاعلام العراقية .

وسواء كان الباني الاول لمسجد بيت المقدس داود أوغير أداود فقد اسبغ الانبياء على القدس صفة الطهارة والقدسية واعتبروها مدينة الله وموضع التوجه اليه سبحانه وتعالى .

واصيبت هذه المدينة بنكبات متعددة حتى زالت من الوجود مرة بالهدم العام غير مرة وحتى تعرضت للقتل والاسر والسبي غير مرة ، ومع ذلك عادت ، فعادت هذه القدسية اليها واتجاه النفوس من مختلف الاديان الى باريها في هذا المقام الشريف .

فقد غزا الآشوريون اورشليم ، ثم غزا البابليون هذه المدينة ، وافتتحها (نبوخذنصر) وسبى جميع من فيها ، وارسلهم الى بابل ، ثم غزا الفرس القدس واستولى (كورش) على جميع فلسطين وسمح بتجديد بناء الهيكل ، وبناء المدينة .

ثم غزا اليونان على عهد الاسكندر فلسطين ، واحتلوا (اورشليم) ثم غزاها الرومان ، وهدموها وازالوا معبدها من الوجود .

وفي عهد الامبراطور (هادريان) الروماني سنة ١٣٠ م اعاد الرومان بناء (اورشليم) المهدمة ليجعلو منها مدينة وثنية ، فاقاموا فيها هيكلين الاول (لجوبيتر) في مكان هيكل سليمان ، والثاني (لفينوس) في مكان كنيسة القيامة الآن ، واطلق الرومان على المدينة اسم (ايليا كبيتولينا) كما اشرنا الى ذلك في استعراض اسماء القدس ، ومنع اليهود من دخول المدينة حتى انهم فرضوا عقوبة الاعدام على كل يهودي يدخلها[1] واقام (هادريان) تمثالاً لنفسه بالقرب من الصخرة المباركة .

وتولاها البيزنطيون بعد ذلك فمرت المدينة بظروف قاسية كثيراً ما قضت على قدسيتها وصبغتها الدينية حين ازيل الهيكل ومسجد العبادة من الوجود

(١) الطريق الى فلسطين – محمد عنان ص ١٦٦ مط – دار الكتب – بيروت .

ولكنها عادت من جديد لتكون بلداً مقدساً وبيتاً من بيوت الله العظمى في عقيدة الاسلام وعهوده التاريخية حتى اليوم .

فضيلة القدس في الإسلام

في احد الفصول المتقدمة من هذا البحث اشارة الى الاسباب والعلل التي جعلت الاسلام يعنى بفلسطين عموماً ويسميها بالارض المقدسة ويعنى (باورشليم) خصوصاً منذ أن اطلق عليها اسم (يبوس) او (ايلياء) ويسميها (بالقدس) ثم يعتبرها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وتأكيداً لما مر فمن المستحسن اعادة القول بان الاسلام كان يؤمن بما جاء به الانبياء من قبله ويقدس الرسل الذين بشّروا بدعوتهم واعتبر الاسلام ان ما جاء به كل واحد من أولئك الأنبياء انما جاء به من عند الله ، لذلك حق على الاسلام ان تحوط أولئك الانبيـــاء والرسل بهالة من التقديس ، ويمنح الارض التي عاش الانبياء فيها ودفنوا في تربتها الحرمة الكاملة ، والمحبة الخالصة ، ولما كانت فلسطين — او القدس بصورة خاصة — مهبط جمهرة من عظماء اولئك الانبياء ومؤسسي اول ديانة تربط الانسان بالله وتوجه وجهه اليه فقد خصها القرآن الكريم وخصته الروايات والاحاديث الاسلامية بعناية مفرطة واضفت الشريعة الاسلامية على هذه المدينة الشيء الكثير من القدسية التي اضفته على مكة المكرمة . والمدينة المنورة . وكل غلو جاء في الاحاديث والاخبار عن القدس . وكل رواية بولغ في مبناها ومغزاها وسردهاحتى التي لا يهضمها المنطق والعقل فهي دليل على قيمة هذه المدينة ومكانتها وفضيلتها . اذ لولا تلك الاهلية والجدارة والفضيلة التي تتمتع بها القدس لما خصت بكل تلك الاخبار والاحاديث والقصص ، والاساطير ، المعقول وغير المعقول منها .

فمن هذه الاخبار انه لما خرج نوح من السفينة بادر الى جثة آدم ودفنها ببيت المقدس[١] .

وفي رواية ان قبر آدم كائن في مغارة بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل ، ورجلاه عند الصخرة ، ورأسه عند مسجد ابراهيم الخليل .

وان سفينة نوح طافت بالبيت الحرام – أي مكة المكرمة – اسبوعاً ثم طافت ببيت المقدس اسبوعاً .

وقد رووا ان السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت وقالت :

« يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الانبياء من اولادك[٢] »

ومثل هذه الروايات الشيء الكثير الذي يثبت للقدس فضيلتها التي لولاها لما جاز ان تحاك عنها الاساطير وتحكى الحكايات التي تتعارض والتاريخ المادي .

والفضيلة الحقة التي خصت بالقدس تتجسم في واقعها ، وان واقعها هو الذي تبانت عليه الاخبار المدروسة وما سلم به العلم والعقل ونص على فضيلته القرآن الكريم واعتبره الدين الاسلامي داخلاً في صلبه .

فتواتر الاخبار بان في المغارة الغربية وتحت المسجد العتيق ستين نبياً منهم عشرون نبياً مرسلاً لايتنافى مع المعقول . ولا فيه ما يغاير الواقع . أو يستدعي التشكيك .

ومثل هذا ما روي عن (مقاتل بن سليمان) عن بيت المقدس اذ قال : (ما فيه موضع شبر الا وقد صلى عليه نبي مرسل) .

والمروي عن ابي ذر (ض) انه قال : قلت يا رسول الله أيّ مسجد وضع في الأرض اولاً ؟ قال : المسجد الحرام .

---

(١) الطبقات الكبرى لا بن سعد ج ١ ص ٢٤ مط لجنة نشر الثقافة الاسلامية – القاهرة .

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢٢ .

قال : قلت ثم اي مسجد ؟

قال : المسجد الاقصى .

قلت : وكم بينهما ؟

قال : أربعون سنة .

ثم قال : « فاين ادركتك الصلاة فصلّ فان الفضل فيه »

وهذا وحده يكفي تثميناً لفضيلة القدس ومكانتها في العقيدة الاسلامية ، فقد كانت ضياعها اول مستوطن لأبي الأنبياء ابراهيم الخليل ، فحين جاء ابراهيم من مصر أقام (بالسبع) فاحتفر به بئراً ، واتخذ به مسجداً فكان ماء تلك البئر معيناً وكانت غنمه تردها ، وحين أوذي ابراهيم غادر (السبع) ونزل بناحية من ارض فلسطين بين (الرملة) و (ايلياء) والبلد يقال له قـَط او قـِط على ما ذكر ابن جرير الطبري .

ومما يزيد من فضيلة القدس ما ذكرته بعض الروايات وعلى الاخص التوراة بان الذبيح لم يكن اسماعيل كما هو عليه الغالب من المسلمين وان هذا الذبح لم يجر بمكة المكرمة وانما كان الذبيح اسحاق ، وان موضع الذبيح كان على صخرة بيت المقدس[1] .

ثم ان قبر موسى واقع في جوار بيت المقدس ، والمشهور ان مدفن موسى واقع شرقي بيت المقدس وان بينه وبين بيت المقدس مرحلة واحدة ، ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد ؛ وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة على ما وصف القاضي مجير الدين الحنبلي في القرن التاسع الهجري .

ثم هي بعد ذلك مدفن داود فقد قيل ان مدفنه كان بالكنيسة المعروفة

---

(١) التكوين ٩ — ١٠ الاصحاح الثاني والعشرون — وموسوعة العتبات المقدسة قسم مكة المكرمة ، ج ١ ص ٢٥ .

بالجيسمانية شرقي بيت المقدس في الوادي . وقال الآخرون بل ان قبره كان بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس .

وفي بعض الروايات عن الليث عن يونس عن الزهري قال : لم يبعث الله منذ هبط آدم الى الارض نبياً الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس[١] . ومع ما في هذه الرواية من معارضة لمن يقول بان باني مدينة القدس ومخططها الاول كان (ملكيصادق) او حفيده فهي تعرب عن عظمة هذه المدينة عند الاسلام بحيث يجوز ان ينسب لها الرواة مثل هذه الروايات لغرض التقديس .

ومما روي زيادة في توجيه الانظار الى مكانة القدس ومقامها عند الله ان سليمان بن داود كان يتعبد في بيت المقدس السنة والسنتين . والشهر والشهرين ! واقل من ذلك واكثر ! ! فيدخل فيه طعامه.وشرابه[٢]

وفي الاخبار : ان سليمان حين وقف في مؤخرة المسجد دعا ربه وقال :

« اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر له ، اوذي ضرّ فاكشف ضرّه »

وقيل فلا يأتيه احد — اي يأتي المسجد — الا اصاب من دعوة سليمان

وفي روايات الاسلام رواية اخرى اوردها القاضي مجير الدين تقول : ان سليمان حين انتهى من بناء المسجد قال :

اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال

١ — ان لا يدخل اليه مذنب لا يعمده الا لطلب التوبة ان تتقبل منه توبته . وتغفر له ذنبه .

٢ — ولا يدخله خائف لا يعمده الا لطلب الأمن ان تؤمنه من خوفه وتغفر له ذنبه .

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٧٢.
(٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١١٩ .

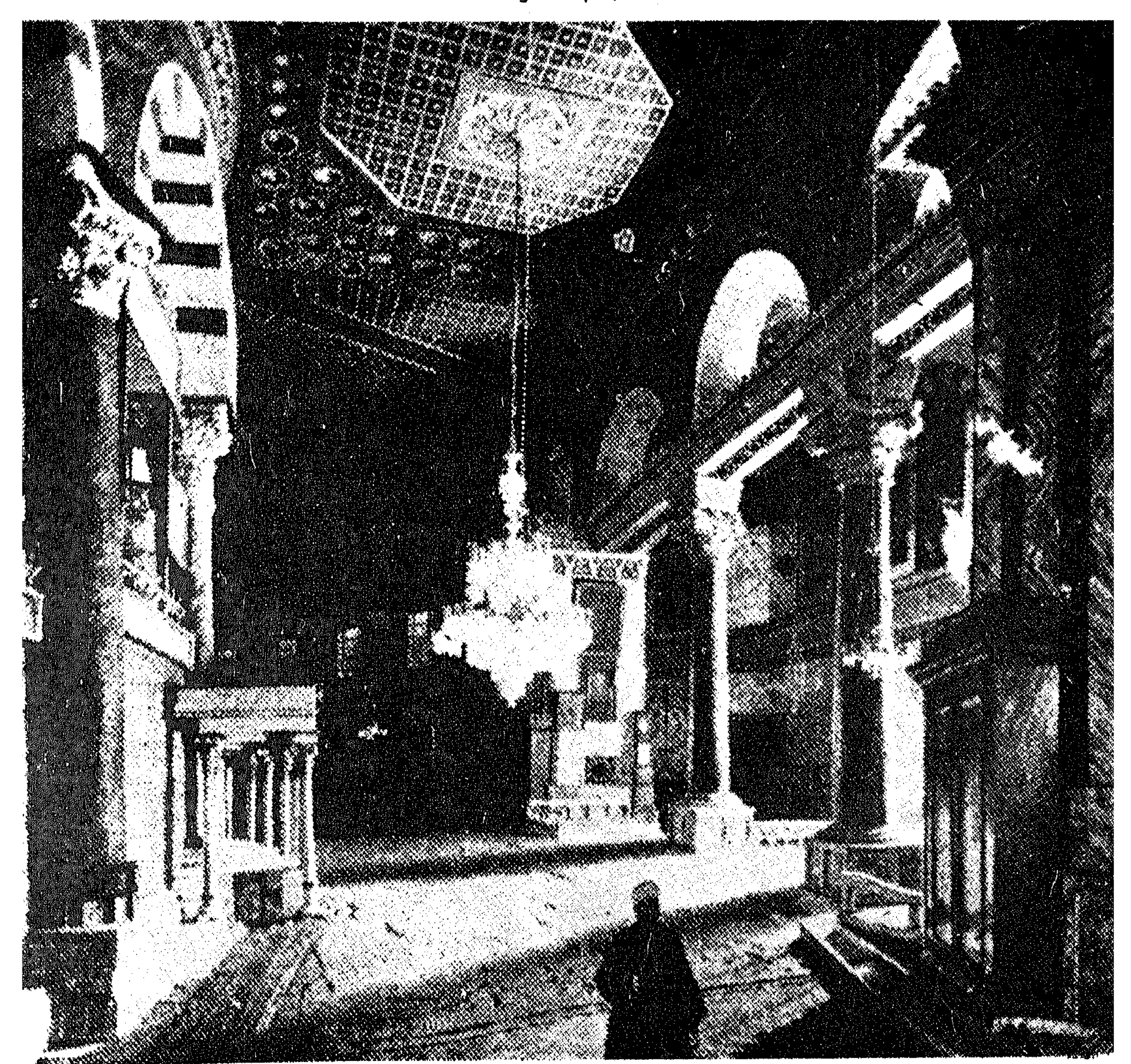
٣ ـــ ولا يدخله سقيم ولم يعمده الا لطلب الشفاء ان تشفي سقمه وتغفر له ذنبه .

٤ ـــ ولا يدخله مقحط لا يعمده الا للاستسقاء ان تسقي بلاده .

٥ ـــ وان لا تصرف بصرك عمن دخله حتى يخرج منه .

وعن النبي (ص) انه قال : ان سليمان بن داود سأل ربه ثلاثاً فاعطاه

مسجد قبة الصخرة



اثنتين ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه الثالثة .

سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه اياه ، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه ، وسأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه ، ونحن نرجو ان يكون قد اعطاه اياه .

وجاء في بعض الاخبار : ان سليمان قد عصى عليه مرة فتح باب بيت المقدس فحار في أمره واذا بشيخ من جلساء ابيه يقبل عليه وهو شيخ طاعن في السنّ فيستجلي خبره ، ويرى حيرته فيقول له :

ــ ألا أعلمك كلمات كان ابوك يقولها عند كربه فيكشف الله عنه ؟

قال ــ : بلى .

قال ــ قل : اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك اصبحت وأمسيت ، ذنوبي بين يديك ، استغفرك واتوب اليك يا حنان يا منان .

ولذلك يستحب على ما تقول هذه الرواية ان يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء إذا دخل من باب الصخرة ، وكذلك من باب المسجد .

والمعروف ان هذا الدعاء أثير عند الداعين في صباح كل يوم ومسائه في مشارق الاسلام ومغاربه .

واشارت الآية الكريمة الى (القدس) باسم القرية من قول الله عز وجل « وإذ قُلنا ادخلوا هذه القرية فكُلوا منها حيثُ شِئتم رغداً وادخلوا البابَ سُجّداً ، وقولوا حِطّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيدُ المُحسنين » .

وقد اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية هاهنا : (بيت المقدس) ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر « ادخلوا الارض المقدّسة » و « كُلوا منها حيثُ شِئتم » أي بما شئتم من طعام القرية بعد المنّ والسلوى ، وقد قيل ان هذه إباحة لهم منه لغنائمها وتملّك اموالها إتماماً للنعمة عليهم .

« وادخلوا البابَ » يعني الباب الذي أمروا بدخوله ، وقيل هو باب

(حطّه) من بيت المقدس[١]

وليست كل (قرية) جاء اسمها في القرآن الكريم تعني بيت المقدس وان تشابه المعنى واوجب الالتباس . ففي قول الله عز وجل « واضربْ لهم مثلاً أصحابَ القريةِ إذ جاءها المرسَلون » فقد اشتهر عن كثير من السلف والخلف كما يقول ابن الاثير في (البداية والنهاية) ان هذه القرية هي انطاكية ولكن هناك من يعارض هذا القول لأن اهل هذه القرية التي يشير اليها القرآن الكريم قد أهلكوا بتكذيبهم الرسل في حين ان اهل انطاكية كانوا قد آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين اليهم . .

وخص الله القدس بالبركة في قوله تعالى « ونجّيناه ولُوطاً الى الارضِ التي باركنا فيها للعالمين » وهي بيت المقدس كما يقول بعض المفسرين لان بها مقام الانبياء . وقد نجى الله ابراهيم ولوطاً وهو ابن اخي ابراهيم وكان قد آمن بإبراهيم . وفي هذه الآية بيان نعمة الله على ابراهيم .

وقد نص القرآن صراحة بفضيلة الارض المقدسة كقوله تعالى : « وإذ قالَ موسى لقومِهِ يا قومُ ادخلوا الارضَ المقدّسة » .

ونصّ كناية ، كقوله« وآويناهما الى رَبوَةٍ ذاتِقرارٍ ومعين»قال ابن عباس : هي بيت المقدس .

وكقوله تعالى « في بيوتٍ أذنَ اللهُ ان تُرفعَ ويُذكرَ فيها اسمُه »

فقيل انه يعني : بيت المقدس كما روى ذلك الطبرسي في تفسيره ،

وفي بركات بيت المقدس قال ابن عباس : بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السنين والايام .

وفي مسنَد الامام احمد من حديث أمامة قال : قال رسول الله (ص) لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم

---

(١) مجمع البيان للطبرسي سورة البقرة الآية ٥٨ مط شركة المعارف الاسلامية .

من خالفهم . ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك .
قالوا يا رسول الله وأين هم ؟
قال — ببيت المقدس واكناف بيت المقدس

ومما قيل عن رسول الله انه قال : قال الله تعالى « ياروشليم — يريد القدس — انت مقدسة بنوري . وفيك المحشر والمنشر . أزفك يوم القيامة كما تزف العروس الى بعلها . ومن دخلك استغنى عن الزيت والقمح » .

وعن أنس قال : قال رسول الله (ص) من زار بيت المقدس محتسباً اعطاه الله أجر الف شهيد .

وعنه (ص) من زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس

وروي عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو انهما قالا : الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بالف .

وقال وهب بن منبه : اهل بيت المقدس جيران الله وحق على الله ان لا يعذب جيرانه .

وفي فصل الصلاة ببيت المقدس . والصوم فيه . والمبيت عنده . والدفن في ارضه . آيات كثيرة تزخر بها الكتب الاسلامية وتتلخص فضيلة القدس في عقيدة الاسلام ! بأن

الله قد كلم موسى في ارض بيت المقدس .

وتاب الله على داود وسليمان في ارض بيت المقدس

وبشر الله زكريا بيحيى في ارض بيت المقدس

وولد المسيح وتكلم في المهد . وانطلقت دعوته . وانزلت عليه المائدة في ارض بيت المقدس .

ورفع الله المسيح الى السماء من بيت المقدس

وينزل المسيح من السماء الى الارض ببيت المقدس

وماتت مريم ببيت المقدس

وهاجر ابراهيم من كوثا الى بيت المقدس

وصلى النبي (ص) زماناً الى بيت المقدس قبل ان يصلي الى المسجد الحرام

وأسري بالنبي (ص) الى بيت المقدس

وبيت المقدس بعد هذا مثوى الرسل والانبياء والصالحين وليس من المهم

ان تكون هناك اخبار تشوبها بعض المبالغات وتحف بها بعض الاساطير ولكن مثل هذا لا يستطيع ان ينفي عظمة القدس وفضيلتها او يقلل من شأنها في معتقد جميع اهل الكتاب وعلى الاخص المسلمين ولا سيما القرآن المجيد الذي يرجع اليه الاسلام في جميع معتقداته .

مسقط رأس مريم حسب التواتر السائد ويقع قرب باب سنت استيفان والمعروف في القرون الوسطى بباب الست مريم و هو الآن كنيسة تدعى بكنيسة (سنت انا) وقد بنيت في زمن الصليبيين »



أول عهـــد القدس في الاسلام

– القبلة –

ان اول عهد القدس بالاسلام أو أول عهد الاسلام بالقدس ابتدأ بالاعتقاد بمكانة هذه المدينة والمسجد الاقصى والصخرة منه على الاخص وقدسيتها عند الله ثم اتخاذ الصخرة قبلة في الصلاة بصفتها القبلة التي صلى عندها الانبياء من ايام يوشع بن نون وظلت قبلتهم الى زمان رسول الله (ص) وقد صلى اليها رسول الله (ص) اول ما صلى ، وكان يجعل الكعبة بين يديه في مكة ، ولما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس ، فصلى إليها ستة عشر ، وقيل سبعة عشر شهراً ثم حولت القبلة الى الكعبة . وهي قبلة ابراهيم ، وكان ذلك في شعبان سنة اثنتين للهجرة في وقت صلاة العصر[1] .

وفي هذا الصدد نزلت الآية الكريمة « قد نرى تقلّبَ وجهكَ في السماء فلنُولّينكَ قبلةً ترضاها فوَلِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرام وحيثما كنتم فوَلّوا وجوهكم شطرَه »

ومع ذلك فلم يفقد المسجد الاقصى اهميته حين تحولت القبلة عنه الى المسجد الحرام فقد وردت عنه احاديث كثيرة اشير الى بعضها في فصول سابقة فضلاً عن النصوص القرآنية الكريمة .

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير القرشي ج ١ ص ٣٠٨ مط السعادة بمصر .

روى ابن خزيمة في صحيحه : ان النبي قال :

صلاة في المسجد الحرام افضل مما سواه من المساجد بمائة الف صلاة . وصلاة في مسجد المدينة افضل من الف صلاة فيما سواه ، وصلاة في بيت المقدس افضل مما سواه من المساجد بخمسماية صلاة[١]

وفي مثل هذا المضمون روي عن النبي انه قال « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا – يعني به المدينة – والمسجد الاقصى[٢] .

الاسراء

والاسراء الى بيت المقدس من اهم ما حظيت به القدس من التقديس والفضيلة عند الاسلام وفي صميم عقيدته فلم تقتصر القدسية على بيت المقدس بكونه اول قبلة اتخذها الاسلام ، وانما خصت بانها كانت نهاية المطاف من الاسراء ومبتدأ عروج النبي (ص) الى السماء في معتقد الاسلام ، سواء كان هذه الاسراء والعروج روحياً كما يقول به البعض او جسدياً كما هو عليه الآخرون .

وفي تفسير الطبرسي للآية الكريمة « سبحانَ الذي أسرى بعَبدهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الاقصى الذي باركنا حَولَه » ان (سبحان) كلمة تنزيه وابراء لله عزّ اسمه عما لا يليق به من الصفات ، وقد يراد به التعجب ، يعني : سبحان الذي سيّر عبده محمداً (ص) ، وهو عجيب من قدرة الله تعالى وتعجيب ممن لم يقدر الله حق قدره واشرك به غيره .

وسرى بالليل ، وأسرى بمعنى ، وقد عُديَّ هنا بالياء ، والوجه في

(١) انها لذكرى – شاكر البدري مط دار البصري – بغداد .
(٢) المصدر المتقدم .

التأويل انه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً . فقيل (سبّح) اي عجب . و (ليلاً) قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة . (من المسجد الحرام) وقال اكثر المفسرين :

أسريَ برسول الله (ص) من دارام هاني أخت علي بن ابي طالب وزوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي . وكان نائماً في تلك الليلة في بيتها[١]

وفي رواية عن ام هاني ابنة ابي طالب : ما أسري به الا من بيتنا . نام عندنا تلك الليلة . صلى العشاء ثم نام . فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح . فقام . فلما صلى الصبح قال :

« يا ام هاني . لقد صليت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادي ثم قد جئتُ بيت المقدس فصليت فيه . ثم صليتُ الغداة معكم » وتصلح هذه الرواية وما بعدها لأن تكون سنداً لمن يقول بالعروج الروحاني

وأنزل الله عز وجل : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناس[٢] »

وقول الله عن الاسراء (ليلاً) معناه بعض الليل . على تقليل وقت الاسراء

وعن الحسن : صلى النبي (ص) المغرب في المسجد الحرام ثم أسريَ به الى بيت المقدس في ليلة . ثم رجع فصلى الصبح في المسجدَ الحرام[٣] .

والمراد بالمسجد الحرام هنا مكة . وان مكة والحرم كلها مسجد .

وقال الحسن وقتادة : كان الاسراء من نفس المسجد الحرام الى (المسجد الاقصى) يعني بيت المقدس . وانما قال الاقصى . لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (الذي باركنا حوله)[٤] وقد مرّ بنا المراد من قوله تعالى

---

(١) مجمع البيان للطبرسي - سورة الاسراء . الآية (١) ص (٣٩٦) مط شركة المعارف الاسلامية .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة القاهرة .

(٣) تفسير التبيان للطوسي - سورة الاسراء الآية (١) ص ٤٤٦ مط دار الاندلس - بيروت .

(٤) مجمع البيان للطبرسي - سورة الاسراء الآية (١) ص ٣٩٦ مط شركة المعارف الاسلامية .

(الذي باركنا حوله) أي جعلنا البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الانبياء ، ومهبط الملائكة (عن مجاهد) وبذلك صار البيت مقدساً عن الشرك لانه لما صار متعبداً للانبياء ، ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك ، اما التقديس فهو التطهير وقد مر كذلك ذكره . وقد اجتمعت فيه بركات الدين والدنيا

اما وسيلة الاسراء فهي دابة اكثر الرواة من وصفها . وجاء في كتاب الأنس الجليل على لسان النبي (ص) قال : أُتيت بالبراق ، وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء .

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى فقال : قال النبي (ص) : وخرج معي جبرائيل لا يفوتني ولا افوته حتى انتهى بي الى بيت المقدس فانتهى (البراق) الى موقفه الذي كان يقف فربطه جبرائيل ، وكان مربط الانبياء قبل رسول الله (ص)[1]

وحين بلغ النبي (ص) بيت المقدس كما تقول الرواية صلى هناك . وقد تلقاه ابراهيم(ع)فبشر له في رهط من الانبياء، وفي رواية قال الرسول (ص) ورأيت الانبياء جُمعوا لي فرأيت ابراهيم، وموسى ، وعيسى فظننت انه لا بد ان يكون لهم امام فقدّمني جبريل حتى صليت بين ايديهم وسألتهم فقالوا بعثنا بالتوحيد[2] .

وفي رواية اخرى : قال النبي (ص) :

احد اروقة المسجد الاقصى



(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٩٨ — ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة — القاهرة .

(٢) المصدر المتقدم

فلما دخلت المسجد اذا بالانبياء والمرسلين قد حشروا الي من قبورهم ، ومثلوا لي وقد قعدوا صفوفاً صفوفاً ينتظروني فسلموا علي ، فقلت :

– يا جبرائيل من هولاء القوم ؟

قال – اخوانك الانبياء والمرسلون ، – ثم قال – : لقد زعمت قريش ان لله شريكاً فاسأل هولاء النبيين : هل كان لله شريكاً ؟

ثم قرأ « واسأل من أرسلنا قَبْلَكَ من رُسُلِنا أجعلنا من دونِ الرحمنِ آلهةً يعبدون » .

وقد قيل ان هذه الآية نزلت على النبي (ص) ببيت المقدس ليلة الاسراء ثم قال النبي (ص) ثم جمعهم جبرائيل وقدمني فصليت بهم ركعتين[1] .

وتقول رواية ابن سعد في الطبقات ثم أخذ جبرائيل بيد الرسول الى (الصخرة) فاقعده عليها ومن هناك ابتدأ عروجه الى السماء .

اما تاريخ الاسراء والعروج فقد كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول ، وقبل الهجرة بسنة واحدة ومن شعب ابي طالب الى القدس[2] .

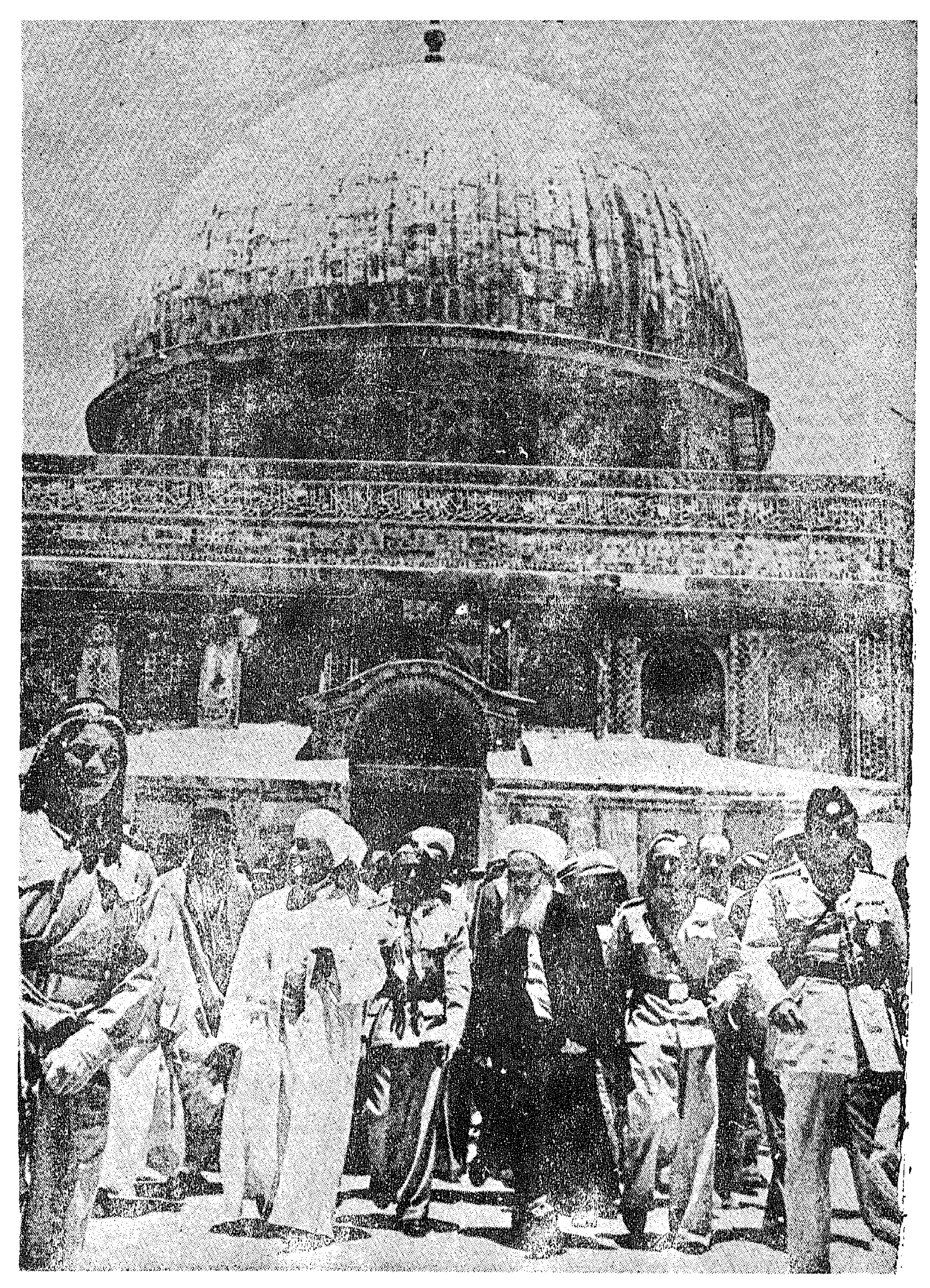
العروج إلى السماء

ومن بيت المقدس ومن فوق الصخرة تم العروج الى السماء .

وعرج في الدرجة والسلّم يعرج عروجاً ،اي ارتقى ، وعرج في الشيء عروجاً رقي ، وعرج الشيء فهو عريج ، ارتفع وعلا .

وفي التنزيل : تعرج الملائكة والروح اليه ، اي تصعد ، وقيل : معارج الملائكة وهي مصاعدها التي تصعد فيها ، وتعرج فيها ، وقال الفرّاء : ذي

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ١٦٣ .
(٢) الطبقات الكبرى لا بن سعد ج ١ ص ١٩٨ – ١٩٩ مط لجنة نشر الثقافة – القاهرة .



قبة الصخرة المباركة

المعارج من نعت الله لان الملائكة تعرج الى الله ، فوصف نفسه بذلك ، والمعرج : المصعد ، والمعرج : الطريق الذي تصعد فيه الملائكة .

والمعراج : شبه سلم او درجة تعرج عليه الارواح اذا قبضت ، والمعراج السلم ، ومنه ليلة المعراج(١) .

والروايات تشير الى النبي (ص) وقد اسري به ليلاً الى المسجد الاقصى وعروجه الى السماء في تلك الليلة وتصف هذه الروايات ما شاهد النبي في السموات مما لا يدخل ذكره في موضوعنا ثم يسهب الشعراء في وصف المعراج والعروج ويقيم الكثير من المسلمين في ذكرى ليلة المعراج من كل سنة احتفالات بهذه المناسبة تتلى فيها قصة الاسراء والمعراج وما قيل في ذلك من الشعر كقول الشاعر :

ورسول الله قد قال لنا ليلة المعراج لما صعدَه
وضع الله بكتفي يده فاحسّ القلب ان قد بردَه .. الخ

وعند العودة من السماء روى الراوون على لسان النبي (ص) انه قال : ثم حملني جبرائيل حتى انزلني على جبل بيت المقدس ، واذا (بالبراق) واقف على حاله ، في موضعه ، فسميت الله ، واستويت على ظهره ، وعدت الى مكة ، وهناك تحدث النبي (ص) للناس بمسراه هذا الى بيت المقدس ، ووصف لهم الطريق الى المسجد ، كما وصف لهم المسجد وما شاهد فيه ورأى في طريقه الى السماء وعودته الى القدس .

هل كان عروج النبي روحياً أم جسدياً

وقد جرى في قضية الاسراء والعروج نقاش اشار اليه المفسرون فهناك من يرى بان الاسراء والعروج كان في المنام وان ما رأى النبي لم يكن الا حلماً

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (عرج) مط صادر ودار بيروت .

ويؤيد المؤرخون الذين يعتمدون الأثر والمادة في بحوثهم اولئك القائلين بأن الاسراء والعروج كان روحياً وكان في المنام ، ولهم على ذلك استدلالات تخالف مباني العقيدة اذ ان العقيدة شيء آخر لا يرضخ للفلسفة ولما تبانت عليه القلة من المفسرين والمؤرخين ، لذلك فان عقيدة الاغلبية من المفسرين ترى ان الاسراء والعروج قد جرى في يقظة من النبي (ص) دون منامه ، ولهم في ذلك احتجاجات يوردونها في تفاسيرهم[1] .

ويشير الطبرسي في تفسيره الى هولاء القائلين بالاسراء والعروج الروحي ويتلخص قوله : بان هناك من قال بان الاسراء بالنبي من المسجد الحرام (اي مكة) الى المسجد الاقصى (اي بيت المقدس) في ليلة واحدة ثم رجوع النبي الى مكة في نفس الليلة وقد صلى الصبح في المسجد الحرام كان ذلك في النوم ولم يكن في اليقظة ، وان عروجه من بيت المقدس الى السماء كان عروجاً روحياً اي لم يكن ذلك في اليقظة ، كما يراه اولئك .

اما الشيخ احمد الاحسائي وهو شيخ طائفة الشيخية ومن المتأخرين فهو يرى : ان للانسان جسدين احدهما (هورقليائي) والثاني (صوري) فالاول منهما هو الجسد اللطيف الذي يمثل مادة الانسان الثابتة أي جوهره الاصيل كما يمثل المعدن مادة الشيء المعمول منه ، اما الجسد (الصوري) فهو الذي يتكون من الاجزاء الفضلية ، والكثافات العرضية الموجودة في بدن الانسان وهي كثافات تكدر البدن وتمنع من صفائه ولطافته ، ويعتقد الشيخ احمد ان النبي حين عرج الى السماء في ليلة الاسراء لم يصعد بجسده (الصوري) الكثيف بل صعد بجسده (الهورقليائي)[2] .

وعن عائشة ان عروج النبي كان روحياً .

---

(١) مجمع البيان — سورة الاسراء الآية (١) ص ٤٤٦ دار الاندلس — بيروت .

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج (٢) مط الارشاد للدكتور علي الوردي وقد

ويسوق الاغلبية من المفسرين على اختلاف مذاهبهم الادلة المستندة الى العقيدة بأن اسراء النبي وعروجه كان جسدياً وكان في اليقظة وعلى هذا الرأي كان الطبرسي وهو من كبار المفسرين .

وسواء كان الاسراء والعروج في اليقظة وهو ما تعتقد به الاكثرية من المذاهب الاسلامية او كان روحياً وفي المنام كما تقول به الاقلية من المفسرين فان ذلك لا يقلل من اهمية الارض المقدسة وبيت المقدس والصخرة في عقيدة الاسلام والمسلمين قاطبة ، ان لم يضف الى بيت المقدس قدسية اخرى تكفي ان تجعل النبي (ص) محمداً يفكر فيهـا ، ويشير اليها ، ويهتم بها ، سواء كان اسراؤه وعروجه جسديـاً ام روحياً .

فتح الإسلام (لايلياء) القدس

الى هنا وكل علاقة الاسلام بالقدس كانت علاقة روحية اقتصرت على تمجيد القدس بالروح والعقيدة ، وحين تم فتح الاسلام للقدس ودخول المسلمين اليها صارت تلك العقيدة طقوساً عملية يقوم بها المسلمون عند دخولهم المسجد الاقصى وزيارة قبور الانبياء فيتبركون بالصلاة في المسجد الاقصى ويؤدون مراسيم الزيارات المأثورة عن الأئمة ، ويتلون الدعوات في بقاعها المباركة ، ويتقربون الى الله في مواضعها المقدسة ، وينزلونها في الاسلام المنزلة الثالثة في التقديس بعد المسجد الحرام في مكة ، ومسجد النبي في المدينة ، بصفتها بيت الله الذي صلى اليه النبي (ص) والمسلمون اول ما صلّوا .

وفي قصة فتحها من قبل جيوش المسلمين روايات تتلخص في حصار المسلمين للمدينة ووقوع بعض المعارك حول اسوارها تحت قيادة ابي عبيدة فقبلت القدس الصلح على شريطة ان يتم ذلك على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ض) وان يحضر الخليفة نفسه عقد هذا الصلح ، فكتب ابو عبيدة الى الخليفة ابن الخطاب (ض) بذلك ، وتكثر الروايات في كيفية تلقي الخليفة

= اخرجه من (احقاق الحق) لموسى الاسكوئي مط النجف ١٩٦٥ — الفصلين الرابع والخامس .

هذا الطلب ، وجاء في كتاب الانس الجليل : ان عمر بن الخطاب حين تلقى كتاب ابي عبيدة استشار روساء المسلمين في أمر حضوره تسليم القدس وتعهده وجاهاً لسكانها المسيحيين ، فقال له عثمان :

ان الله قد أذلّهم ،وحصرهم ،وضيق عليهم ،وهم في كل يوم يزدادون نقصاً وهزالاً ، وضعفاً ورعباً ، فان انت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بامرهم مستخفّ ، ولشأنهم حاقر غير معظم ، فلا يلبثون الا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية .

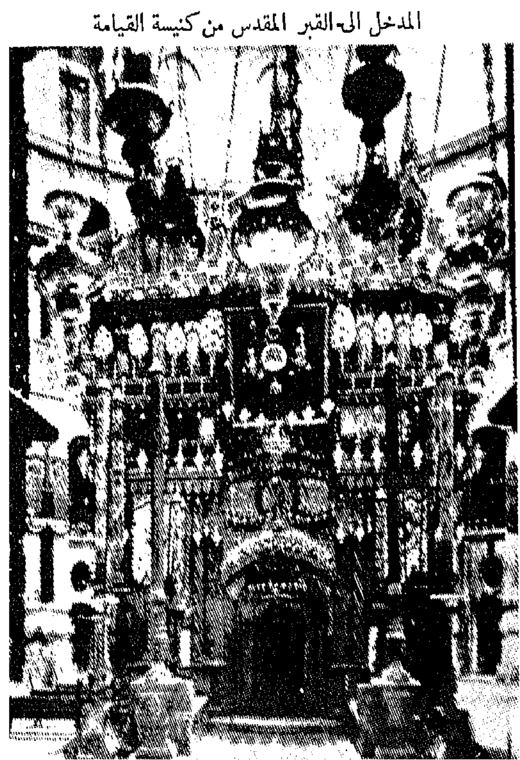
فقال عمر (ض) ما ترون ؟ هل عند احد منكم رأي غير هذا ؟ فقال علي بن ابي طالب (ع) :

— نعم عندي غير هذا الرأي .

قال — ما هو ؟

قال — انهم قد سألوا المنزلة التي فيها الذل لهم والصغار ، وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عزّ . وهم يعطونكها الان في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك الا ان تقدم عليهم ، ولك في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ومخمصة . وفي قطع كل واد . وفي كل نفقة . حتى تقدم عليهم . فاذا انت قدمت عليهم كان الأمن . والعافية . والصلاح . والفتح . ولست آمن إن آيسوا من قبولك الصلح منهم ان يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا . أو يأتيهم منهم مدد . فيدخل على المسلمين بلاء . ويطول بهم حصار . فيصيب المسلمين من الجهد والجوع مايصيبهم . ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم

المدخل الى القبر المقدس من كنيسة القيامة



بالنشّاب ، او يقذفونهم بالمناجيق ، فان اصاب بعض المسلمين تمنيتم انكم افتديتم قتل رجل من المسلمين بمشرك الى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من اخوانه اهلا »[١] .

و اخذ عمر (ض) بهذا الرأي و استخلف علي بن ابي طالب (ع) مكانه في المدينة وسار نحو ارض الشام . وصالح أهل (ايلياء) بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً ما خلا اهل (ايلياء) فقد خصوا بعهد مستقل .

وكان ذلك في سنة ٦٣٦ م الموافق ١٥ هجرية ، وكان قيل بل انه كان في ربيع الآخر سنة ١٦ هجرية واستقبل الخليفة عمر استقبالاً عظيماً من لدن البطارقة والقسس والرهبان وعلى رأسهم (صفرونيوس) كبير البطارقة[٢] .

وعن ابي مريم مولى سلامة . قال : شهدت فتح ايلياء (القدس) مع عمر رحمه الله فسار من (الجابية) فاصلاً حتى يقدم ايلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد . وكان اول ما طلب ان يراه هو مسجد داود ، فيقول ابو مريم. ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه فدخله ، ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه[٣] .

وحين زار عمر الصخرة رفع عنها الادران ، وأمر ببناء مسجد عليها وسمي (بمسجد عمر) وزار كنيسة القيامة ، واباح الدخول الى هذه المدينة للزوار من مختلف الاديان واستثنى من اولئك اليهود كما جاء في العهد الذي سيأتي .

نص العهد الذي اعطاه الإسلام للقدس

ومن نصوص العهد الذي اعطاه الخليفة عمر بن الخطاب (ض) لاهل

---

(١) كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٢.
(٢) انها لذكرى – شاكر البدري مط دار البصري – بغداد .
(٣) تاريخ الامم والملوك – الطبري ج ٣ ص ١٠٦ مط الاستقامة .

القدس ومقارنته بالعهد الذي اعطي لاهل الشام تتبين مكانة القدس في الاسلام وعقيدته باجلى صورها ويكفي هذا العهد وحده ليحكي نظرة الاسلام للقدس ، ومنزلة القدس في صلب الديانة الاسلامية ومعتقداتها ، واهميتها واهمية ساكنيها من المسيحيين عند المسلمين باستثناء اليهود .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل (إيلياء) من الامان ، أعطاهم أماناً لانفسهم ، واموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها : انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن (بايلياء) معهم احد من اليهود ، وعلى اهل (إيلياء) أن يعطوا الجزية كما يعطي اهل (المدائن) وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه ، وماله . حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على اهل (ايلياء) من الجزية ، ومن أحب من اهل (ايلياء) ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم ، وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل (ايلياء) من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله . وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية » .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص . وعبد الرحمن بن عوف . ومعاوية بن ابي سفيان[١] وكان ذلك سنة ١٥٠ هجرية وقيل بل كان ذلك سنة ١٦ هجرية كما مرت الاشارة اليه[٢] .

---

(١) تاريخ الامم والملوك – لابن جرير الطبري ج ٣ ص ١٠٥ مط الاستقامة بالقاهرة .
(٢) الكامل في التاريخ – لابن الاثير ج ٢ ص ٤٩٩ دار صادر ودار بيروت – بيروت .

عهد الخليفة عمر لأهل الشام

وسكان الشام في غالبيتهم كسكان القدس مسيحيون في الغالبية ولكن التفاوت الحاصل بين العهدين العهد الذي اعطي لاهل القدس والعهد الذي اعطي لاهل الشام ليس ناشئاً مما ابدت الشام من صلابة في محاربة المسلمين قبل الصلح وان يكن مثل هذا عاملاً من عوامل التشدد والقسوة في الشروط ، ولكن العامل الكبير في استجابة الخليفة عمر (ض) طلب سكان القدس وحضوره الصلح بنفسه ، ومنحهم الحرية الكاملة وما اجراه من تساهل ملحوظ إنما يعود لما لهذه المدينة من منزلة سامية في الاسلام ومكانة كبيرة في عقيدة المسلمين بالاضافة الى تعزيز القرآن للمسيحيين والثناء عليهم كما جاء في الآية الكريمة .

« لتجدنّ أشدّ الناسِ عداوةً للذين آمنُوا اليهودَ والذين أشركوا ولتجدنّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا الذينَ قالوا إنا نصارى ذلكَ بانّ منهم قسّيسينورُهباناً وانّهم لا يستكبرون »(١) .

و لتبيين الفروق الكبيرة بين العهد الذي اعطي لاهل القدس والعهد الذي اعطي لاهل الشام نثبت هنا عهد عمر (ض) لاهل الشام .

« عن عبد الرحمن بن غنم ، قال : كُتِب لعمر بن الخطاب (ض) حين صالح نصارى اهل الشام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كُتب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذاً وكذا : انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لانفسنا وذرارينا ، واموالنا ، واهل ملتنا ، وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ، ولا قلاية ، ولا صومعة راهب ، ولا نحيي منها ما كان في خطط المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا ان

---

(١) سورة المائدة — الآية ٨٥ .

ينزلها احد من المسلمين في ليل او نهار ، وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل ، وان ننزل من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ، ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم غشاً للمسلمين ، ولا نعلم اولادنا القرآن ، ولا نظهر شركاً ، ولا ندعو اليه احداً ، ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده ، وان نوقّر المسلمين ، ونقول لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ، ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلّين ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكنّى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وان نجزّ مقادم رؤوسنا ، وان نلزم زيناً حيثما كنا ، وان نشد زنانير على اوساطنا ، ولا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صلباننا ، ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ، ولا في اسواقهم ، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضرباً خفيفاً ، ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

قال : فلما أتيت عمر بن الخطاب (ض) بالكتاب زاد فيه : « ولا نضر باحد من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئاً مما شرطناه لكم وضمنّاه على انفسنا فلا ذمة لنا ، وقد حلّ لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق » .

وقد روى هذا الامام البيهقي وغيره ، واعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون[1] .

---

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٢٢٦ .

فضائـــل اخرى

وفضائل أخرى أضيفت الى القدس بعد الفتح الاسلامي زادت من تمسك المسلمين بهذه المدينة واحلالها من العقيدة المحل الأسمى .

فعن رجاء بن حيواة عمن شهد دخول عمر بن الخطاب (ض) بيت المقدس قال : لما شخص عمر من (الجابية) الى (ايلياء) فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب قال : لبّيك اللهم لبيك ، بما هو أحبّ اليك .

ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام وذلك ليلاً فصلى فيه ، ولم يلبث ان طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم (ص) وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم في الثانية : (صدر بني اسرائيل) ثم ركع ثم انصرف[1] .

وفي رواية ان عمر بن الخطاب (ض) قد خطب بعد دخول القدس بالمسلمين وذلك قبيل رجوعه الى المدينة ، وحضرت الصلاة ، فقال عمر لبلال الحبشي : ألا تؤذن لنا رحمك الله ؟

قال بلال : يا امير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذّن لأحد بعد رسول الله (ص) ولكن سأطيعك اذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها ، فلما اذّن

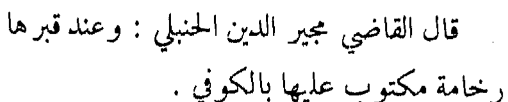
---

(١) تاريخ الامم والملوك — ابن جرير الطبري ج ٣ ص ١٠٦ مط الاستقامة بالقاهرة .

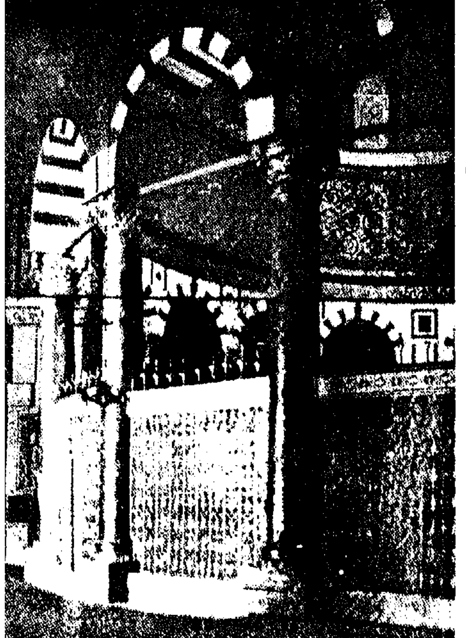
بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم فبكوا بكاء شديداً ، ولم يكن يومئذ اطول بكاء من ابي عبيدة ، ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر : حسبكما رحمكما الله[١] .

هذا مضاف الى بناء الحرم القدسي الشريف المشيد على جبل (موريا) من بيت المقدس والذي يحوي المسجد الاقصى المبارك ، ومسجد صخرة بيت المقدس ، والاثار الاسلامية المنتشرة هنا وهناك وفي اطراف بيت المقدس ، ومضاف لما قد شيد من ابنية ومساجد ومعابد ، مما صبغت القدس بصبغة اسلامية عملية تتمشى مع صبغتها الروحية وقدسيتها الشريفة ، ففي مكان قصر (هيرودس) الروماني أنشيء مقر للحكومة الاسلامية بعد الفتح بقليل اي في القرن السابع الميلادي وذلك بدليل العثور على سور مطمور يتصل به حصن مستدير الشكل بني على طراز قصور الخلفاء الاولين كما نرى نماذجها في (الغور) وفي بادية الشام ، والتي يرجع تاريخها الى القرن الثامن للميلاد وآخر القرن الاول للهجرة[٢] .

وكثرت المساجد ، وكثر ملازموها من العباد والمتقربين الى الله ببيت المقدس ، ودفن عدد كبير من الاولياء واحفاد الرسول في تلك المساجد ومن ذلك كان مسجد (اليقين) وبظاهره مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) .


قال القاضي مجير الدين الحنبلي : وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي .

داخل قبة الصخرة بيت المقدس



(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) دليل قلعة القدس تأليف س.ن جونص مط سنترال شارع بن يهودا – القدس .

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنُه بالرغم مني بين التّرب والحجـــر
أفـــديك فاطمة بنت ابن فاطمـــة بنت الأئمة بنت الانجم الزهـــر

وجاء في شعر ابن حجر العسقلاني قوله :

الى البيت المقدس جئت ارجو جنان الخلد نزلاً من كريم
قطعنـــا في مسافتـــه عقـــاباً وما بعد العقاب سوى النعيم

وجاء في شعر ابي العلاء المعري عن قدسية القدس قوله :

يا شاكي النوب انهض طالباً حلبـــاً نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك اذا حاذيتها ورعاً كفعل موسى كليم الله في القدس

ومن ابدع اقوال المتأخرين قول احمد شوقي في القدس :

بلد على ارض الهدى وسمائـــه المجد حائطه ورأس بنائـــه
بلد بنوه الاكرمون قبورهـــم وقصورهم وقف على نزلائه

وقول جورج صيدح عن القدس اذ يقول :

سلي سماء شعوب الارض هل بلغت ما في ثراك من الامجاد والعظم
طلعت فجراً على التاريخ فاض سنـــا وما جزيت بغير الظلـــم والظلم
أيجحد الغرب من بـــالله عرفـــه وكان إيمانه بالسيف والصـــنم

الى غير ذلك الكثير من الشعر والذي يصور مكانة الارض المقدسة في نظر الاسلام وعقيدته من القديم والحديث خير تصوير .

من اهم الحوادث الرئيسية
في تاريخ مدينة القدس

نحو سنة

١٠٠٠ ق.م. اتخذ الملك داود مدينة القدس عاصمة لمملكته
٩٦٠ « « بنى الملك سليمان هيكله .
٥٨٧ « « خراب القدس على يد نبوخذنصر وسبي اليهود الى بابل
٥٣٩ « « عودة اليهود من السبي .
٥٢٠ « « إعادة بناء الهيكل .
٤٤٤ « « اعادة بناء اسوار القدس على عهد نحميا .
١٧٠ « « فتح الملك انطيوخوس أبيافانيس مدينة القدس وتدنيس الهيكل .
١٦٥ « « ثورة المكابيين ، واعادة تدشين الهيكل .
من ٤٠ الى ٤ ق.م هيرودوس الكبير باني الهيكل الثالث وبرج انطونيا والقصر الاعلى (وكان هذا الاخير يشمل برج القلعة الشمالي الشرقي) .
٧٠ ب.م. خراب القدس على يد الرومان ، واقامة حامية رومانية في القصر الأعلى .
١٣٠ ب.م. أسس الامبراطور هادريانوس مستعمرة رومانية في القدس ودعاها إيليا كابيتولينا
٣٢٦ ب.م. شروع الامبراطور قسطنطين الكبير بتشييد كنيسة القيامة .

نحو سنة

٦٣٦ ب.م. الفتح الاسلامي .

٦٩١ ب.م. بناء قبة الصخرة المشرفة مكان الهيكل .

١٠٩٩ « « فتح الصليبيين مدينة القدس واتخاذ (برج داود) قصراً لملوكهم منذ ١١٠٠ م .

١١٨٧ « « استرجاع القدس من قبل المسلمين تحت قيادة السلطان صلاح الدين الايوبي .

١٢٣٩ « « هدم تحصينات برج داود .

١٢٦٠ « « استيلاء المماليك المصريين على القدس .

من ١٣١٠ ب.م فصاعداً — اعادة بناء برج داود .

١٥١٦ « « الفتح العثماني .

١٩١٧ « « الاحتلال البريطاني[١]

١٩١٧ « « وعد بلفور .

١٩٤٨ « « احتلال جانب من القدس من قبل اسرائيل .

١٩٦٧ « « احتلال القدس كاملاً من قبل اسرائيل .

---

(١) دليل قلعة القدس : س.ن جونص معط سنترال شارع بن يهودا — القدس .

اهم مصادر هذا البحث

القرآن الكريم
التوراة ـ سفر التكوين ـ سفر الملوك
انجيل لوقا
كشف الآيات
تاريخ اليعقوبي
مروج الذهب ـ للمسعودي .
الطبقات الكبرى ـ لابن سعد .
تاريخ الامم والملوك ـ لابن جرير الطبري .
الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير .
تفسير التبيان ـ للشيخ الطوسي .
مجمع البيان ـ للطبرسي .
لسان العرب ـ لابن منظور .
تاج العروس ـ للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي .
القاموس ـ للفيروز آبادي .
دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي .
قصص الانبياء ـ لعبد الوهاب النجار .
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .
معجم البلدان لياقوت الحموي .
العصور القديمة ـ لجيمس هنري بريستد .

موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم مكة المكرمة ـ لجعفر الخليلي .
العرب قبل الاسلام ـ لجرجي زيدان .
تاريخ الحضارات العام ـ تاليف طائفة من العلماء الفرنسيين من منشورات عويدات .
فلسطين في ضوء الحق والعدل ـ تأليف المحامي هنري كتن ، وترجمة وديع فلسطين .
كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ للقاضي مجير الدين الحنبلي
البداية والنهاية ـ لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي
تاريخ القدس ـ لعارف باشا العارف .
بطلان الاسس التي أقيم عليها وجود اسرائيل على الارض العربية للمحامي حسين جميل .
دليل قلعة القدس ـ تأليف س.ن.جونص .
الطريق الى فلسطين ـ لمحمد عنان .
لقاء عند بوابة مندلبوم ـ لاحمد فوزي عبد الجبار .
اهل العلم والحكم في ريف فلسطين ـ لاحمد سامح الخالدي .
اسطورة الشعب المختار ـ ترجمة الدكتور اكرم فاضل .
اسرائيل بنت بريطانيا البكر ـ لمحمد علي الزعبي .
انها لذكرى ـ لشاكر البدري .
جريدة الحياة البيروتية .
مذكرات الحاج امين الحسيني ـ مجلة فلسطين

حي المغاربة بالقدس

كتبه

عبد الهادي التازي

خريج جامعة القرويين والاستاذ بجامعة فاس سابقاً
والعضو بالمجمع العلمي وسفير المملكة المغربية ببغداد اليوم



حي المغاربة بالقدس

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ اللحظات الاولى التي اعتنقوا فيها الاسلام كمذهب ، ولهذا فقد شدتهم اليه نفس الوشائج التي شدتهم الى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة فكان جلّهم يمر بالشام عند مقفله من الحج حتى ينعم برؤية مسرى النبي العربي ويحقق الاجر في شدّ الرحلة الى المساجد الثلاثة ...

عرج عليه عشرات الاعلام ممن كانوا نبراساً يهتدى بهم في الديار المغربية فكانوا يعطّرون بذكره المجالس ، وكانوا يروون عن الايمة الذين صادفوهم هناك من امثال ابي بكر الطرطوشي وابن الكازروني وقد اجتمع بهما فخر المغرب القاضي ابو بكر ابن العربي الذي رافق والده الامام عبد الله في سفارته الى المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشين(١) ..

ومن امثال القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد ابن جماعة الذي حضر مجلسه الرحالة المغربي النقاد العبدري ٦٨٩ (١٢٩٠ — ١٢٩١) (٢) وأمثال محمد بن سالم الغزي وعماد الدين النابلسي وشهاب الدين الطبري ومحمد ابن مثبت الغرناطي ممن كانوا على صلة بالرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة ،

---

(١) المقرى — نفح الطيب ٢٤٤ — ٢٤٨ — عبد الهادي التازى — تاريخ المغرب الدبلوماسي ص ٧ .

(٢) نشر الرحلة الاستاذ محمد الفاسي اخيراً ضمن سلسلة الرحلات التي ينشرها المركز الجامعي للبحث العلمي ...

ومن امثال ابي الحسن الواسطي وابي عبد الله محمد بن سالم الكناني وابي البركات زين الدين وعلي ابن ايوب المقدسي وشمس الدين الخولاني ومحمد بن نباتة الذين اتصلوا بالكاتب المغربي خالد البلوى[١] ...

سفارة ابن منقذ الى المغرب

كانت سمعة الاساطيل التي كان المغرب يتوفر عليها قد وصلت الى الديار المشرقية وبخاصة ايام دولة الموحدين الذين انشأوا لهم « دار الصنعة » المختصة بانشاء الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية[٢]

وبما ان الفرنج ملكوا سواحل الشام اواخر الدولة الفاطمية ، وملكوا معها بيت المقدس فقد صارعهم صلاح الدين الايوبي وافتتح البيت حوالي سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧ – ١١٨٨ م) .

وعندئذ انقضت امم النصرانية من كل جهة على سواحل الشام شأنها في المغرب عندما تحالفت على الاجهاز على الوجود الاسلامي بالاندلس ...

لقد اعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تتمكن اساطيل الاسكندرية آنذاك لصد الغزو الصليبي نظراً لضعفها وقلة عددها .

ومن هنا وردت فكرة الاستغاثة باسطول المغرب الذي كان يهيمن على مسالك البحر الابيض المتوسط ..

وكان أن بعث القائد صلاح الدين الى السلطان يعقوب المنصور سنة ٥٨٦ (١١٩٠ – ١٩١١ م) يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا ، وصور ، وطرابلس الشام .

(١) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة رقم ١٢٨٨/د ورقم ٥٨٠٣ بالمكتبة الملكية الرباط .

(٢) ابن صاحب الصلاة – تاريخ المن بالامامة نشر التازى ص ٢١٤ . ابن ابي زرع – روض القرطاس طبعة حجرية ص ١٦٤

وقد أوفد على رأس هذه البعثة المهمة الامير ابا الحرث عبد الرحمن بن منقذ الشيزري[١] ، طالباً « ان تحول القوات المغربية في البحر بين اساطيل الفرنج وبين امداد النصرانية بالشام من الجهات الاخرى . »

وقد بعث صلاح الدين بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ، ووزن مائة درهم من عطر البلصان ، وعشرين رطلاً من العود القماري وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوساً عربية بأوتارها ، وعشرين من النصول الهندية مع عدة من السروج المثقلة ...

وقد وصلت السفارة فعلاً الى الديار المغربية فصادفت المنصور بالاندلس في عملية عسكرية لقمع الاعتداءات التي اخذت تتوالى على المدن الاندلسية وجعل حد للزحف الصليبي الذي اخذ يستفحل بعد انكسار وبذة عام ٥٦٧[٢].

وانتظر السفير ابن منقذ بمدينة فاس عودة السلطان المنصور الذي طيّر اليه الخبر عن طريق الرقاصية[٣] المغاربة .

وقد كان يوم استقبال الوفد يوماً مشهوداً بفاس العاصمة الاولى للدولة المغربية .

هناك تسلم العاهل المغربي الرسالة الأيوبية التي كانت من انشاء الاديب عبد الرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل[٤] .

---

(١) النفح ١،٤١٩ – الاستقصا ٢،١٦٣ – جمال الدين الآلوسي – أسامة ابن منقذ ص ١٦٣ – ٤١ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن ص ٥٠١ .

(٣) الرقاصة ج رقاص وهو في الاصطلاح المغربي يعني رجل البريد وكان المغرب يتوفر منذ ذلك التاريخ على انواع من البريد فيها العادي فيها السريع الذي كان مضرب المثل في ايصال الاخبار عن اقصر طريق .

(٤) كان صلاح الدين يقول : « لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل » وقد توفي القاضي بالقاهرة عام (٥٩٦) ابن خلكان – ١،٢٨٤ .

لقد كانت ديباجة الكتاب « من الفقير الى الله تعالى يوسف ابن ايوب صلاح الدين الى امير المسلمين .. وبعده : « الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض واغنى من أهلها من سأله القرض ، واجرى من اجرى على يده النافلة والفرض ، وزين سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض ... وهو كتاب طويل ...

وكان السفير ابن منقذ مدح السلطان المنصور بقصيدة طويلة كذلك من اربعين بيتاً كان من حملة ابياتها :

سأشكر بحراً ذا عباب قطعتـــه ... الى بحر جود ما لأخراه ساحل !
الى معدن التقوى الى كعبة النـــدى ... الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمـــر المؤمنين ولم تـــزل ... الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنـــاً ... بان نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العـــلا فبلغتها ... وادنى عطاياك العلا والفواضل
فـــلا زلت للعلياء والجود بانيـــا ... تبلغك الآمال ما انت آمل !

وقد ابتهج السلطان المنصور بسفير صلاح الدين وحمله على « مباهج البر والكرامة » كما تقول المصادر المغربية ، واعجب بشخصية الامير ابن منقذ واكرمه باربعين الف دينار .

وبالرغم من بعض المؤاخذات التي كانت للسلطان يعقوب على الامير صلاح الدين بسبب تسريح هذا الاخير مولاه قراقوش لبلاد المغرب سنة ٥٦٨ (١١٧٢ — ١١٧٣) لمحالفة خصوم الموحدين والتشغيب عليهم[١]

---

(١) ليس صحيحاً ان سبب المواخذة هو تجافي صلاح الدين عن خطاب المنصور بامير المؤمنين واكتفائه بنعته بامير المسلمين فان مثل هذه الالقاب ما لم يحفل به القادة المغاربة سيما في ظروف الشدة التي كانت تستدعي وحدة الكلمة ، ويدلنا على ذلك انهم اي المغربيين كانوا لا يجدون غضاضة في ان يرددوا اسماء خلفاء بغداد على منابر مساجدهم كما انهم كانوا ينقشون اسماءهم على السكة الى جانب اسمائهم.. الامر الذي يؤكد ان بواعث المواخذة كانت اعمق من هذا وابعد .. =

بالرغم من ذلك جهز له بعد ذلك بمائة وثمانين اسطولاً كان لها اثر قوي على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول ابن خلدون[1] .

وان الذي يعرف غيرة المنصور الموحدي وتفانيه في ساحات الجهاد ويعرف مع ذلك حاجة الاندلس بالذات لليقظة الزائدة والحركة المطردة ليدرك جيداً تضحية المنصور بل مغامرته بارسال مثل هذا العدد من الاساطيل الجهادية الى اقصى جهات المتوسط .

ولعل احسن تعبير أدّته الشام اعترافاً بجميل العاهل المغربي هو ذلك المشهد الذي اقاموا له على مقربة من دمشق على ما عند ابن خلكان ...

ومعلوم ان ذلك العدد من المراكب لم يأخذ طريقه دون عسكر مدرب ودون متطوعين ومرشدين ومجاهدين وبهذا نفسر التحاق عدد من المغاربة بالشام كان فيهم الصناع والعمال والفقهاء من امثال ابي الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ غزا بالمغرب مع الموحدين ، وبالشام مع صلاح الدين[2] .

وعندما حقق صلاح الدن آماله في إبعاد الخطر عن بيت المقدس اذن لمن يريد من المغاربة بالعودة الى ديارهم لكنه كان بحاجة الى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعداداً للطوارىء .

= والحقيقة ان تسريح قراقوش للديار المغربية والايعاز له بمحالفة ابن غانية وعرب افريقية كان مما سبب للموحدين متاعب جمة لولاهـا لـ،ان للموحدين في بلاد الاندلس فتوحات عظيمة لا تقدر بثمن .. ولعل في هذا كفاية ايضاً عن الرد على من ذكر ان مواخذة المنصور ترجع لكون رسل صلاح الدين كانوا ضد الفاطميين الذين هم من اصل مغربي ...

(١) صبح الاعشي – الاستقصا ١٦٣،٢ – الشبيبي – ادب الاندلسيين والمغاربة

(١) من غريب ما يروى ، مما يدخل في نشاط مقصات الرقابة ، ان نسخ ابن خلدون المغربية تحتفظ بهذا النص في الوقت الذي نجد فيه النسخ المطبوعة بالمشرق تخلو من الاشارة لنجدة صلاح الدين ، وعلى النسخة المغربية اعتمد الناصري صاحب كتاب الاستقصا المجلد ١٦٣ – ١٦٤ – عبد الله كنون : النبوغ المغربي ص ١٠٧ .

(٢) صلة الصلة رقم ٢١٨ .

ومن هنا كانت كذلك مدرسة المالكية ومسجد المغاربة الذي تحدث عنه خالد البلوى الاندلسي منذ سنة ٧٣٨ (١٣٣٧ — ١٣٣٨ م)[1] كما تحدث عنه ذو الوزارتين السفير ابو القاسم الزياني في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[2] .

* * *

لكن كل هذا لم يكن كافياً لتمركزهم بالقدس فقد كان على دولة بني مرين التي ورثت دولة الموحدين ان تقوم باول محاولة من نوعها في سبيل تملك العقار بتلك الديار ، وكأنها تنبهت لما يهدد البيت الحرام من غزو آخر يكون على شكل تملك اراضي تلك البقاع ...

وهكذا نجد السلطان ابا الحسن علياً بن عثمان يخصص سنة ٧٣٨ (١٣٣٧ — ١٣٣٨) ستة عشر الفاً وخمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع في الحرمين والقدس ...

وحتى يعرب الملوك المغاربة عن تعلقهم بتلك الرحاب قاموا انفسهم بنسخ ثلاثة مصاحف كبرى بخط ايديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيراً باهمية التربة وتعبيراً ...

وكما كان الشأن في مصحف مكة عام ٧٣٨ (١٣٣٧ — ١٣٣٨) ومصحف المدينة عام ٧٤٠ (١٣٣٩ — ١٣٤٠) فقد قام السلطان ابو الحسن عام ٧٤٥ (١٣٤٤ — ١٣٤٥) بانتساخ المصحف بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه ، كما احضر القراء لضبطه وتهذيبه ، وضع له ظرفاً مؤلفاً من الابنوس والعاج والصندل وغشاه بصفائح الذهب وغلفه من فوق برقاع من الحرير والديباج ...

---

(١) راجع رحلة البلوى ... مجلة اللقاء دجنبر ١٩٦٩ ص ٢٤ — محمود العابدي : بيت المقدس ١٩٦٩ ص ٢٩ .

(٢) الترجمانة الكبرى نشر وزارة الانباء المغربية ص ٢٦٨ .

سور القدس القديم

مسجد الصخرة المشرفة

حائط المبكى لليهود (البراق)

منازل حي المغاربة

المحكمة الشرعية الاسلامية

المسجد الاقصى

منازل حي المغاربة

قرية سلوان

باب المغاربة

سور القدس القديم

درج مؤدي الى زاوية ضريح سيدي بومدين وباب السلسلة

مسجد المغاربة وزاوية بومدين

شرق

شمال

جنوب

غرب

كنيس يهودي

طريق مستطيل يحيط بحي المغاربة

(منظر تخطيطي لحي المغاربة قبل حرب ١٩٦٧)

وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر ان ابا الحسن ادركته وفاته قبل الفراغ من نسخها . فقد بعث بهذا المصحف الجميل الى ابي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، بواسطة احد سفرائه اللامعين : هو ابو الفضل ابن ابي عبد الله بن ابي مدين عندما توجهت الاميرة مريم الى الديار المقدسة ...

وقد ذكر المقري صاحب نفح الطيب[1] انه رأى المصحف الذي ببيت المقدس ورأى ربعته (يعني ظرفه) وهي في غاية الصنعة .

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس الى السنوات الاخيرة حيث وقفتُ عليه يوم ثاني شتنبر من عام تسعة وخمسين وتسعمائة والف ، وقرأت عليها اسم « عبد الله علي » وتاريخ ٧٤٥ ...

* * *

واستمرت صلة الدولة المغربية بتلك البقاع ليس فقط لما تتمتع به من قداسة ولكن لان عدداً مهماً من المواطنين المغاربة ارتبط بتلك الديار فكان جسراً شريفاً بين مغرب الاسلام ومشرقه ، ولهذا فلا عجب ان نجد السلطان أبا العباس احمد المنصور السعدي يستقبل في قصره بالمغرب عدداً من علماء مكة والمدينة وبيت المقدس . وهكذا نجد الفقيه امام الدين ابن محمد بن يوسف ابن علاء الدّين بن قاسم البطائحي الخليلي الاشعري يرتبط ببيت المقدس لدرجة تجعله — بالرغم مما لقيه في بلاط ابي العباس من كرم الضيافة ولطف المعشر — يعبر عن شوقه الى تلك الرحاب :

اهلي بارض القدس ينتظروني   قد مسهم الم النّوى ببعادي
لي طفلة كلف الفؤاد بحبهـــا   وتشتتت لفراقهـــا اكبادي

* * *

جست الاراضي واختبرت ملوكها   ولقيت من فيها من الامجاد

---

(١) النفح ٦,١٣٦ – الاستقصا ١٣ .

ما شاهدتْ عيناي مثلك في الورى تتبين الاشيـاء بالاضـداد
بل جودكم عمّ الانـام وقدركم أربى على المأمون في بغداد(١)

* * *

وكما كان الشأن في العهود السابقة فاننا نجد الامر كذلك بالنسبة في العصور اللاحقة حيث ظل القدس مزار المغاربة يقصدونه جيئة وذهاباً سواء أكان اتجاههم نحو الحجاز مع ركب الحاج او نحو اسطنبول في مهمات سياسية كما ظلت فكرة تملك العقار بالبقاع المقدسة في صدر اهتمام الملوك المغاربة .

وقد قرأنا عن الاميرة لالة خناثة زوجة السلطان المولى اسماعيل وام السلطان المولى عبد الله وجدة السلطان محمد الثالث ، قرأنا عنها اقتناءها العقار بالبقاع المقدسة وصرفها ما يناهز الالف مثقال ذهب مطبوعة في ذلك وتعيينها ناظراً للسهر على ريع الوقف وتوزيع فوائده(٢) .

وقد اهتم الملوك العلويون بامر جاليتهم في القدس فوجه السلطان المولى عبد الله بضعة وعشرين مصحفاً بخطوط جميلة كان منها ما نال ثالث الحرمين(٣)

كما ان السلطان محمد الثالث وقف عدداً من المخطوطات على الحرمين وبيت المقدس بالنظر لتكاثر المغاربة هناك وتمكنهم من جل مرافق المدينة .

وقد امسى المسجد الاقصى بمثابة مزارة مغربية لا تختلف عن مشهد المولى ادريس الاكبر بمدينة زرهون او ادريس الازهر بمدينة فاس ، الامر الذي يفسره الاهتمام بنشر قرارات الدولة في تلك المراكز على نحو نشرها بالديار المغربية لما ان الحاليات المغربية تتواجد بكثرة في تلك البقاع .

* * *

(١) المقرى : روضة الآس العاطرة الانفاس (مطبوعات القصر الملكي ١٩٦٤ ص ١٤—١٥ .

(٢) رحلة الاسحاقي (مخطوطة) بالخزانة الكبرى لجامعة القرويين وهي تحمل رقم ٢٠٨/ ٨٠ وتوجد نسخة اخرى في مكتبة النقيب ابن زيدان تحت رقم ١٩٢٨ — عبد الهادي التازى — امير مغربي في ليبيا (طبع دار المصراتي — طرابلس) .

(٣) الزياني — الروضة (مخطوط) ص ٩١ (ب) .

ومن هناك كثر المغاربة واخذوا يجدون لهم فروعاً في شتى جهات فلسطين ، ومع انهم امتزجوا بباقي الاسر المتواجدة هناك فانهم ظلوا ملتفين بعضهم بعضاً محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم في المطعم والملبس متخذين جلهم من المذهب المالكي مرجعاً لهم كما هو الشأن بالمغرب الاقصى ومتخذين فوق ذلك وكيلاً لهم يدافع عن مصالحهم ويرعى حقوقهم ويقوم بتوزيع المساعدات التي استمرت تصل الفقراء والمحتاجين منهم من الديار المغربية .

وبالرغم من انه لا يضبط تاريخ محدد لتأسيس حي المغاربة ولا للباب الذي يحمل اسم باب المغاربة[1] مما يتصل بالحي المذكور ، بالرغم من ذلك فان سائر القرائن تدل على انه من الاحياء القديمة جداً التي يرجع تاريخها الاول لعهد صلاح الدين الايوبي — إن لم يسبق ذلك التاريخ — وقد جددت دون شك بعض جهاته ايام السلطان سليمان القانوني ...

ويعتبر حيّ المغاربة برمته من الاوقاف الخيرية المغربية ، وهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة القديمة ، ويلاصق المسجد الاقصى والصخرة وحائط المبكى (حائط البراق الشريف) شرقاً ، والحي اليهودي غرباً وسور القدس (باب المغاربة) جنوباً ، وباب السلسلة المحكمة الشرعية الاسلامية شمالاً .. (انظر الرسم) . والحيّ يضم مائتين وخمسة واربعين عقاراً ويحتوي على سبعمائة وثلاثين شقة سكنية ومسجدين وخمسة مخازن ويقع في الحيّ بعض الابنية الاثرية التي بناها المماليك واهمها قصر الامام . وجميع تلك المنازل ملاصقة بعضها بعضاً . وهي ابنية قديمة تشتهر بآبارها وغرفها الصغيرة نوعاً ما . وجدرانها السميكة حيث يصل سمك الجدار احياناً المتر الواحد . كما تشتهر

---

(٣) محمود العابدي : بيت المقدس ص ٣٣ — ٤٠ .

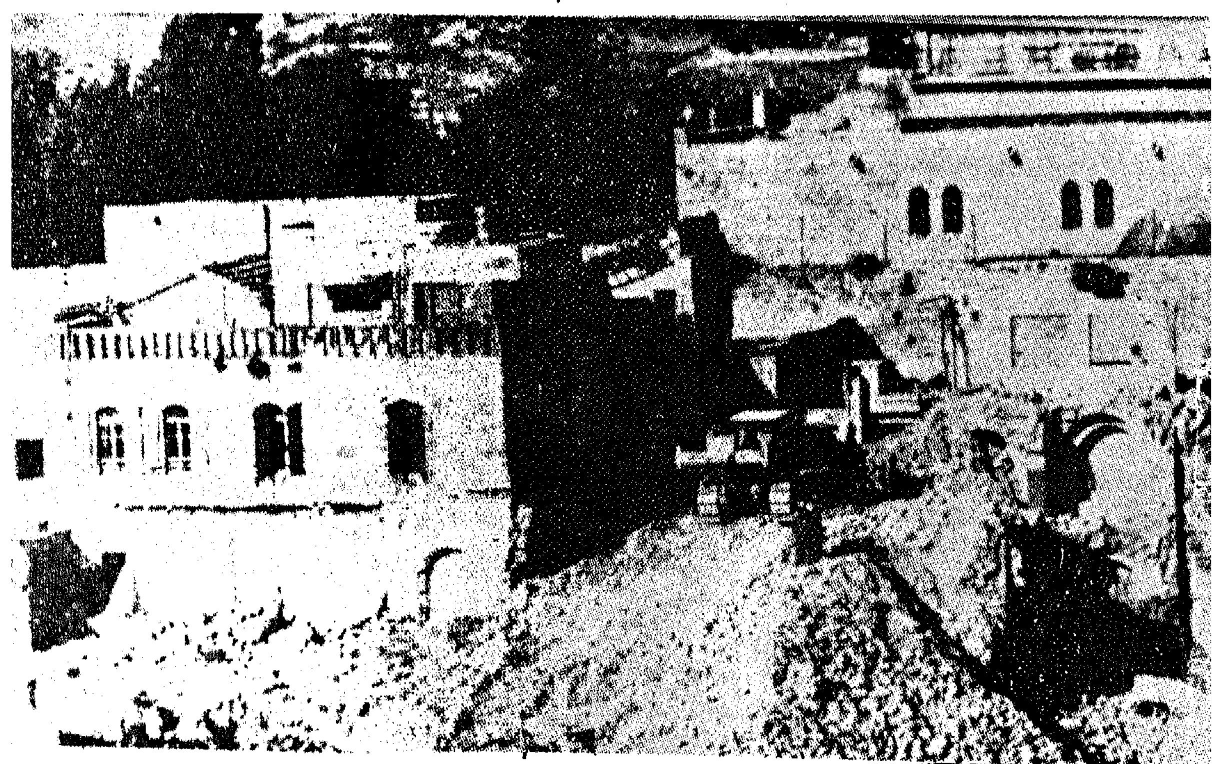
بصغر مداخلها الرئيسية كبقية احياء القدس القديمة ، وببضع درجات نزولاً .

وفي معظم تلك البيوت يوجد سرداب يؤوي اليه السكان في فصول الصيف ، ويختزنون فيه بعض المواد التي يتسرع اليها الفساد ، وان اكبر بيت في حيّ المغاربة لا يتجاوز الطابقين وثمان غرف الا ان العلامة المميزة له عن بقية الاحياء كونه غير مسقوف ولا وجود للقناطر فيه ...

ولا ينكر ان في حيّ المغاربة بيوتاً اصبحت غير صالحة للسكنى بسبب تداعيها ، ومع ذلك نجدها آهلة بسكانها المغاربة مع العلم ان هنالك لجنة للاصلاح والترميم تشرف عليها الاوقاف الاسلامية .

ومن ابرز المعالم التي توجد في الحيّ زاوية سيدي بومدين الغوث التي كانت تحتوي ، فيما تحتوي عليه ، سيفَه الذي قيل انه كان يجاهد به ضدّ الصليبيين

أحدى الجرافات الاسرائيلية تهدم جانباً من حي المغاربة
الملاصق للمسجد الاقصى المبارك يوم ١٤/ ٦ / ١٩٦٩



عندما زار بلاد المشرق[1] ..

وتضم الزاوية حوالي عشرين غرفة صغيرة جداً لا تتجاوز مساحة كل منها ثلاثة امتار على مترين ، يقيم فيها الحجاج الواردون من المغرب والجزائر وتونس ، بحيث تعتبر الزاوية مقر استراحة للحجاج الافارقة في طريقهم الى الحجاز ذهاباًوايابا . وفيهم من يستهويه الحال فيقطن فيها بصورة دائمة . ويتخذ حيّ المغاربة شكلاً مربعاً يحيط به طريق ضيق مبلط مع بضع درجات ، ويربط الحيّ بالقدس القديمة حيّ باب السلسلة . كما يربطه بالقدس الجديدة باب المغاربة وهو باب الحيّ في سور القدس . وللحي المغربي اهمية لوجود حائط المبكى (حائط البراق الشريف) فيه . ويؤم الحائط كما هو معلوم آلاف السياح والرواد كل سنة ، وكل من يروم زيارة الحائط لا يدخله من اختراق الحيّ .

وبعض تلك الاملاك — على ما اسلفنا — من وقف مغربي اقدمه يرجع لعهد المرابطين والموحدين وبني مرين .

وعندما اعتدي على القدس الشريف من قبل القوات الصهيونية الغاشمة يونيه ١٩٦٧ صادرت اسرائيل تلك الاوقاف وضمتها الى املاكها واخلتها من سكانها مستعملة لتحقيق ذلك وسائل الضغط الاقتصادي وقطع المجاري وشبكات المياه واخيراً استعمال القوة والنسف حيث دمر الحيّ المغربي عن

---

(١) يعتقد بعض العوام ان ضريح الشيخ بومدين يوجد هنا والحقيقة انها مزارة فقط لما روي من انه عندما زار بيت المقدس كان يفضل ان يعطي دروسه بهذا المكان ، ومن المعلوم ان الشيخ بومدين اخذ العلم عن رجالات فاس اواخر دولة المرابطين واوائل دولة الموحدين وبعد ان مكث عدة اعوام بفاس انتقل الى مكة حيث لقى الشيخ عبد القادر الجيلاني ولما عاد الى المغرب — عبر الشام — انصرف لتعليم الصوفية فاستقر ببجاية وقد توفي عام ٥٩٤ ودفن برباط العباد قرب تلمسان وبنيت عليه قبة بأمر من السلطان الموحدي محمد الناصر ابن ابي زرع : روض القرطاس طبعة فاس ١٢٠٣ ص ١٩٤ — الجذوة ٣٣٢ تعريف الخلف برجال السلف ١٧٢,٢ — دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٩,١ الاستقصا ١٨٩,٢ .

بكرة ابيه وسوي بالارض ، واقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مكانه ساحة عامة تتوسطها حديقة ملاصقة لحائط المبكى .

وقد تمت ازالة مباني الحيّ المغربي بتاريخ ١١-٦-١٩٦٧ اي بعد احتلال اسرائيل للقدس بخمسة ايام . وقد قامت الهيئة الاسلامية في القدس بواجبها عندما تكشفت ان تنفيذ نسف حيّ المغاربة سيتطلب هدم باقي الابنية العربية القائمة بين باب المغاربة والزاوية الجنوبية الغربية للحرم والملاصقة للمسجد الاقصى من جهة الجنوب ، وكذلك عمارة المحكمة الشرعية القديمة وباب السلسلة من جهة الشمال ، وهكذا سارعت الهيئة الاسلامية بتقديم مذكرة الى السلطات المحتلة بتاريخ ٩-٨-١٩٦٧ تطالب فيها بايقاف اي اجراء تعسفي جديد[٢].

ولم يكد خبر العدوان الوحشي على مبنى القدس الشريف يصل مسامع الملك الحسن الثاني حتى استجاب للنداء الجريح الباكي الذي توجه به الملك الحسين عاهل الاردن الى مختلف الدول الاسلامية ..

وهكذا احتضن المغرب موتمرين اثنين متواليين : القمة الاسلامي الذي حضرته خمس وعشرون دولة،والقمة العربي التي شاركت فيه سائر الدول العربية[٣] .

* * *

والحديث عن حيّ المغاربة يقتضي منا أن نتعرف قليلاً على اولئك الذين كانوا الى الامس القريب يقيمون بهذا الحيّ مخلفين في ذلك آباءهم وجدودهم الاقدمين .

---

(١) روحي الخطيب : العدوان الاسرائيلي على المقدسات الاسلامية في القدس ص ٨ .
(٢) روحي الخطيب : العدوان الاسرائيلي ص ٨ .
(٣) عبد الحميد السائح : ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ١٩٧٠ .

ان الجالية المغربية القاطنة فقط في حيّ المغاربة تضم اكثر من خمس وعشرين عائلة يقدر عدد افرادها بحوالي ٨٠٠ شخص ، كما توجد بعض العائلات متفرقة في مدن الاردن كاريحا ، وعكا ، وعمان ، ومجموع افراد الجالية الكلي يقـارب الـ ١٣٠٠ شخص عدا الحجـاج القاطنين في زاوية سيدي بومدين .

وتوجد الى جانب الجالية المغربية طائفة من العائلات الجزائرية والتونسية والليبية الا انها لا تتجاوز السبع عائلات .. والمعروف ان جل المغاربة في فلسطين والشام كان جدودهم قدموا من الوطن الام (المغرب) على ما اسلفنا لكن فيهم ايضاً من قدم مع الجيوش الفرنسية واعتصموا بهذه البقاع فارين من العمل ضد غزو اخوتهم .

واشهر العائلات المغربية هي عائلة المرحوم الحاج ادريس المغربي المعروف بابي الايتام والمشهور بأياديه البيضاء على دار الايتام التي انشأها المجلس الاسلامي الاعلى في بداية العشرينات ، وعائلة المرحوم الحاج ابراهيم الفكيكي وعائلة المرحوم الشيخ محمد المهدي ، وعائلة المرحوم الحاج علي النقيب ، وعائلة السيد صالح الطيب ، وعائلة المرحوم الحاج احمد المصلوحي ، وعائلة السيد احمد الفاسي والسيد سعيد الفيلالي ، وعائلة السيد احمد بو حمالة واسرة الحاج البشير التازى واسرة الاشراف العلميين ...

وهذه العائلات تقطن الحيّ منذ مئات السنين بدون اجرة ويحق للشاب المغربي الراغب في الزواج ان يطالب ببيت مستقل له ولزوجته في حالة عدم اتساع بيت ابيه له بعد الزواج ، وكما كان منذ القدم فان جميع افراد الجالية المغربية تتمتع بمساعدات مادية من الحكومة المغربية تقوم هذه بصرفها الى لجنة شؤون المغاربة لتقوم بتوزيعها على المحتاجين سواء من سكان البيوت او من المجاورين في زاوية سيدي بومدين ، هذا الى المساعدات الغذائية اليومية .

* * *

ولما كان عدد افراد الجالية المغربية في تزايد مستمر ، ولما كانت مصالحهم واعمالهم كثيرة فكر رجال الجالية بفصل الاوقاف المغربية عن شؤون الاوقاف الاسلامية . ونجحوا في ذلك مطلع عام ١٩٥٤ ، وهكذا اصبحت الاوقاف المغربية مستقلة مالياً واداريا ، وقد عينت الاوقاف الاسلامية بالاشراف مع لجنة مغربية الشيخ الحاج محمد المهدي عميداً للجالية يحمل اختاماً خاصة ويشرف على تصريف شؤون المغاربة في الاردن ، كان بمثابة « مختار » وقد استمر في منصبه حتى عام ١٩٥٩ . ولما كان الشيخ المهدي قد طعن في السن كثيراً اجتمع رجال الجالية ثانية في نفس التاريخ وانتخبوا الحاج علي النقيب كعميد لهم يمثلهم لدى الاوقاف الاسلامية ويشرف على امورهم ، وقد استمر هذا في منصبه حتى وافاه الاجل عام ١٩٦٢ ، بعدها عقدت الجالية اجتماعاً طارئاً قرروا فيه انتخاب السيد محمد الفِكّيكي خلفاً له ولا يزال هذا الاخير يشغل منصبه حتى الوقت الحاضر ، لكن اشرافه اقتصر على ما تبقى من افراد الجالية المغربية في الارض المحتلة .

وعلى ذكر الرئاسة هذه نشير الى ان منصب الرئاسة او (المخترة) هو منصب فخري لا يتقاضى من يشغله اي اجر وانما يتلقى المساعدة المادية كبقية افراد الجالية لا يفوتهم بأي شيء .

* * *

وبعد اسر القدس الشريف وتراكم الاعمال على السيد الفيكّيكي اصبحت سفارة المملكة المغربية الملجأ الوحيد لافراد الجالية يراجعونها في تصريف امورهم ، وقد استعان السيد عبد الكبير الفاسي سفير المغرب آنذاك بالسيد احمد بو حمالة — بعد التشاور مع افراد الجالية — وهكذا اصبح بو حمالة بمثابة رئيس مساعد يقدم للسفير المشورة اللازمة .

وقد أمسى افراد الجالية المغربية يعيشون في مخيمات النازحين كبقية جميع اخوانهم اللاجئين الفلسطينيين .

وازاء هذه الحال المضنية عمد المغرب الى اسعاف ابنائه وهكذا امر جلالة الملك الحسن الثاني بارسال طائرات متتابعة محملة بالمواد الغذائية والالبسة والاغطية الصوفية والاحذية والاعانات المادية التي وزعت في الوقت المناسب على المشردين المعذبين .

لكن في المغاربة من لم يتحمل هذه الحياة المريرة التي لم يتعودوها منذ ان نسفت منازلهم وسويت بالارض ففكر معظمهم في العودة الى الوطن الام المغرب ، وقد كان مما شجعهم على ذلك ما امر به العاهل المغربي من تسهيل العودة بالطائرة على كل الراغبين في ذلك ، وقد تم بالفعل تسفير عدد من العائلات المغربية بطريق الجو حيث وجدوا في استقبالهم الصدور الرحبة والمعاملة اللائقة ، ومع ان الشعور بالاسى يغمر اولئك المغاربة الذين اصبحوا بين عشية وضحاها دون ماوى ولا مثوى فانهم مشبعون املاً في ان لهم عودة الى بيوت لهم نحتها اجدادهم منذ مئات السنين ، وانهم ولو أنهم يعتزون بوطنهم الام لكن الروح التي شدتهم الى القدس ستظل مهيمنة على كل وجدانهم ومشاعرهم الى ان يهزموا الظلم الذي حف ببيت المقدس وبحي المغاربة فيه ..

اورشليم الكنعانية (بيت المقدس)
في اقـــدم عصورها

كتبه

الدكتور احمد سوسه

الحائز على درجة شرف من جامعة جونس هوبكنس
ومدير الري العام ومدير المساحة العام في العراق سابقاً



أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في أقدم عصورها

١ – تمهيد
٢ – تسمية المدينة في مختلف أدوارها
٣ – سكانها الأولون
٤ – جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها
٥ – أسوار المدينة قديماً وحديثاً
أ – السور القديم (السور الأول) .
ب – السور الثاني .
ج – السور الثالث والأخير .
٦ – تارخ المدينة القديم
ا – الدور الأول – دور ما قبل ظهور بني اسرائيل
ب – الدور الثاني – دور بني اسرائيل .
١ – عهد موسى .
٢ – عهد يشوع .
٣ – عهد القضاة .
٤ – عهد الملوك .
٥ – عهد الانقسام – مملكتا اسرائيل ويهوذا .
٦ – الغزو الآشوري وازالة اسرائيل .
٧ – الغزو الكلداني وازالة يهوذا .
٧ – أورشليم في زمن الفرس الاخمينين (٥٣٨ – ٣٣٢ ق.م.)
٨ – أورشليم في زمن الاغريق (٣٣٢ – ٦٤ ق.م.)
أ –عهد الاسكندر الكبير .
ب – النزاع بين القواد اليونانيين بعد موت الاسكندر .
ج – النزاع بين البطالسة في مصر والسلوقيين في سورية .
د – طبقة من اليهود تتقبل الثقافة اليونانية .

هـ – تدخل روما في الشرق .
و – محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية واندلاع ثورة المكابيين .
ز – عهد المكابيين في فلسطين (١٦٦ – ٣٧ ق.م.)
ح – فترة اضطرابات ومشاحنات تمهد الى تدخل الرومان في شؤون فلسطين .
ط – الرؤساء المكابيون ومدد حكمهم (١٦٦ – ٣٧ ق.م.)
ى – جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الاغريقي (٣٣٤ – ٦٤ ق.م.)
٩ – أورشليم في زمن الرومان (٦٤ ق.م. – ٦٣٨ ب.م.)
أ – التنازع بين الدول على السيطرة في الشرق وتغلب الرومان في الصراع .
ب – يهوذا تخضع لحكم روما المباشر – كابينوس نائب قنصل في سورية .
ج – كراسوس وكاسيوس في حكم سورية .
د – اليهود في عهد قيصر – انتيباتر الأدومي خازق وحاكم في أورشليم .
هـ – مارك انطونيوس وكليوبطرة – القضاء على انطونيوس واقامة الانبراطورية الرومانية .
و – هيرودس الأدومي ملك على يهوذا وعلى الجليل .
ز – تقسيم مملكة هيرودس على أولاده بعد وفاته .
ح – هيرودس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملك على فلسطين .
ط – موت اغريبا وثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠ م .
ى – ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخيا والقضاء عليها .
ك – تساهل الرومان مع اليهود في نشاطاتهم الدينية واعادة تشكيل السنهدرين .
ل – الانبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية وأثر ذلك في انتشار وتغلب المسيحية .
م – الصراع بين الفرس والرومان حتى الفتح الاسلامي .
ن – جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الروماني (٦٤ ق م – ٦٣٨ ب.م)

المختصرات

نظراً لكثرة الاشارة إلى اسفار التوراة فقد اثبتنا طريقة اختصار اسمائها على الوجه الآتي : —

سفر التكوين	مختصره	(تك)
سفر الخروج	مختصره	(خر)
سفر االاويين	مختصره	(لاو)
سفر العدد	مختصره	(عد)
سفر التثنية	مختصره	(تث)
سفر يشوع	مختصره	(يش)
سفر القضاة	مختصره	(قض)
سفر راعوث	مختصره	(را)
سفر صموئيل الأول	(١ صم)	
سفر صموئيل الثاني	(٢ صم)	
سفر الملوك الاول	مختصره	(١ مل)
سفر الملوك الثاني	مختصره	(٢ مل)
سفر أخبار الأيام الأول	(١ أخ)	
سفر أخبار الأيام الثاني	(٢ أخ)	
سفر عزرا	مختصره	(عز)
سفر نحميا	مختصره	(نح)
سفر المزامير	مختصره	(مز)
سفر الجامعة	مختصره	(جا)
سفر اشميا	مختصره	(اش)
سفر ارميا	مختصره	(ار)
سفر خرقيال	مختصره	(حز)
سفر هوشع	مختصره	(هو)
سفر يوئيل	مختصره	(يو)
سفر عاموس	مختصره	(عا)
سفر المكابيين الأول	مختصره	(١ ملك)
سفر المكابيين الثاني	مختصره	(٢ ملك)

أورشليم الكنعانية (بيت المقدس) في اقدم عصورها[1]

١ ــ تمهيد :

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستديمة ، منذ أن أسّسها اليبوسيون الكنعانيون قبل زهاء خمسة آلاف عام[2] حتى يومنا هذا ، مثل مدينة أورشليم (بيت المقدس الحالية) : هي الارض المباركة « دار السلام » كما سمّاها الأقدمون ، وقد حمل ملوكها القدماء لواء عقيدة التوحيد للاله العلي لأول مرة في التاريخ البشري على ما يرى الكثير من المؤرخين . وقد خصّها الله بالعديد من الأنبياء حتى قيل إن بناءها تم على يدهم وسكنوها « ما فيها موضع شبر الا وقد صلّى فيه نبي او قام فيه ملك »[3] . كما خصها الله باسراء رسوله المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فقال في كتابه العزيز : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي

---

(١) لقد اتخذنا مصطلح أورشليم في بحثنا هذا عن تاريخ القدس القديم لان المدينة كانت تعرف بهذه التسمية في تلك العصور قبل ظهور بني اسرائيل وقبل أن تكون قد تكونت لغة عبرية بمعنى اسرائيلية بعدة قرون فهي إذن كلمة كنعانية (عربية) بحتة علينا ان نعتز بها مثلما نعتز بتسمية القدس .

(٢) يرى الأستاذ أولبرايت الذي يعد في مقدمة الثقاة في تاريخ فلسطين أن تاريخ الكنعانيين في فلسطين يرجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، انظر : **W. F. Albright** :
« Archaeology and the Religion of Israel », 1942, p. 68.

(٣) معجم البلدان ١ : ١١٢

باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير » .[١]

وانطلاقاً من عقيدة التوحيد نطق الملك الكنعاني (العربي) « ملكي صادق » ملك شاليم (اورشليم) « الكاهن لله العلي » . حين بارك ابراهيم الخليل (ع) بقوله : « مبارك الله العلي الذي اسلم أعداءك في يدك »[٢] ، وما زالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السماوية الثلاث بكل تجلة وتعظيم . وملكي صادق ، هذا يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو زمن ابراهيم الخليل (ع) وهو من نسل كنعان بن حام كان ملكاً على مدينة أورشليم وولايتها التي كانت تعرف باليبوسية نسبة الى يبوس ولد كنعان[٣] . وجاء في بعض التقاليد اليهودية أن « ملكي صادق » هو سام وان تقدمه بالعمر وشرف نسبه جعلاه جديراً بان يبارك ابراهيم (ع) ، ويرى العلماء المحدثون ان « ملكي صادق » من سلالة حام وكان محافظاً على سنّة الله القديمة بين شعب وثني ، وقد عرف بالتقوى والزهد . وقيل إن ملكي صادق كان يسكن هو وقومه في الكهوف وكان أول من اختط أورشليم وبناها وكان محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام ، ومن هنا جاء اسم المدينة « شالم » و « شليم » و « سالم » أي مدينة السلام . ويقول الانجيل إن السيد المسيح صار « على رتبة (ملكي صادق) رئيس كهنة الى الأبد » . ويقول بعد ذلك عن « ملكي صادق » إنه لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة . بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهناً الى الابد »[٤] . فالتوراة والانجيل معاً يصفان الكاهن الكنعاني بصفة الكاهن الأعلى وبصفة الخلود ويرفعانه الى المنزلة التي يتلقى منه ابراهيم بركة الإله العلي . إله السموات والأرض .

وقد وصل الينا من أسماء ملوك أورشليم غير « ملكي صادق » الملك

---

(١) س ١٧ : ١
(٢) تك ١٤ : ٨
(٣) تك ١٠ : ١٥
(٤) رسالة العبرانيين ٥ : ٦ و ٧ : ٤

« عبدي هيبا » أو « عبدي خيبا » وهو الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة في ست رسائل وجهها الى ملك مصر « أمنحوتب الرابع » ، أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة ، وهو المسمّى أيضاً « اخناتون » ، وقد اشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم بين سنة ١٣٧٥ و نة ١٣٥٨ ق.م بدعوته لعقيدة التوحيد . ومن أهم ما ورد في هذه الرسائل طلب الملك « عبدي خيبا » العون من ملك مصر لصد هجمـــات أهـــل البادية « العبيرو » أو « الهبيرو » أو « الخبيرو » ، وهم العبريون أهل البادية الشمالية الذين منهم جاءت كلمة « عبري » التي شاع استعمالها للدلالة على اليهود في العصور التالية . وفي جملة اقوال هذا الملك : « إن هذه الأرض ، أرض أوروسالم ، لم يعطني اياها ابي ولا أمي ولكن أيدي الملك القوية هي التي ثبتتني في دار آبائي وأجدادي ، ولم اكن أميراً بل جندياً للملك وراعياً تابعاً للملك ... منحت ملكية ارض أوروسالم الى الملك الى الابد ولا يمكن ان يتركها للاعداء ... »(١) وكان آخر ملوك أورشليم عند هجوم بني اسرائيل بقيادة يشوع على المدينة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الملك « أدوني صادق »(٢) . وقد ورد ذكر هذا الملك في التوراة في جملة الملوك الخمسة الذين اعتبروا من العموريين(٣) .

ونظراً لما كان لأورشليم من دور رئيسي في تاريخ فلسطين القديم ، فلا يمكن فصل البحث في تاريخها القديم عن تاريخ فلسطين بصورة عامة . لذلك فقد ضم هذا البحث تفاصيل لأحداث جانبية معاصرة لم يكن بالوسع إهمالها لصلتها بمنطقة أورشليم بوصفها جزءاً مهماً من فلسطين .

---

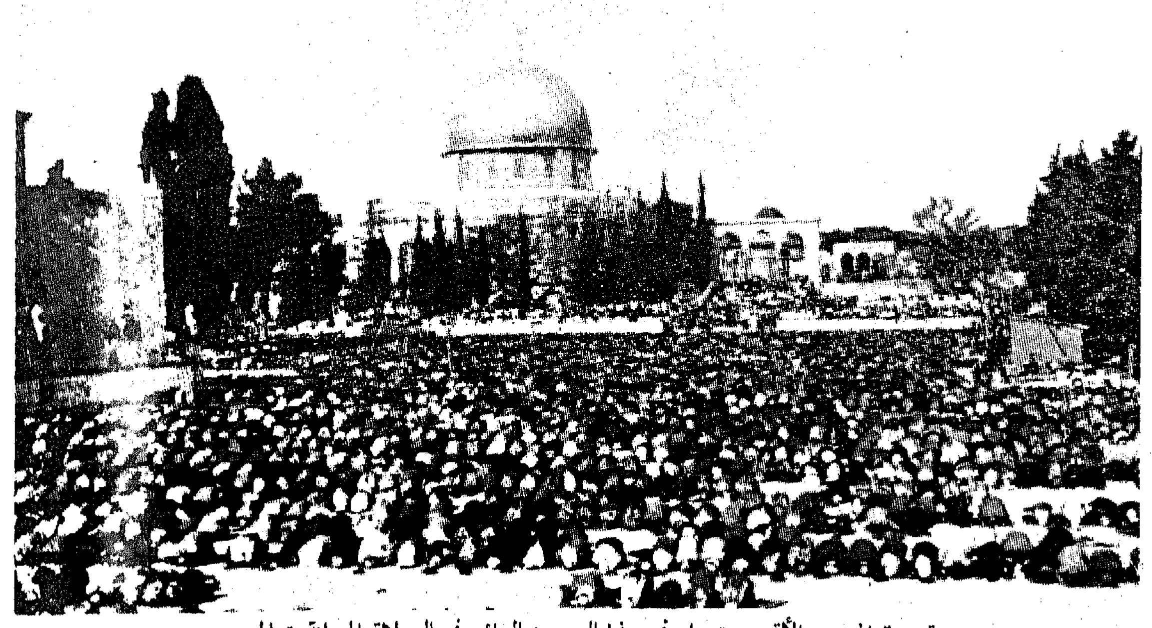
(١) R. W. Rogers « Cuneiform Parallels, to the Old Testament», N.y., 1912 pp. 268—278; A. Jeremias , « The old Testament in the Light of the Ancient East», London 1911 Vol. II, P. 27 : G. A. Barton, Archaeology and the Bible», Philadelphia, 1916, pp. 4o3 — 406.

(٢) يش ١٠ : ١

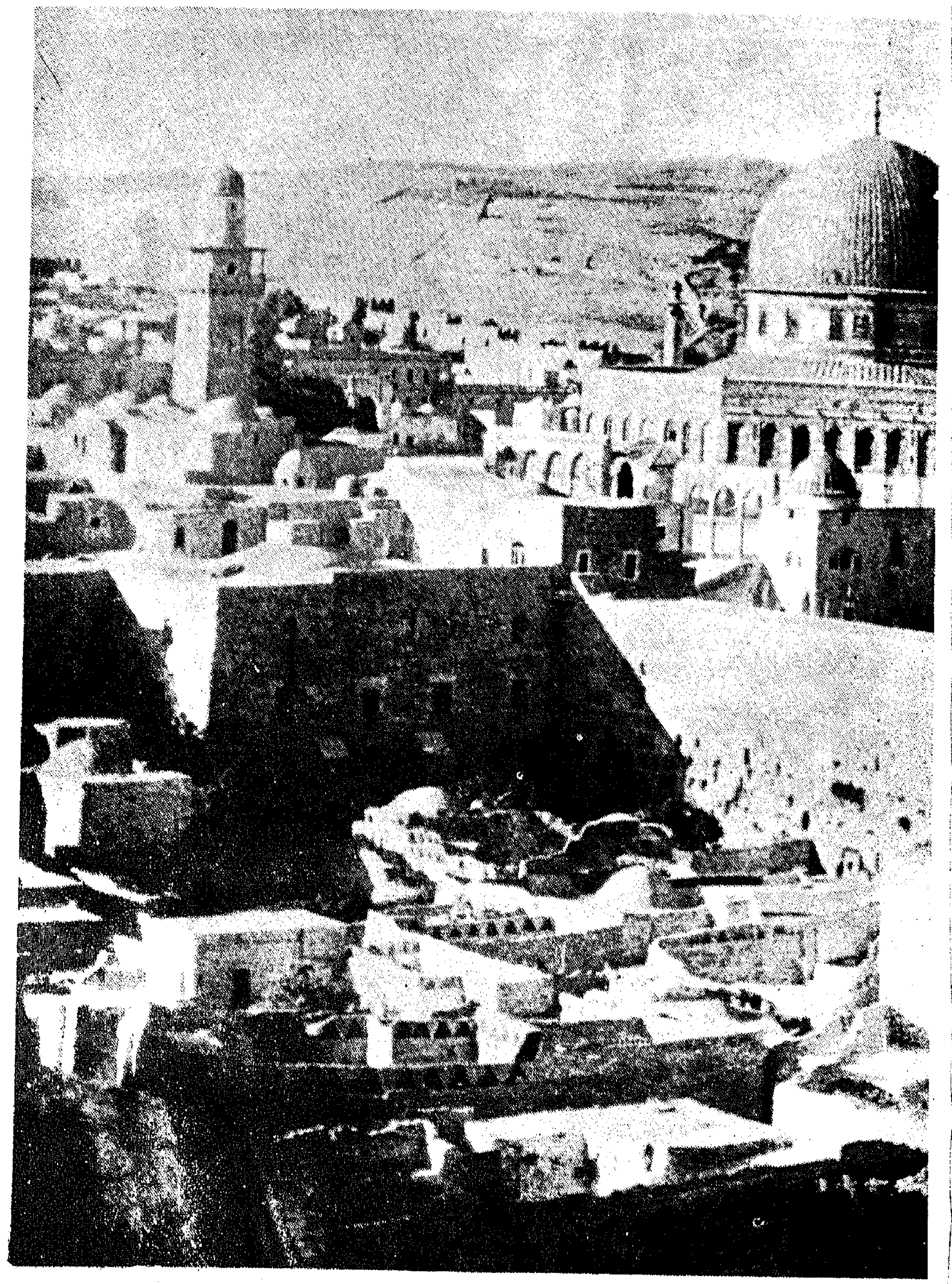
(٣) يش ١٠ : ٣



منظر عام للقدس الحديثة .



قدسية المسجد الأقصى تتجلى في هذا السجود الرائع في الصلاة إلى الله تعالى .





الجانب المهم من القدس الشريف وقبة الصخرة



بعض هذا البناء من القدس يعود إلى عهد صلاح الدين الأيوبي أو قبل ذلك .

٢ ــ تسمية المدينة في مختلف أدوارها :

سمّاها الكنعانيون ، سكان البلاد الأصليون ، « يرو ــ شالم » ، أو « يرو ــ شلم » ، و « شالم » ، و « شلم » اسم لاله كنعاني معناه السلام[١] . وقد جاءت فيما بعد بهذه التسمية ، أي « أورشليم » في التوراة[٢] ،وهي مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية . وسمّيت في التوراة أيضاً « ساليم »[٣] و « شاليم[٤] » و « مدينة الله »[٥] و « مدينة داود »[٦] و « مدينة الملك العظيم »[٧] و « مدينة يهوذا »[٨] و « أريئيل[٩] » ، و « القدس »[١٠] ، وورد ذكرها في الانجيل باسم « شليم » (رسالة العبرانيين ٧ : ٢) . وقد وردت باسم « أوروسالم » في الكتابات الكنعانية التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي مدينة السلام[١١] ، وظل اسم أورشليم شائعاً منذ ذلك العهد الى يومنا هذا ، ومن « ياروشالم » جاء الاسم الافرنجي « جيروزاليم » (Jerusolem) . وقد ذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان أن المدينة وردت باسم أوريشلم بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة ويروى بالفتح وميم وقد يسكنون اللام فيقولون أوريشلم . وقد وردت أيضاً بحسب قوله باسم اوريسلم بالسين المهملة وباسم أوريشلوم

---

(١) طه باقر ــ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج.٢ ص ٢٤٣
(٢) قض ١ : ٨ ؛ يش ١٠ : ١
(٣) مز ٧٦ : ٢ ؛ يوحنا ٣ : ٢٣
(٤) تك ١٤ : ١٨
(٥) مز ٤٦ : ٤
(٦) ٢ صم ٥ : ٧ ؛ ١ أخ ١١ : ٧
(٧) مز ٤٨ : ٢
(٨) ٢ أخ ٢٥ : ٢٨
(٩) اش ٢٩ : ١
(١٠) نح ١١ : ١
(١١) انظر ما تقدم حول رسائل الملك « عبدى خيبا » الى فرعون مصر في وثا/ق العمارنة .

واوريشلّم بتشديد اللام وأوراسلم بفتح الراء والسين [١] . وقد نسبت المدينة الى الملك الكنعاني « ملكي صادق » الذي عرف بالتقوى وحب الخير والسلام ولقب بملك شاليم ، اي « ملك السلام » ووصفته التوراة أنه «كاهن لله العلي أخرج خبزاً وخمراً لابراهيم وباركه »[٢] .

ومن أسماء أورشليم القديمة أيضاً « يبوس » نسبة الى اليبوسيين وهم فرقة من الكنعانيين سكنوا في أورشليم وحولها ، [٣] هم سكان أورشليم الأصليون نزحوا من جزيرة العرب ، وقد سمّاها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية « يابيثي » و « يابتي » وهو تحريف لاسم يبوس الكنعاني[٤] . وقد وردت تسمية يبوس في التوراة ووصفت أنها هي أورشليم[٥] . ووردت أيضاً في التوراة باسم « مدينة اليبوسيين »[٦] وسمّيت أيضاً « باليبوسي »[٧] ، ومن تسمية « يبوسيين » صار الكنعانيون يطلقون اسم « يبوس » على كل أورشليم .

وكان لليبوسيين قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم كانوا يطلقون عليها اسم « صهيون » ، [٨] وقد سمّيت « حصن صهيون » ، ثم سمّيت بعد استيلاء الملك داوود عليها « مدينة داود » ، وذلك بقصد تغيير الاسم الكنعاني .[٩] ويلاحظ هنا أن الملك داود لم يكن لديه مجال لايجاد اسم

---

(١) ج ١ ، ٤٠٢

(٢) تلك ١٤ : ١٨ — ٢٠

(٣) لقد ورد في كتاب الأستاذ طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » أن اليبوسيين هم من غير الساميين (ج ٢ ، ص ٢٨٢) ، والأصح هو أنهم قبيلة من الكنعانيين وان يبوس الذي سمي اليبوسيون باسمه هو احد أولاد كنعان بن حام كما جاء في التوراة (تك : ١٠ : ١٥) .

(٤) خيري حماد ، « الصهيونية ص ٥٥ » .

(٥) قض ١٩ : ١٠

(٦) قض ١٩ : ١١ ؛ يش ١٨ : ١٦ ؛ أخ ١١ : ٦

(٧) يش ١٨ : ٢٨ ؛ ١٥ : ٨

(٨) مز ٧٦ : ٢

(٩) ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩ ؛ أخ ١١ : ٧ ؛ ٢ أخ ٥ : ٢ ؛ ١١ : ٥ ، ٧ ؛ ١مل٨ : ١

جديد للمدينة يحمل معنى كتسمية أورشليم ، لأن اللغة التي سميّت بها أورشليم قبل عصر بني اسرائيل هي نفس اللغة التي كان يتكلم بها سكان البلاد ومن ضمنهم بنو اسرائيل ، وهي اللغة الكنعانية الآرامية الأصلية ، لذلك أطلق على المدينة اسمه فقط ، ولكن مع ذلك بقي الاسم الكنعاني الآرامي الأصلي يستعمل وما زالت المدينة تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا . . وصار الحصن يعرف في عهد المسيح (ع) باسم « جبل صهيون »[1] . ويوجد الآن في جوار مدينة أورشليم واد يسمّى « وادي صهيون » كما يوجد موضع يقع في جنوب غربي المدينة خارج السور الحالي للمدينة يسمّى « جبل صهيون » ، وهذه التسمية حديثة لا تمثل موضع جبل صهيون الأصلي الذي كان يقع في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة .

وفي زمن الرومان حوّل الامبراطور هادريان مدينة أورشليم ، بعد ان استولى عليها ودمرها سنة ١٣٥ م ، الى مستعمرة رومانية وبدّل اسمها الى « ايليا كبيتولينا » Aelia Capitolina وايليا هو الاسم الأول لهادريان . ثم أعاد لها قسطنطين اسمها القديم « أورشليم » بعد اعتناقه المسيحية وكرّست امه الامبراطورة هيلانة لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحية ولبناء كنائس تذكاراً لها[2] .

وقد سمّيت المدينة في العصور التالية بـ « بيت المقدس » و « القدس الشريف » الخ .. وقد سمّاها الشيخ إسحاق بن حسين المنجم في كتابه « آكام المرجان في ذكر المدائن المقهورة في كل مكان » بالاسمين « بيت المقدس ايلياء » والمنجم من علماء القرن الخامس الهجري » .

يتضح مما تقدم أن تسمية « أورشليم » التي يحاول الصهيونيون اليوم عدّها من الأسماء العبرية (بمعنى الاسرائيلية) هي في الحقيقة كلمة كنعانية آرامية

---

(١) رسالة القديس بولص الى العبرانيين ١٢ : ٢٢ ؛ الى أهل رومية ١١ : ٢٦ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس .

أصيلة وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور بني اسرائيل بعدة قرون ، ثم بعد أن ظهر الاسرائيليون وتكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية في وقت لاحق صار الاسرائيليون يسمّونها بلغتهم العبرية « يَرُوشَلايم » . لذلك فدعوى القول بأن اسم « أورشليم » عبري الأصل (بمعنى اسرائيلي) دعوى باطلة لا تستند الى مصدر تاريخي بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية[١] قبل ان تتكون اللهجة العبرية والمدوّنات العبرية بنحو ثمان مئة عام . وتعترف التوراة اعترافاً صريحاً بان ليس لبني اسرائيل أية صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية ، فلما خاطب حزقيال أورشليم قال : « أبوك أموري ، وامّك حثية » (حز ١٦ : ٣) ، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين في رأي التوراة حيث اعتبرت « أدوني صادق » آخر ملوك أورشليم في جملة الملوك العموريين . (يش ١٠ : ٣) .

٣ ــ سكانها الأولون :

كان اليبوسيون الكنعانيون أقدم سكان أورشليم يرجع الخبراء تاريخ وجودهم في المدينة الى ما قبل خمسة آلاف عام حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب الى فلسطين ، وكانوا يقطنون في المنطقة حوالي أورشليم وكانت اورشليم مركزهم الرئيسي وعاصمة ملكهم . فكونوا في وطنهم الجديد حضارة ذات حكومة وصناعة وتجارة وديانة . وقد ورد ذكر أحد ملوكهم في الكتابات المصرية باسم « عبدى هيبا » ، وهذه تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كما ورد ذكر ملك آخر في التوراة باسم « ملكي صادق » يعود الى زمن ابراهيم الخليل (القرن التاسع عشر قبل الميلاد)[٢] . وبعد غزو

---

(١) انظر ما تقدم عن رسائل العمارنة من الملك عبدي خيبا الى فرعون مصر وهي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٢) تك ١٤ : ٨

بني اسرائيل الكنعان بقيادة يشوع اتحد ملك اليبوسيين « أدوني صادق » مع اربعة من الملوك المجاورين له واستعدوا للمقاومة غير انهم وقعوا في اسر يشوع فاعدمهم وعلّقهم يوماً كاملاً على الخشب[1]. ثم اتحد بقية اليبوسيين مع يابين ملك حاصور ضد يشوع الا أنهم انهزموا أيضاً وتشتت شملهم[2].

ومع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة الا بعد موت يشوع حيث حاصرها بنو اسرائيل وأخذوها وأشعلوا النار بها ودمّروها ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على المدينة على القسم المحصن المسمى (حصن صهيون) فعاد اليبوسيون الى ارضهم وبقي الحصن بيد اليبوسيين مدة عهد القضاة وعهد الملك شاؤول حتى تبوأ داود العرش فاحتل الحصن (يوآب) قائد جيشه وسكن داود المدينة واتخذها عاصمة له وسماها « مدينة داود » .كما تقدم »[3] . ولما كان مجيء بني اسرائيل الى فلسطين في حوالي سنة ١٢٩٠ قبل الميلاد وعصر داود يبدأ في حوالي سنة ١٠١٠ ق.م فيكون الحصن قد بقي بيد اليبوسيين حوالي ثلاث مئة عام بعد ظهور بني اسرائيل حتى احتله الملك داود .

وتقول التوراة ان بني بنيامين الذين صارت أورشليم في تخمهم لم يطردوا اليبوسيين فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم الى هذا اليوم »[4] . ولعل المقصود بالقول : « الى هذا اليوم » هو الى ما بعد السبي الثاني الى بابل حيث كتب اكثر التوراة هناك . وتعترف التوراة في نفس الوقت بان بني اسرائيل لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من اراضيهم فتوكد ان بني يهوذا لم يقدروا على طردهم فسكنوا معهم في أورشليم الى هذا اليوم .[5] ومما يؤيد ذلك أن الملك داود لمّا أراد أن ينشىء الهيكل في أورشليم قام بشراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من أصحابها اليبوسيين[6] .

---

(١) يش ١٠ : ١ — ٢٧
(٢) يش ١١ : ١ — ٩
(٣) ١ أخ ١١ : ٥ ، ٧ ، ٢ صم ٥ : ٧ ، ٩
(٤) قض ١ : ٢١
(٥) يش ١٥ : ٦٢
(٦) ٢ صم ٢٤ : ٢٤ — ٢٥

٤ ـ جغرافية المدينة وطوبوغرافيتها :

تقع أورشليم عند الدرجة « ٣١ ، ٤٦ ، ٣٥ » من خطوط العرض شمالاً ، و الدرجة ٣٥,١٨,٣٠ من خطوط الطول شرقي كرينوش ، وهي تبعد ٣٢ ميلاً عن البحر المتوسط غرباً وحوالي ١٨ ميلاً عن البحر الميّت شرقاً و ١٩ ميلاً عن الخليل (حبرون) جنوباً و ٣٠ ميلاً عن السامرة (سبطسية) شمالاً . ويبلغ معدل ارتفاع المدينة ٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر المتوسط و ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الميّت .

وتتميّز أورشليم بموقعها الجغرافي الستراتيجي ، فالطبيعة منحتها أقوى التحصينات لحماية نفسها من الغزو ، فهي تقع على أرض مرتفعة محاطة من جميع أطرافها بأودية عميقة ، يحدّها من الشرق « وادي قدرون » ومن الغرب « وادي هنوم » . ويبدأ الواديان في الطرف الشمالي الغربي من المدينة ويلتقيان في جنوب المدينة وبذلك يحوّطان المدينة من اطرافها الثلاثة ، الشرق والغرب و الجنوب .

يبتدىء « وادي قدرون » (الوادي الشرقي) على بعد ميل ونصف الميل الى الشمال العربي من المدينة فيسير أولاً الى الشرق الى ان يصل الى زاوية السور الشمالية الشرقية[1] ، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب فينحدر بين سور المدينة من الجانب الغربي وبين جبل الزيتون وتل المعصية من الجانب الشرقي[2] حتى يلتقي بوادي هنوم المنحدر من جهة الغرب ، ثم ينحدر المجرى الموحّد بعد ذلك الى « مارسابا » حيث يسمى « وادي الراهب » ومن ثم يمتد الى البحر الميت وهناك يسمى « وادي النار » . ويسمّى الوادي حالياً باسم

---

(١) انظر ما يلي عن أسوار المدينة .

(٢) يبلغ ارتفاع جبل الزيتون ٢٦٨٢ قدماً فوق سطح البحر ، اما تل المعصية فيقع على الطرف الجنوبي من جبل الزيتون ، وقد سمي كذلك لانه كان موضع عبادة الأوثان في زمن سليمان .

« وادي ستّي مريم » ، وكان يعرف في القديم باسم وادي قدرون ومعناه الوادي الأسود ، وكان يسمى ايضاً وادي « يهو شافاط » ، وقد ورد ذكره في أخبار ملك داود حيث عبره لمّا هرب من وجه ابنه أبشالوم وكذلك مرّ المسيح (ع) به[١] ، وفي هذا الوادي أحرقت تماثيل معكة[٢] وطرحت جميع أدوات العبادة الباطلة التي تنجس بها هيكل الرب[٣] . ويبلغ ارتفاع وادي قدرون ٢١٧٩ قدماً فوق سطح البحر .

امّا الوادي الغربي ، أي وادي هنوم ، فينحدر رأساً الى الجنوب من شمال غربي المدينة ثم ينعطف شرقاً بعد وصوله حد المدينة الجنوبي حتى يتصل بالوادي الشرقي (وادي قدرون) عند الموضع المسمى « بئر أيوب » . ويسمّى هذا الوادي حالياً باسم « وادي ربابة » ، امّا اسمه القديم كما ورد في التوراة فهو « وادي هنوم »[٤] ، ووادي بني هنوم[٥] ، ووادي ابن هنوم[٦] . وكان يسمّى الجزء الجنوبي الشرقي من الوادي « توفة »[٧] ، أو وادي القتل[٨] . وأجاز آحاز ومنسّى أولادهما بالنار في هذا الوادي على عادة أهل كنعان[٩] . ويبلغ ارتفاع هذا الوادي ٢٠٢٩ قدماً .

وكان هناك واد ثالث يخترق أرض المدينة يبدأ شمالاً من قرب باب دمشق الحالي وينحدر جنوباً الى وادي قدرون عند البركة الحمراء ، فيقسم ارض المدينة قسمين مؤلفين من هضبتين مستطيلتين ، الهضبة الغربية يحدها

---

(١) ٢ صم ١٥ : ٢٣ ، ٣٠ ؛ يو ١٨ : ١.
(٢) ١ مل ١٥ : ١٣ و ٢ أخ ١٥ : ١٦
(٣) ٢ أخ ٢٩ : ١٦ ؛ ٣٠ : ١٤ ؛ ٢ مل ٢٣ : ٤ ، ٦ ، ١٢
(٤) يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠
(٥) ٢ مل ٢٣ : ١٠
(٦) يش ١٥ : ٨ و ١٨ : ١٦ ؛ ٢ أخ ٢٨ : ٣ ؛ ار ٧ : ٣٢
(٧) أر ٧ : ٣١ و ٢ مل ٢٣ : ١٠
(٨) أر ٧ : ٣٢ و ١٩ : ٦
(٩) ٢ مل ١٦ : ٣ و ٢ أخ ٢٨ : ٣ و ٣٣ : ٦

وادي هنوم من الغرب والهضبة الشرقية يحدّها وادي قدرون من الشرق. وصار هذا الوادي يعرف باسم «وادي الجبانين» (صانعي الجبن) وهو مطموم الآن ولم يبق له أي أثر في الوقت الحاضر، كما كان واد رابع يبتدىء من جهة الغرب من قرب باب يافا الحالي فيسير شرقاً في اتجاه شارع داود حالياً حتى ينتهي الى «وادي الجبانين» فيقسم الهضبة الغربية الى قسمين. وفي شرقي وادي الجبانين كان خندق يقطع الهضبة الشرقية عرضاً فيقسمها قسمين شمالي وجنوبي ايضاً. وهكذا أصبحت المدينة منحصرة في اربعة اقسام مرتفعة وهي القسم الشمالي والجنوبي من الهضبة الغربية ثم القسم الشمالي والجنوبي من الهضبة الشرقية (انظر مخطط أورشليم في أقدم عصورها).

وأقدم بناء في المدينة هو الحصن الذي كان قد أقامه اليبوسيون سكان أورشليم الأصليون في القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية، فاقاموا حوله سوراً وشيّدوا في طرف الحصن برجاً عالياً للسيطرة على المنطقة من فوقه. واليبوسيون فرع من القبائل الكنعانية التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب واستقرت في فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، لذلك سميت المدينة باسمهم «يبوس» فأصبحت هذه التسمية مرادفة لأورشليم، وقد ورد ذكرها في التوراة على هذا الشكل فقيل «يبوس هي اورشليم» و «أورشليم مدينة اليبوسيين».[١] وكان يعرف حصن يبوس بحصن صهيون أيضاً، كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالاكمه او «أوفل»[٢] وأحياناً «جبل صهيون[٣]». ويبلغ ارتفاع جبل صهيون ٢٥٥٠ قدماً فوق سطح البحر وينحدر باتجاه وادي قدرون نزولاً الى ارتفاع ٢٠٢٩ قدماً. وفي موضع حصن صهيون انشأ السلوقيون قلعة كانت تعرف باسم «قلعة عكرا» أو «أكرا» وقد سقطت بيد سمعان المكابي سنة ١٤١ ق.م.

---

(١) قض ١٩ : ١٠، ١٢
(٢) ٢ مل ٥ : ٢٤؛ ٢ أخ ٢٧ : ٣؛ ٣٣ : ١٤ واش ٣٢ : ١٤ وميخا ٤ : ٨
(٣) رسالة القديس بولص الى العبرانيين ١٢ : ٢٢ (انظر ما تقدم عن تسمية المدينة).

وقد كان طبيعياً أن يقع اختيار اليبوسيين على موقع أورشليم بالذات وذلك لما اتصف به هذا الموقع من مميزات استراتيجية طبيعية تجعله على جانب كبير من المناعة . وقد حبت الطبيعة هذا الموقع بأهم ما يحتاجه السكان وهو الماء ، ففي جوار حصن يبوس شرقاً نبع ماء غزير في وادي قدرون كان يعرف باسم « جيحون »[1] وهو غير نهر جيجون المعروف في تركستان ، وكان اليبوسيون قد حفروا نفقاً تحت الجبل لنقل مياه النبع فيه الى داخل المدينة عند الحصن . وفي وقت لاحق قام الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٦ ق. م) بمد هذا النفق ، بعد اغلاقه في اتجاهه الشمالي ، الى جهة الغرب وانشأ في نهايته بركة صارت تعرف باسم « بركة سلوام » وأقام أبنية عند فم البركة : (وحزقيا سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض الى الجهة الغربية)[2] وقد ورد ذكر هذا النفق في التوراة في أخبار الملك داود فسمّي بالقناة . ويرى البعض أن الملك داود اكتشف مدخله السري من خارج السور فأدخل رجاله فيه حتى وصلوا الى منتهاه في داخل السور فباغتوا اليبوسيين داخل الحصن واحتلوه دون قتال (٢ صم : ٥ : ٧، ٩) . وقد اكتشف هذا النفق البالغ طوله ١٧٥٧ قدماً سنة ١٨٨٠ م وعثر على مسافة ١٩ قدماً من بركة سلوام داخل النفق على كتابة نقشت على الحجر دونت فيها تفاصيل كيفية تنفيذ المشروع . وكانت هناك بركة أخرى أسفل بركة سلوام كانت تعرف ببركة الملك[3] او البركة السفلى[4] . ووردت اسماء برك أخرى في التوراة منها بركة شيلوة[5] وعين روجل[6] يعتقد أنها أسماء لنفس المشروع

---

(١) ٢ أخ ٣٣ : ١٤ ؛ ١ مل ١ : ٣٣ ، ٣٨ .
(٢) ٢ أخ ٣٢ : ٣٠ ؛ ٢ مل ٢٠ : ٢٠ نحميا ٣ : ١٥
(٣) نح ٢ : ١٤
(٤) اش ٢٢ : ٩
(٥) اش ٨ : ٦
(٦) ١ مل ١ : ٩ ؛ ٢ صم ١٧ : ١٧

والحصن والبركة يقعان اليوم خارج سور المدينة الحالي في الطرف الجنوبي الشرقي منها . هذا وفي الجانب الغربي من المدينة أقام حزقيا نفقاً آخر يبدأ من وادي هنوم ويمرّ تحت سور المدينة بالقرب من باب حيفا الحالي وينتهي عند البركة المعروفة ببركة حزقيا حتى هذا اليوم .

وقد بقي حصن يبوس (حصن صهيون) بيد اليبوسيين بعد مجيء بني اسرائيل حوالي ثلاثة قرون كما سبقت الاشارة الى ذلك لعدم استطاعتهم اقتحامه ، وذلك حتى تولّى الملك داود الحكم في اسرائيل فجمع كل اسرائيل وذهب معهم الى اورشليم اي يبوس ، وقال داود إن الذي يضرب اليبوسيين أولاً يكون رأساً وقائداً ، فتقدم يوآب واقتحم الحصن فصار رأساً . وأقام داود في الحصن لذلك دعي «مدينة داود» . وبنى داود مستديراً من القلعة فداخلاً وجدّد يوآب سائر المدينة[1] .

وقد اختار داود القسم الشمالي من الهضبة الشرقية ، أي القسم الذي يقع شمال «حصن صهيون» ، ليبني الهيكل فيه . ويعرف هذا القسم بجبل المريّا وارتفاعه ٢٤٤٠ قدماً أي أوطأ من قمة جبل صهيون بمئة وعشر أقدام . وكان موضع المزيّا هذا بيدراً للحبوب وكان ملكاً لأرنان أو أرونة اليبوسي فاشتراه داود من صاحبه بخمسين شاقلاً من الفضة وبنى فيه مذبحاً للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة[2] . وفي نفس الموضع بنى سليمان الهيكل بعد ذلك[3] . ويسمّى الآن موضع الهيكل القديم الحرم الشريف وفي وسطه مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى الى الجنوب منه . ويعتقد ان موقع الصخرة هو الموقع الذي عين لتقديم ابراهيم ابنه اسحاق قرباناً عندما أراد الله امتحانه حيث ورد في التوراة ما يشير الى أن الموضع هو أرض المريّا[4] . وقد سمي

---

(١) ١ أخ ١١ : ٤ – ٩ ، ٢ أخ ٥ : ٢ ، ٢ صم ٥ : ٧ – ٩ .
(٢) ٢ صم ٢٤ : ٢٤ – ٢٥ ، ١ أخ ٢١ : ٢٢ – ٢٨ .
(٣) ٢ أخ ٣ : ١
(٤) تك ٢٢ : ٢

يوسيفوس القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية ، أي موضع حصن يبوس (حصن صهيون) ، بالمدينة السفلى وسمّى موضع جبل المريّا شمالاً بالمدينة العليا . وكان الى الشمال من جبل المريّا « جبل بيزيثا » وارتفاعه ٢٥٢٩ قدماً ، وكان هذا الجبل خارج حدود السور القديم ثم أصبح داخل السور الجديد وهو السور الحالي[1] .

وفي القسم الجنوبي من الهضبة الغربية الى الغرب من حصن صهيون جبل يسمّى اليوم خطأً بجبل صهيون وهو غير جبل صهيون الأصلي الذي يقع الى الشرق منه في القسم الجنوبي من الهضبة الشرقية ، ولعل تسميته الحديثة هذه مشتقة من تسمية الجبل الشرقي الاصلي . ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ٢٨١٦ قدماً وينحدر جنوباً الى وادي هنوم الى ٢٥٠٥ أقدام ويقع اليوم خارج سور المدينة الحالي في الطرف الجنوبي الغربي منها .

٥ ــ أسوار المدينة ــ قديماً وحديثاً ــ

أ ــ السور القديم (السور الأول) :

ولمّا كانت الأسوار جزءاً من حياة المدن في تلك العصور القديمة فلا بد من نبذة عن تاريخ أسوار أورشليم في مختلف أدوارها : إن أقدم أسوار المدينة هو السور الذي يرجع الى عهد اليبوسيين سكان أورشليم الأصليين والذي كان يحيط بحصن يبوس أو « حصن صهيون » ، فيشكّل شبه مستطيل يتوسطه الحصن ، وكان النفق الذي يسحب المياه من عين جيحون ينتهي الى البركة داخل هذا السور . وبعد احتلال الملك داود للحصن في القرن العاشر قبل الميلاد أقام أبنية أضافها الى الحصن وسمّيت المنطقة « مدينة داود » رغبة منه في تبديل اسمها الكنعاني الاصلي على الأرجح ، ثم اشترى أرض المريّا الواقعة الى الشمال من حصن يبوس وبنى فيها مذبحاً للرب . ومن المحتمل جداً أنه

(١) انظر ما يلي عن أسوار المدينة .

وسّع السور اليبوسي ليضم داخله جبل المريّا ، كما أنه من المحتمل أن يكون الملك سليمان قد قام بتقوية هذا السور وتوسيعه بعد أن أقام الهيكل في أرض المريّا . وهذا هو السور الأول ولا يوجد الآن أي أثر ظاهر لهذه الأسوار القديمة ، كما أنه لا يوجد أي أثر للأسوار التي ترجع الى الفترة التي تلي عهد سليمان والتي تبدأ بعهد الانقسام وتنتهي بتهديم الهيكل والسور في عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م ، وذلك لكثرة التغييرات التي وقعت خلال هذه الفترة نتيجة التهديم وإعادة البناء مرات عديدة . وقد دلّت التنقيبات الاثارية على أن أساسات سور الهيكل القديم تقع على نحو من ٨٠ قدماً تحت سطح الحرم الشريف حالياً ، وذلك نتيجة توالي التخريب والهدم . يتضح مما تقدم أن التحصينات اليبوسية التي يرجع تاريخها الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد كانت قائمة في أورشليم لفترة حوالي ألفي سنة قبل أن يحتلها الملك داود .

ب ــ السور الثاني :

وأقدم واوضح وصف لدينا لسور اورشليم هو الوصف الكامل الذي ورد في التوراة للسور الذي اعيد إنشاؤه بعد السبي البابلي في عهد نحميا (سنة ٤٤٤ ق.م) والذي يعتبر ثاني سور للمدينة ، وقد اتبع في اعادة الانشاء نفس الخط الذي كان يسير عليه السور القديم الذي كان قد أقامه منسى ملك يهوذا سنة ٦٤٤ ق.م في اثناء الحملة الاشورية في عهد آشور بانيبال ثم هدم في عهد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وقد استعملت نفس الأسماء القديمة لابواب السور وأبراجه . ويعطينا هذا الوصف فكرة واضحة عن اتساع المدينة في ذلك العصر[1] ، فيبدأ السور من باب الضأن شمال الهيكل ويمتد غرباً ثم جنوباً ثم شرقاً وشمالاً حتى يعود فيتصل بنقطة البداية . انظر « تخطيط أورشليم في اقدم عصورها » والابواب حسب تسلسلها ثلاثة في السور الشمالي وهي

(١) نح ٣ : ١ ــ ٣٢

باب الضأن ، وباب السمك ، والباب العتيق . وباب السمك سمّي كذلك لانه كان الموضع الذي تدخل منه الاسماك المستوردة من صور[١] . ويلاحظ ان السور عند الزاوية الشمالية الغربية أضخم من سائر اقسامه ، وتعليل ذلك هو أن هذا القسم كان مجرداً من وسائل الدفاع الطبيعية بخلاف ما كانت عليه بقية الاقسام التي تحيط بها الاودية من كل اطرافها[٢] . امّا الابواب الأخرى فهي : باب افرايم غرباً وبابا الوادي والدمن جنوباً وأبواب العين والماء والخيل والشرق والسجن والزاوية شرقاً . وأهم ابراج السور كانت تقع في الطرف الشمالي وفي الزاوية الشمالية الغربية المكشوفة وهي حسب تسلسلها : برج المئة وبرج حننئيل وبرج التنانير وتبلغ المساحة داخل هذا السور حوالي ٢٠٠ أيكر (٣٣٦ دونماً عراقياً) وهذه كانت تضم السكان الأصليين (اليبوسيين وغيرهم) الذين بقوا مع بني اسرائيل ثم استأثر السكان الأصليون بجميع المنطقة واستقلوا بها بعد سبي بني اسرائيل من اورشليم سنة ٥٨٦ ق.م حتى عاد بعض الاسرائيليين في العهد الفارسي فأعادوا بناء الهيكل ، والسكان الأصليون باقون في أرضهم .

ج- السور الثالث والاخير :

والأرجح أن معظم السور الذي بناه نحميا بقي في عهد المكابيين (١٦٧ - ٣٧ ق.م) على رغم دك بطليموس الأول جانباً منه سنة ٣٠٠ ق.م وانطيوخس الرابع جانباً آخر سنة ١٦٨ ق.م وفي عهد هيرودس الكبير (٣٧ - ٤ ق.م) تمت تقويته دون أي تغيير في تخطيطه على الأرجح . وفي عهد هيرودس أغريبا (٤١ - ٤٤ م) شرع اليهود في بناء سور جديد في الجهة الشمالية غير أن الامبراطور الروماني قلوديوس منعهم من متابعة العمل فاتموا بناءه قبل حصار تيطس سنة ٧٠ م ، وهذا هو السور الثالث وسمّي أيضاً سور

---

(١) نح ١٣ : ١٦
(٢) نح ٣ : ٨ ؛ ١٢ : ٣٨

هيرودس أغريبا وقد ضم هذا السور منطقة بيزثيا الشمالية وما زال السور الشمالي الحالي للمدينة يسير بنفس هذا الاتجاه . هذا في حين أن حدود المدينة من الجنوب تقلّصت بتراجع السور الى الداخل الى نفس الاتجاه الذي يسير فيه السور الجنوبي للمدينة حالياً . وقد ظل هذا السور يتأرجح بين الهدم واعادة البناء كلما تحوّلت المدينة من يد الى أخرى في العصور التالية ، ولكن على رغم هذه التقلبات حافظ على اتجاهه الأخير ، والسور الذي نشاهده اليوم حول المدينة الحالية هو الذي جدّده سليمان باشا القانوني ، دامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ — ١٥٤٠ م) وأضاف اليه عدداً من الأبراج ، وفوق الأبواب كتابات على الجدران تشير الى ذلك[1] انظر « مخطط أورشليم في أقدم عصورها » .

٦ — تاريخ المدينة القديم :

إن تسلسل الأحداث التاريخية التي مرت على أورشليم منذ تأسيسها في عهد اليبوسيين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حتى تخريبها سنة ١٣٥ على عهد الرومان (فترة حوالي ثلاثة آلاف عام) تحدد أدوار المدينة التاريخية بخمسة أدوار منفصلة تقريباً وهي : أولاً ، دور ما قبل ظهور بني اسرائيل ، ثم دور بني اسرائيل ويليه دور القدس فاليونان وأخيراً عهد الرومان .

أ — الدور الأول — دور ما قبل ظهور بني اسرائيل :

لقد سبق وأشرنا الى أن تاريخ أورشليم القديم يرجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، أي قبل حوالي خمسة آلاف عام ، وذلك عندما بدأت القبائل العربية تهجر ديارها في الجزيرة العربية إثر الجفاف الذي حل بها ، ومن هذه القبائل القبائل الكنعانية التي استقرت في فلسطين ومن فروعها قبيلة يبوس التي اتخذت منطقة أورشليم مقراً لها ، فأصبحت على مرّ الايام مملكة قائمة بذاتها

---

(١) عارف العارف — تاريخ القدس ، ص ١٧٣ .

اتخذت هضبة أورشليم الحصينة مركزاً وعاصمة لها . وأقدم ما لدينا من معلومات عن هذه المملكة هو ورود كلمة «يابيثي » و « يابتي » في الكتابات المصرية القديمة تحريفاً لكلمة يبوس الكنعانية ، ثم ورود كلمة « أوروسالم » في وثائق العمارنة المصرية التي تعود الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد . ومن الأسماء التي وصلتنا من هذا الدور « ملكي صادق » الذي يرجع عهده الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو معاصر لعصر ابراهيم الخليل ، ثم الملك « عبدى هيبا » الذي ورد اسمه في وثائق العمارنة مع اسم اوروسالم المار الذكر وكان « ادوني صادق » آخر ملوك أورشليم عندما غزا بنو اسرائيل فلسطين وقد اعتبرته التوراة من العموريين (انظر ما تقدم حول ذلك) .

وتدل الأحداث التاريخية المثبتة أخبارها في المدونات المصرية القديمة على أن أول من اتصـــل بأرض كنعان ومن ضمنهـــا منطقة أورشليم ، المصريون وأقدم ذكر لحملات المصريين على بلاد كنعان ورد في كتابة عثر عليها من عهد الفرعون فيويس الأول (٢٣٥٠ ق.م) ، وهي منقوشة على قبر قائد إحدى هذه الحملات المدعو « أوني » ، فدوّن هذا القائد انتصاراته على جماعات البدو التي كانت تهاجم الكنعانيين . وهناك ما يدل على أن مصر تمكّنت من بسط نفوذها على جميع كنعان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ولم يحاول المصريون تمصيرها بل اكتفوا بتحصيل الجزية من سكانها ، وتركوا السكان يمارسون عاداتهم وديانتهم دون أن يتدخلوا في شؤونهم الاجتماعية الأخرى بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع اعدائهم .

ومما ورد في الكتابات المصرية القديمة أيضاً أن الملك سيزوستريس الثالث (السلالة الثانية عشرة) صعد على أرض فلسطين في حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م واستولى على المدينة المسماة « س ــ ك ــ م ــ ن » ، وقد رجح البعض أن

المقصود بها مدينة شكيم (نابلس حالياً)[١] .

ومن أهم الوثائق التي عثر عليها المنقبون وثيقة مهمة ترجع الى عهد سنوسرت الأول (١٩٧١ — ١٩٢٨ ق.م.) تضمنت وصفاً مسهباً لبلاد كنعان دوّنه أحد كبار حاشية القصر الفرعوني المدعو « سينوهي » ، وسينوهي هذا اضطر لأسباب سياسية أن يهجر بلاد مصر فقصد بلاد كنعان حيث عاش في رعاية أحد رؤساء القبائل العمورية ، فاندمج مع القبيلة حتى تزوج ابنة رئيسها وأصبح زعيم القبيلة ، فصارت له بساتين وحقول ومواشي كما صار له أولاد فشارك هو وأولاده في حروب وغزوات القبيلة . وهنا يصف « سينوهي » الحياة الخشنة التي عاشها في هذا المحيط القاسي حتى داهمته الشيخوخة فأخذ يحن الى وطنه الأصلي ، فيذكر في آخر القصة أن الفرعون سينوسرت وجّه اليه كتاباً يدعوه فيه للعودة الى وطنه قائلاً : « ويجب أن لا يكون رقودك على أرض غريبة يدفنك فيها الآسيويون فيلفّونك داخل جنود الغنم » . فاستجاب سينوهي الى دعوة الملك وقرر العودة فوراً فقام بتصفية ملكيته بين أولاده ، ونصب أكبر أولاده زعيماً لقبيلته . وقد اصطحبه عند مغادرته بلاد كنعان جمع غفير من أبناء عشيرته الى نقطة الحدود المصرية ، ومن هناك اصطحبه رجال الحكومة الفرعونية الى العاصمة « ممفيس »[٢] . ومن غريب الصدف أن سينوهي يستعمل عندما يصف أرض كنعان نفس العبارات التي استعملتها التوراة في وصفها بعد حوالي ألف عام من زمن « سينوهي » : « أرض جيدة وواسعة تفيض لبناً وعسلاً ..[٣] أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، أرض زيتون وعسل ، أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً ولا يعوزك فيها شيء[٤] » والظاهر أن قصة سينوهي كانت من

---

(١) T. H. Gaster, « Jerusalem, » E. B., Vol. 4, 1965, p. 727

(٢) Keller, « The Bible as History, » pp. 73—79.

(٣) خر ٣ : ٨

(٤) تث ٨ : ٨ — ٩

القصص المحبّبة لدى المصريين حيث وجدت فيها نسخ كثيرة مما يدل على أنها كانت واسعة الانتشار في تلك الأزمان .

ومن الأوصاف لبلاد كنعان التي تركها فراعنة مصر القدماء أيضاً كتابات الفاتح المصري الشهير تحوطمس الثالث (١٥٠٣ – ١٤٤٩ ق.م.) وذلك في اعقاب طرد المصريين للهكسوس من بلادهم ، فورد في المدونات التي سجلها انه قام بسبع عشرة حملة على سورية وفلسطين فامتدت تخوم امبراطوريته في الشرق الى جبال الأمانوس شمالاً ، ويعده البعض أعظم فراعنة مصر في تاريخ مصر القديم وقد دام حكمه ٥٤ سنة منها الاثنتا عشرة سنة الأولى حكمت عنه الوصية على العرش هاتشبشوت لصغر سنه . ومما ورد في كتاباته جدول باسماء ١١٨ مدينة كنعانية يعتقد أنها المدن التي افتتحها في فلسطين .

والظاهر أن دويلات كنعان أصبحت في معظم تلك الأدوار أشبه بمحميات مصرية توثقت صلاتها مع مصر باتفاقيات لحمايتها من غزوات البدو ، وتدلنا المدونات المصرية على أن ملوك هذه الدويلات كثيراً ما كانوا يستنجدون بفراعنة مصر لارسال نجدات لحمايتهم من غزوات « العبيرو » ، اذ عثر على عدد من الرسائل من بعض ملوك كنعان ترجع الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد بهذا المعنى وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

وكانت أورشليم من أهم المدن الكنعانية من الناحية التجارية والاستراتيجية إذ كانت تقع على طريقين من أهم طرق التجارة ، واحدة تربط البحر بالصحراء والأخرى تربط المدن الشمالية بالمدن الجنوبية من فلسطين . وأهم المدن الكنعانية في تلك العصور هي المستوطنات الساحلية التي تمركزت في سفوح جبل لبنان للاستفادة من حماية هذه الجبال الطبيعية من خلفهم مثل « أوغاريت » و « ارواد » و « عرقة » و « طرابلس » و « بترونا » و « جبيل » و « بيروتا » و « صيدا » و « صور » و « عكو » (عكة) . وهناك مدن أخرى في داخل أرض فلسطين مثل « جارز » و « مجدّو »

و « شكيم » و « اورشليم » و « اريحا » و « حبرون » و « بيت شان » وغيرها . وهذه كلها مدن كنعانية أصيلة باسمائها وبثقافتها وبلغتها وبديانتها وجدت قبل ظهور بني اسرائيل بحوالي ألفي عام وبعضها بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، إذ توصل الآثاريون الى ارجاع تاريخ بعض هذه المدن الى ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، فقد أرجع الباحثون تاريخ بلدة « اريحا »(١) الى ما قبل سبعة آلاف سنة . وهذا ما جعل بعضهم ان يعتبرها أقدم مدينة في العالم ما زالت باقية حتى الآن(٢) . هذا وقد توصل الباحثون أيضاً الى أن أقدم المعابد الكنعانية تقع في أريحا ومجدّو وهي ترجع الى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد .(٣) ويقول البروفيسور أولبرايت في كتابه « الاركيولوجيا والديانة الاسرائيلية » (ص ٦٨) إنه لدينا من البراهين والأدلة على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية الغربية استقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع الى الأسرة الخامسة المصرية (٢٩٦٥ ق.م) كما وجدت كلمات كنعانية وردت في المدونات المصرية من عصر الأهرام (القرن الثامن والعشرون قبل الميلاد) . وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نجزم واثقين بان الكنعانيين كانوا مستقرين في فلسطين في الألف الثالثة قبل الميلاد ، أي قبل خمسة آلاف سنة ، والأرجح أن هجراتهم الى فلسطين بدأت قبل ذلك بزمن بعيد . وتعتبر بلدة « شكيم » (نابلس)(٤) العاصمة الطبيعية لبلاد كنعان لوقوعها في وسط فلسطين كما تعتبر « حاصور »(٥)

---

(١) شخص الخبراء موقع أطلالها في تل السلطان الى الشمال من المدينة الحالية ومعنى ياريحو مدينة القمر .

(٢) Keller — « The Bible as History, p. 159.

(٣) Hitti — « Syria, » pp. 81, 120.

(٤) عثر الاركيولوجي اللاهوتي الالماني (Ernest Sellim) سنة ١٩١٣ – ١٩١٤ على أطلال مدينة شكيم في موضع البلاطة بالقرب من نابلس وتمكن من تتبع آثار جدار المدينة الذي أرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد (Keller, op. cit., p. 81) .

(٥) وردت في التوراة بهذا الاسم وقد شخص موقع أطلالها في التل المسمى « تل الوقاص » =

العاصمة الشمالية في منطقة الجليل ، وقد لعبت كلتاهما دوراً مهماً في تاريخ فلسطين القديم .

وكانت المستوطنات الكنعانية محصّنة على غرار دويلات المدن وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها في الغالب ، ولكن على رغم ذلك كانت تنشأ فيما بينها بين الحين والآخر اتحادات موقتة بسبب الأخطار التي تهددها كلها ، فكانت احداها تتزعم مثل هذه الاتحادات . وقد سمّى اليونانيون مجموعة المدن البحرية الشمالية التي كانوا باتصال معها باسم فينيقيا (Phoinix) ، وكانت تمارس هذه المدن الصناعة والتجارة الخارجية في حين أن المدن الداخلية كانت تمتهن الزراعة وخاصة زراعة الأشجار في الغالب . وقد عرفت المدن الكنعانية تعدين النحاس والبرونز من بداية الألف الثانية قبل الميلاد وبدأت تستعمل الحديد بكثرة منذ الألف الأولى قبل الميلاد . وقد تقدم لديها فن الصياغة وصناعة العاج والزجاج والنسيج الصوفي والقطني ، هذا عدا صناعة الأصباغ ولا سيما القرمز والأرجوان الذي اقترن باسم الكنعانيين .

ومما لا شك فيه أن الكنعانيين هم أقدم الأقوام الذين استقروا في أرض فلسطين واليهم يرجع تأسيس حضارة فلسطين القديمة . والأرجح أن لغتهم كانت في الأصل اللغة التي اعتبرت أم اللغات السامية ، أي اللغة العربية القديمة التي كان يتكلّم بها أهل الجزيرة قبل هجرتهم الى الهلال الخصيب ، ثم تفرعت منها مختلف اللهجات المتأخرة ، ومن هذه اللهجات التي انفردت فيما بعد بخصائصها الخاصة بها اللغة الكنعانية التي صارت تعرف كاحدى اللهجات في مجموعة دعيت بكتلة اللغات الغربية ، ومنها المؤآبية والفينيقية والعبرانية لتمييزها عن اللهجات الأخرى ضمن اطار المجموعات السامية .

= أو « تل القداح » . هو يقع على بعد حوالي ستة كيلومترات غربي جسر بنات يعقوب Hitti, op. cit. p. 179.

وقد اشتهرت بلاد كنعان بنشاطاتها التجارية التي كانت تمارسها مستغلة موقعها الجغرافي على طريق المواصلات الرئيسية بين آسية وبلدان ساحل البحر الأبيض المتوسط في تنمية الحركة التجارية. فقد اشتهر الفينيقيون سكان السواحل بصناعة بناء السفن مستغلين الأشجار ذات الأخشاب القوية من غابات لبنان الشهيرة في صنع السفن. حيث ابتدعوا شكل سفنهم التجارية الخاص وهو يختلف عن الشكل المصري الذي كان معطوفاً من طرفيه الى الأعلى، وذلك بأن جعلوا لمقدم سفنهم منقاراً ناتئاً، وقد وجدت مثل هذه السفن ذات المناقير منقولة عن رسوم في قصر سنحاريب ملك آشور الذي استخدم السفن الفينيقية لأغراضه. وقد ساعدهم ذلك على الامتداد في أسفارهم البحرية البعيدة، فاحتكروا أشهر الطرق البحرية وأقاموا مستعمرات تجارية في قبرص وصقلية وسردينية وفي شمال افريقية وفي اسبانية. وكانت قرطاجنة الواقعة في جوار تونس الحالية[1] أهم المستعمرات التجارية الفينيقية وقد اتسع نفوذها في البحر المتوسط مما أثار تخوف الرومان من اتساع سيطرتها فوجهوا حملة بحرية ضدها حتى قضوا عليها سنة ١٤٦ ق.م. وكانت علاقات الفينيقيين مع الآشوريين حسنة وظلوا على هذه الحال من الصلات الحسنة مع الاخمينيين واشتهرت صور بأنها تحدت الاسكندر الكبير في فتوحه للشرق[2].

وأعظم ما قام به الكنعانيون للحضارة هو اختراع الأبجدية الهجائية الذي يعتبر من أهم الاختراعات في تاريخ الحضارات البشرية. ويتفق الباحثون على أن أصل الحروف الهجائية في العالم بدأ في كتابات الأقوام السامية الغربية الذين تمتد مناطقهم من طور سيناء الى أقصى حدود بلاد الشام شمالاً وغرباً. إذ وجدت في هذه المناطق أنواع كثيرة من النقوش السامية بالحروف الأبجدية، وقد حمل الآراميون فيما بعد الحروف الأبجدية الفينيقية من سواحل البحر

(١) أسس الفينيقيون مستعمرة اخرى في اسبانيا وصارت تعرف باسم قرطاجة ايضاً.
(٢) G. A. Cooke, «Phoenicia,» E. B., 1965, pp. 763—769.

المتوسط شرقاً الى آسيا حتى الهند ، والفينيقيون نقلوها بدورهم الى الاغريقية واللاتينية وهكذا تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة أوانذاك .

ب – الدور الثاني – دوربني اسرائيل :

١ – عهد موسى: يبدأ تاريخ بني اسرائيل بخروجهم من مصر وتوجّههم بقيادة النبي موسى الى أرض كنعان (فلسطين) ، ويرجّح الباحثون أن الخروج قد وقع في حوالي سنة ١٢٩٠ ق.م. يوم كان رعمسيس الثاني على عرش مصر(١٣٠٤ – ١٢٣٧ ق.م) ، وقدر الباحثون عدد الاسرائيليين آنذاك بحوالي ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر . وكانت سيطرة مصر على فلسطين آخذة في التدهور حيث كان الحثيون الذين نزحوا من الأناضول يزاحمون المصريين في هذه المنطقة مما أدى الى اصطدام الطرفين في معركة ضارية خاضها رعمسيس مع غريمه « مواتاليس » ملك الحثيين في قادش (شمال فلسطين) سنة ١٢٩٩ ق.م. كاد الحثييون أن ينتصروا فيها ، الا أن رعمسيس تمكن من الصمود بشجاعة أمام الحثيين حتى وصلته الامدادات فواصل القتال الى أن انتهى الصراع الى عقد صلح سنة ١٢٦٩ ق.م. بين العاهلين رعمسيس والملك الحثي حاتوشيلي الثالث مع التوقيع على ميثاق دفاع مشترك ضد أي غزو خارجي أو ثورة داخلية ، وفي الوقت نفسه عقد فرعون على ابنة الملك الحثي حاتوشيلي توثيقاً للعلاقات الودية بين الطرفين . ويستدل من ذلك على أن فلسطين كانت ساحة حرب عندما خرج بنو اسرائيل من مصر . لذلك تجنّب النبي موسى التوغل في داخل فلسطين واختار لمستقره مع بني اسرائيل برية سيناء حيث كانت له صلات مع المديانيين القاطنين في جوار هذه المنطقة ، إذ سبق له ان أقام في أرض مديَن وقد تزوّج هناك من ابنة كاهنها الذي كان على ما يرجح موحداً يعبد الله باسم « يهوه » . وهو اسم الاله الذي عبده الاسرائيليون . وبذلك كان جناحه الأيمن محمياً من جهة البادية

لأن الآشوريين لم يكونوا في وضع يساعدهم على الفتح حيث كانوا خاضعين آنذاك لحكم الكشيين في العراق. كما أن الأراميين لم يكونوا قد بلغوا من القوة بحيث يهددون فلسطين بمغامرة ضدها. وهكذا كان الجو ملائماً جداً لسلامة بني اسرائيل، فبقوا في بريّة سيناء حوالي السنة ثم ارتحلوا الى قادش برنيع ونزلوا في برية فاران ثم توجّهوا الى عصيون جابر ومنها الى برية سين فجبل هور في طرف أرض أدوم. ولم توضّح التوراة الوضع بعد هذه المرحلة لقد جاء كلامها غامضاً غير أن فقرة تشير الى أن الرب أتاه بني اسرائيل في البرية أربعين سنة حتى فني الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب(١). ونخلص من هذا الى أن بني اسرائيل لم يقوموا بأي غزو أو فتح حتى جاء الجيل الجديد بعد أربعين سنة. والظاهر أن موسى عقد العزم على غزو كنعان من جهة شرقي الأردن لصعوبة اختراق الجبهة الشرقية. وكانت في هذه الجهة خمس مقاطعات احتل موسى الثلاثة الشمالية ولم يتحرش بالمقاطعتين الجنوبيتين موآب، وأدوم. ووزّع موسى المقاطعات الثلاث على سبطين ونصف سبط.

٢ ــ **عهد يشوع**: ومات موسى في آرض موآب فعيّن قبل وفاته يشوع ابن نون خليفة له، فاقتحم يشوع أرض كنعان عبر الاردن وحارب أقوامها وكان أكثرهم من القبائل الكنعانية والعمورية والعمالقة التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير. وتدّعي التوراة أن يشوع قضى على ٣١ ملكاً من ملوك هذه الأقوام ومنهم ملك أورشليم «أدوني صادق»(٢) «لم يبق شارداً بل حرّم كل نسمة كما أمر الرب إلّه اسرائيل»(٣). ومن بين المدن التي استولى عليها يشوع أريحا وبيت أيل وعاي ولخيش وعجلون وحبرون ودبير، وكانت أريحا أولى المدن التي

---

(١) عد ٣٢ : ١٣ ؛ تث ٢ : ٧
(٢) يش ١٢ : ٧ — ٢٤
(٣) يش ١٠ : ٤٠

احتلها بنو اسرائيل بقيادة يشوع « فحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب . »[١] ويؤخذ من أخبار التوراة أن يشوع قسم الأراضي المستولى عليها بين تسعة اسباط ونصف ، لأن سبطين ونصف سبط أخذوا نصيبهم من الأراضي في الجانب الشرقي من الأردن في عهد موسى .[٢]

وكان بنو اسرائيل يواجهون في هذا العهد هجرة أقوام أقوياء كانوا يزاحموهم من الجهة الغربية ويصدون تقدّمهم في هذا الاتجاه ، وكان هؤلاء يعرفون بالفلستينيين ، وهم جماعة من الأقوام الأيجية كانوا قد فروا من وجه الهجرات اليونانية التي ازاحتهم من مواطنهم ، فهاجر قسم منهم الى فلسطين بعد إخفاقهم في النزوح الى مصر حيث صدهم الفرعون رعمسيس الثالث في معركة بحرية (١١٩١ ق.م.) واستولوا على الساحل الفلسطيني الذي يمتد من غزة الى جنوب يافا ومنهم جاءت تسمية فلسطين الحالية . ومن مدنهم المشهورة التي أسّسوها في هذا القطاع من الساحل « أشدود » و « غزة » و « أشقلون » و « جت » و « عقرون » . وكانت هذه المدن تؤلف دويلات كلّ منها برئاسة زعيم وتؤلف فيما بينها اتحاداً بزعامة أشدود . وكان هؤلاء الفلسطينيون متفوقين على الاسرائيليين في معداتهم الحربية إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه[٣] . لذلك لم يجرأ يشوع محاربتهم فتجنّبهم كما تجنب المدن المحصّنة ومنها

---

(١) يش ٦ : ٢١ ، ٢٤

(٢) يلاحظ هنا أن الأسباط الاثني عشر الأصليين أولاد يعقوب الأثني عشر من بينهم سبط يوسف أصبحوا ثلاثة عشر سبطاً بضم سبطي ابني يوسف ، منسي وافرايم ، بدلا من سبط يوسف الواحد . ولكن الأسباط الثلاثة عشر عادت فاصبحت اثني عشر ، لأن سبط بني لاوي لم يكن له نصيب في التوزيع إذ كانت مهمته ادارة الشؤون الدينية والتفرغ لها .

(٣) ١ صم ١٧ : ٧

أورشليم لمناعتها . وقد بقي الفلسطينيون بعد أن اندمجوا بالعناصر الكنعانية بحيث غدا من الصعب تمييزهم عنهم مصدر قلق وخطر يهدد الاسرائيليين في جميع أدوارهم التالية حتى قضى الرومان على الكيان الاسرائيلي(١) .

ومما ساعد على تقدم الفتح الاسرائيلي في بلاد كنعان بقيادة يشوع ملاءمة الظرف السياسي السائد أوانذاك ، فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع ما بينها ، دويلات لا يحصى عددها يحكم فيها حكام اقطاعيون مستبدون همهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم . ويرجع توطيد دعائم هذا النظام الاقطاعي في هذه المناطق الى عهد الهكسوس الذين دام حكمهم فيها وفي مصر السفلى حوالي قرنين من الزمن بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ ق.م. ولما أخرج المصريون الهكسوس من بلادهم لاحقوهم في مستعمراتهم الشرقية واستولوا عليها ومنها بلاد كنعان التي ضموها الى مملكتهم . ولكن المصريين لم يحاولوا تغيير الأوضاع السياسية في هذه المناطق فتركوها على حالها وكان جل اهتمامهم جمع الجزية من البلاد على يد مأمورين متفسخين . وفضلاً عن ذلك ان مصر كانت في منتهى ضعفها عندما غزا يشوع بلاد كنعان ما جعلها غير قادرة على التدخل ومد ملوك كنعان بمساعداتها . ولم يسلم من هذا الوضع المتردي غير المدن الساحلية الشمالية المتحصنة وراء سلسلة جبال لبنان مما جعلها بعيدة عن تأثير المنازعات الداخلية فكانت لها موانيها من جهة البحر تساعدها على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية من الخارج ، وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفاً للنحاس والقصدير قد فتح لها عهداً جديداً فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين فتقدمت وازدهرت تجارتها(٢) .

ونستخلص من رواية التوراة أن مدينة أورشليم كانت من بين المدائن التي

---

(١) Hitti, « The Hiotory of Syria, » pp. 180— 185.

(٢) Keller, « The Bible as History, pp. 155 — 157.

لم يستطع يشوع احتلالها لمناعتها وصلابة سكانهـا اليبوسيين . ويؤكـد ذلك الأستاذ بيرون في مقاله عن تاريخ أورشليم في دائرة المعـارف البريطانية فيقول : « ومن الجلي الواضح أن أورشليم كانـت قبـل مجيء الاسرائيليين بقيادة يشوع مدينة كنعانية خالصة على جانب كبير من الأهميـة والمناعة »(١) .

٣ ــ عهد القضاة : وبعد موت يشوع أخذ بنو اسرائيل ينتهزون الفرص بعد أن ثبّتوا أقدامهم في أرض كنعان لتوسيع رقعة الأراضي التي استولوا عليها ، فاستولى بنو يهوذا على غزة واشقلون وعقرون وتخومها(٢) . كما استولوا على مدن أخرى ومنها أورشليم التي أشعلوا النار فيها(٣) ، الاّ انهم عادوا فاخلوها تحت ضغط اليبوسيين . امّا تحصينات أورشليم ومنها حصن يبوس (حصن صهيون) فقد ظلت صامدة بيد اليبوسيين حوالي ثلاثة قرون بعد ظهور بني اسرائيل في فلسطين حتى احتلها الملك داود في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد . « وسكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والعموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم ... فحمي غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بايدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد اعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم ... فضاق بهم الأمر جداً وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم . »(٤) لذلك سمي هذا العهد من الاستيطان بعصر القضاة وقد استمر حوالي القرن بين سنة ١١٢٥ و ١٠٢٥ ق.م(٥) .

---

(١) S. W. Perowne, « Jersalem, » E. B.. Vol .12. 1965, p. 1007.

(٢) قض ١ : ١٨

(٣) قض ١ : ٨

(٤) قض ٣ : ٥ – ٦ ؛ ٢ : ١٣ – ١٦

(٥) Hitti, of. cit., p. 180.

وكان عهد القضاة عهداً مضطرباً تخلّلته عدة نكسات كادت تهدد الكيان الاسرائيلي في فلسطين ، امّا سكان البلاد الأصليون فتعترف التوراة أنهم أصبحوا من القوة بحيث تمكّنوا من إخضاع بني اسرائيل لحكمهم في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة[1] . وقد بلغ الفلسطينيون في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد أوج قوتهم فاوقعوا في أواخر عهد القضاة بالاسرائيليين هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على « تابوت العهد »[2] وخضع الاسرائيليون الى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر شمشون فحارب الفلسطينيين.[3] وتابوت العهد بحسب المآثر الاسرائيلية خزانة من الخشب مكسوّة بالذهب اعتبرها الاسرائيليون رمزاً لوجود الله وقد أودع فيها اللوحان الحجريان اللذان نقشت عليهما الوصايا العشر وأشياء دينية أخرى ، وصارت هذه الخزانة تشغل أقدس جزء من طقوسهم الدينية ووجودها بين ظهرانيهم يكفل النصر لهم ، لذلك كانوا يحملونها معهم في رحلاتهم وفي معاركهم على أعمدة طويلة[4] .

٤ ــ عهد الملوك :

ولقد شعر بنو اسرائيل تجاه الوضع المضطرب بحاجة الى تنظيم جديد يضمن اتحادهم وتوحيد قوتهم أمام مقاومة سكان فلسطين المتزايدة ، خصوصاً بعد أن شهدوا بأم أعينهم كيف كان الفلسطينيون متحدين صفاً واحداً في المعارك ضدهم ، كما شهدوا حكم الملوك في الدويلات الفلسطينية والأدومية والموآبية والعمونية والعمورية والكنعانية وغيرها ، فصاروا يتوقون الى أن يكونوا مملكة واحدة مثل سائر الشعوب ، والقضاء على انقسام الاسباط . وكان هناك دافع آخر يدفعهم في هذا الاتجاه وهو انهم تذمروا من حكم القضاة ، إذ مال بعض

---

(١) قض ٣ : ١٤ ؛ ٤ : ٢ ؛ ٦ : ٣ - ٦ ؛ ١٠ : ٨
(٢) ١ صم ٥ : ١
(٣) قض ١٣ : ١
(٤) خر ٢٥ : ١٠ - ٢١ ؛ عد ١٠ : ٣٣ - ٣٦ ؛ تث ١٠ : ١ - ١٥ ؛ يش ٣ ، ٦

القضاة وراء المكسب وأخذ الرشوة ، فاجتمع كل شيوخ اسرائيل وجاوأا الى صموئيل وهو آخر كبار القضاة وقالوا له : « هو ذا انت قد شخت فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب .[1] » وقد أصر الشعب على طلبهم هذا على رغم ما شرحه لهم صموئيل من مساوىء للملوك واستبدادهم وتسخيرهم للشعوب وما يملكون لمصالحهم ، » فابى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ماكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا . »[2] فنزل صموئيل عند رغبتهم وعين لهم الملك المنشود ، وهذا الملك الأول هو شاؤول . ولكن كان على الملك أن يحكم وفق أوامر يهوى التي تصل على يد الكهنة رجال الدين ، ولمّا أهمل هذا الملك الرضوخ التام لأوامر يهوى المنقولة على يد صموئيل خذله الرب وأوقعه بيد أعدائه الفلسطينيين فاندحر امامهم فقتل هو وأولاده الثلاثة في المعركة وتشير التوراة الى أنه مات منتحراً بعد جرحه . وكان حكم شاؤول قد استمر حوالي ١٥ سنة بين سنة ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق.م على وجه التقريب[3] . وقد اتخذ حبرون (الخليل) عاصمة له خلال مدة حكمه . ثم تقلّد الحكم الملك داود خلفاً لشاؤول فا ستطاع هذا الملك أن يخضع اكثر المدن الفلسطينية كما تمكّن من إخضاع دويلات أدوم وموآب وعمون ، ووسّع مماكته من جهة الشرق فاستولى على مملكة صوبا الأرامية الغنية بمناجم النحاس وأخضع ملكها هدد عزر بن رحوب وأخذ منها « نحاساً كثيراً جداً » .[4] كما اخضع توعي ملك حماة الذي أعلن موالاته للملك داود بارساله هدايا ثمينة اليه[5] . « وملك داود على جميع اسرائيل وكان داود يجري قضاء وعدلاً لكل

---

(١) ١ صم ٨ : ١ — ٥
(٢) ١ صم ٨ : ١٩ — ٢٠
(٣) ١ صم ٣١ : ١ — ١٠ ؛ ١ أخ ١٠ : ١ — ١٠ ؛ ٢ صم ١ : ٦ — ١٠
(٤) ٢ صم ٨ : ٣ — ٨
(٥) ٢ صم ٨ : ٩ — ١٥

شعبه . » وفي هذا العهد تعلم الاسرائيليون صناعة الحديد من أبناء فلسطين مستغلين الحديد الخام المتوفر في ارض أدوم التي استولوا عليها . كما استطاعوا أن يوسعوا تجارتهم بعد سيطرتهم على الطريق التجارية المهمة بين بلاد الشام وبلاد العرب . وقد اتخذ داود في أوائل حكمه حبرون عاصمة له ثم انتقل الى أورشليم بعد استيلائه عليها من اليبوسيين وبنى فيها قصره الملكي واقام فيها معبداً للاله يهوى . وبذلك تكون أورشليم قد بقيت في أيدي أهلها من الكنعانيين حوالي ألفي عام قبل احتلالها في زمن الملك داود . وقد استمر حكم داود ٤٠ سنة بين سنة ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق.م. على وجه التقريب . (١)ثم انتقل الحكم الى الملك سليمان وهو الذي اشتهر ببناء الهيكل في أورشليم .

اما الوصف الذي اعتاد الباحثون ترديده عن اتساع وامتداد حدود مملكة سليمان فيعده أكثر الباحثين من قبيل المبالغات التي درجت عليها دويلات وأقوام تلك العصور . والحقيقة أن اسرائيل كانت في عهد سليمان الذي يتبجح الاسرائيليون بعظمته أشبه بحمية مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الذين كانوا أهم ما يهدفون اليه من وراء هذا الاسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهـم الاشوريون . وكان سليمان يريد أن يجاري الفراعنة في البذخ والظهور بما هو فوق طاقاته وامكاناته الاقتصادية وذلك باغداقه على إقامة الابنية الشاهقة والقصور الفخمة . فاثقل كاهل الشعب بكثرة الضرائب كما أثقل كاهل خزينته بالديون المتراكمة حتى اضطر أن يقدّم الى حيرام ملك صور عشرين مدينة في أرض الجليل مقابل الديون التي تراكمت عليه . ولكن لم تحسن هذه المدن في عيني حيرام حتى قال لسليمان : « ما هذه المدن التي أعطيتني اياها ؟ . فدعاها حيرام أرض كابول . »[١] ولما عسر على سليمان أن يحتل أرض

---

(١) امل ٢ : ١١ ؛ ٢ صم ٥ : ٤

الفلسطينيين الساحلية طلب معونة حميه فرعون مصر فارسل جيشاً مصرياً احتلها له وسلمها اليه مهراً لابنته زوج سليمان .(٢) ويؤكد الخبراء بان الوثائق التاريخية التي بين أيديهم لا تؤيد كل الشهرة والعظمة التي نسبت الى سليمان لأن المملكة التي ورثها عن ابيه داود كانت أوسع وأغنى مما صارت عليه في عهده(٣) . وفي الأسفار الأربعة من العهد القديم ، سفري صموئيل الأول والثاني وسفري الملوك الأول والثاني . تفاصيل عن حياة واعمال الملوك الثلاثة ، فالسفران الأولان مكرسان لصموئيل وشاؤول وداود والسفران الأخيران معظمهما مكرس لسليمان .

لقد كان الخلاف بين مصدر وآخر في تعيين تواريخ حكم كل من شاؤول وداود وسليمان شاسعاً بحيث يحتار الباحث باي منها يأخذ . لذلك أخذنا بتاريخ بداية حكم ملكي يهوذا واسرائيل بعد الانقسام وهو سنة ٩٣١ ق.م. كما توصلت اليه أحدث الدراسات . ثم اعتمدنا على التوراة التي حددت مدة حكم كل من سليمان وداود باربعين سنة(٤) في تعيين تاريخ حكمهما قبل الانقسام مباشرة . اما شاؤول فلم تشر التوراة الى مدة حكمه وقد عينه الباحثون كل حسب تخمينه في الفترة التي تلي عهد القضاة مباشرة . وبذلك يمكن تحديد تاريخ حكم كل منهم على وجه التقريب كالآتي :

يتضح مما تقدم أن كيان هذه المملكة الموقتة كان قائماً على إسناد المصريين

الملك شاؤول بين ١٠٢٥ و ١٠١٠ ق.م.

الملك داود بين ١٠١٠ و ٩٧١ ق.م.

الملك سليمان « ٩٧١ و ٩٣١ »

---

(١) ١ مل ٩ : ١١ – ١٣

(٢) ١ مل ٩ : ١٦

(٣) الاستاذ طه باقر – المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٩٠

(٤) ١ مل ١١ : ٤٢ ؛ ٢ : ١٠

الذين اتخذوها محمية لهم على حدود بلادهم الشرقية . وكانت الظروف السياسية السائدة أوانذاك الى جانب الاسرائيليين حيث كانت الامبراطورية الآشورية تعاني سكرات الوهن والانحلال مما جعل الاسرائيليين في مأمن من خطر الغزو من الشرق ، وفي الوقت نفسه كان الأراميون الذين يهددون اسرائيل من الشرق قد وجدوا باب العراق مفتوحاً أمامهم لغزو وادي الرافدين والتغلغل في ارجائه فاشغلهم ذلك عن التفكير بالممتلكات الغربية في فلسطين . وهكذا صفا الجو لتشكيل المملكة الموقتة في فلسطين بحماية مصر .

٥ ــ عهد الانقسام ــ مملكتا اسرائيل ويهوذا

ولقد خلف سليمان بعد وفاته تركة ثقيلة ، فقد أحدثت اندفاعاته في تسخير الشعب ردة فعل سرعان ما برزت من مكمنها بعد موته مباشرة ، فالاتحاد بين الشطرين ، اسرائيل والاسباط العشرة من جهة ويهوذا وبنيامين من جهة أخرى ، الذي حققه داود غدا في خبر كان وظهرت الخلافات على اشدها من جديد وقد تمخض عنها قيام دولتين ، الأولى في الشمال باسم مملكة اسرائيل وتضم عشرة اسبــاط وعاصمتها شكيم (نابلس) ثم (ترصة) وأخيراً مدينة السامرة (سبسطية) ، والأخرى في الجنوب باسم مملكة يهوذا وتضم سبطي يهوذا وبنيامين وعاصمتها أورشليم . وقد تولّى الحكم في اسرائيل يربعام بن نباط وكان خصماً لسليمان أراد سليمان قتله فهرب من وجهه الى شيشنق ملك مصر . فلما مات سليمان عاد فنصب ملكاً على اسرائيل[١] . كما تولّى الحكم في يهوذا رحبام بن سليمان وكان ذلك سنة ٩٣١ ق.م. وكان أهل الشمال يختلفون عن أهل الجنوب في نمط حياتهم وثقافتهم ، فكان أهل الشمال يمارسون الزراعة والتجارة وكانوا أكثر تأثراً بالكنعانيين المدنيين وبثقافتهم وديانتهم الوثنية من أهل الجنوب الذين كانوا اكثر تمسكاً بالآله يهوى

---

(١) ١ مل ١١ : ٤٠ ؛ ١٢ : ٢

ومحافظتهم على حياة البداوة . وكانت الحرب سجالاً بين المملكتين منذ البداية واستمرت طيلة حياتهما مما اضعف كليهما ، هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج . فأول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الأول الليبي ملك مصر : « ففي السنة الخامسة للملك رحبام صعد شيشنق ملك مصر الى أورشليم وأخضعها للفراعنة وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان . »[1] وفي زمن يهورام ملك يهوذا الرابع (٨٤٨ – ٨٤١ ق.م) انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا وملّكوا على أنفسهم ملكاً »[2] وفي زمنه أيضاً صعد الفلسطينيون والعرب الذين بجانب الكوشيين فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً ولم يبق له الا أصغر بنيه .[3] وفي زمن يوآش غزا الجيش الآرامي أورشليم وأهلك كل الرؤساء وأخذ جميع الخزائن وقدمها لحزائيل ملك الاراميين .[4] وفي عهد امصيا ملك يهوذا (٧٩٦ – ٧٦٧ ق.م) هجم يهواش ملك اسرائيل على اورشليم فهدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك .[5] وفي عهد ازدهار مملكة دمشق الأرامية أصبحت كلتا المملكتين ، اسرائيل ويهوذا ، تحت سيطرتها فأخذ الملك ابن هداد (بنهدد) ملك دمشق (٨٧٩ – ٨٤٣) ق.م الجزية من يهوذا وضم منطقة جلعاد في شرقي الاردن الى المملكة الأرامية ، كما أنه فرض الحماية الأرامية والجزية على اسرائيل في عهد ملكها آخاب بن عومري (٨٧٤ – ٨٥٣ ق.م) . وكان الأراميون يستغلون الخلاف بين اسرائيل ويهوذا لاخضاع كليهما الى نفوذهم .

---

(١) ١ مل ١٤ : ٢٥ – ٢٦
(٢) ٢ أخ ٢١ : ٨ – ٩
(٣) ٢ أخ ٢١ : ١٦ – ١٧
(٤) ٢ أخ ٢٤ : ٣ ؛ ٢ مل ١٢ : ١٧ – ١٨
(٥) ٢ مل ١٤ : ١١ – ١٤ ؛ ٢ أخ ٢٥ : ٢١ – ٢٤

ثم تحركت الامبراطورية الآشورية متعطشة للفتح فاصطدمت أول ما اصطدمت بالأراميين ، وبدأ الصراع ما بينهما على السيطرة ، فاستغل الاشوريون الصراع القائم بين الأراميين وبين اسرائيل ويهوذا للانقضاض عليهم جميعاً فاخضعوهم الواحد بعد الآخر .

٦ ـ الغزو الآشوري وازالة اسرائيل من الوجود :

لقد كان لقيام الامبراطورية الآشورية الثانية التي دامت بين سنة ٧٤٥ و ٦١٢ ق.م. أثرها في تغيير وجه الشرق ، فقد حكم خلال هذه الفترة ستة ملوك بلغت الانبراطورية في عهدهم أوج عظمتها واتساعها خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بحيث ضمت جميع أراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر ، ولم يكتفوا بذلك فوسّعوا نطاق سلطانها وسيطرتها حتى شملت البلاد الجبلية الشمالية والشرقية وما وراءهما . ويهمنا من بحث هذه الانبراطورية العظيمة الدور الرئيسي الذي لعبته في القضاء على مملكة اسرائيل نهائياً وسبي سكانها اليهود الى أماكن بعيدة واحلال سكان من غير اليهود محلهم من مختلف انحاء الامبراطورية ، ثم تحطيم مملكة يهوذا .

ومن الحملات التي شنّها ملوك هذه الانبراطورية في فتوحاتهم حملة أول ملوكها « تجلات بلاسر الثالث » (٧٤٥ ـ ٧٢٧) على مملكة آرام فاستولى على عاصمتها دمشق (٧٣٢ ق.م) وسبى أهلها وقتل ملكها رصين ، ثم توجّه الى اسرائيل فاستولى في زمن فقح ملك اسرائيل (٧٣٩ ـ ٧٣١ ق.م) على كل أراضي اسرائيل وسبى أهلها الى آشور تاركاً لخلفه الملك هوشع مدينة السامرة[1] . وقد قام تجلات بلاسر بهذه الحملة استجابة الى استنجاد آحاز بن

---

(١) « في أيام فقح ملك اسرائيل جاء تفلث فلاسر ملك آشور وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالي وسباهم الى آشور . » (٢ مل ١٥ : ٢٩ ؛ ١ أخ ٥ : ٢٦) . هذا ما ورد في التوراة وقد ورد مثل ذلك تماماً في كتابات تجلات بلاسر حيث قال : « قمت بضم جميع مدن بيت عومري (اسرائيل) في حملاتي السابقة ولم اترك =

يوثام ملك يهوذا (٧٣٥ — ٧١٥) ق.م. بتجلاث بلاسر لانقاذه من ضغط الملك رصين ملك دمشق والملك فقح ملك اسرائيل وقدّم الى ملك آشور كميات كبيرة من الفضة والذهب « الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك . »[1]

وقد اتبع تجلاث بلاسر سياسة التهجير ونقل السكان من مكان الى مكان آخر ، فكان ينفي سكان الاقاليم المغزوة ويسكن محلهم سكان أقاليم أخرى ، فنقل سكان سورية وفلسطين الى بلاد بابل وآشور وأحلّ محلهم أقواماً من بابل ومن لولوبو في الزاغروس ومن نايبري قرب بحيرة وان[2] . وقد عثر على مسلّة آشورية نقش عليها شرح كامل لحملة تجلاث بلاسر على أرام وعلى اسرائيل .

وفي عهد شيلمنصر الخامس ، خلف تجلاث بلاسر (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م) جرّد هذا الملك حملة تأديبية على اسرائيل ، فحوصرت عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات ، وقبل ان يظفر بالنصر النهائي وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م. ، ولكن القائد الآشوري أتم مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سركون الثاني خلف شيلمنصر ، وبذلك تم استسلام السامرة عاصمة اسرائيل والقضاء على مملكة اسرائيل نهائياً . وتبعاً للخطة التي تبناها تجلاش بلاسر الثالث أجلى سركون الثاني زهرة رجال المملكة (٢٧,٢٨٠

= سوى مدينة السامرة.. أخذت نفتالي باسرها وضممتها الى آشور وعهدت برجالي حكاماً عليها . وجميع سكان أرض بيت عومري وممتلكاتهم (اخذتهم) الى آشور . »

(Keller, « The Bible as History, » 7. 241).

(١) « وأرسل آحاز رسلا الى تفلاث فلاسر ملك آشور قائلا : أنا عبدك وابنك ، اصعد وخلصني من يد ملك أرام ومن يدملك اسرائيل القائمين علي . فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها الى ملك أشور هدية فسمع له ملك أشور وصعد ملك أشور الى دمشق وأخذها وسباها الى قير وقتل رصين » (٢ مل ١٦ : ٧ — ٩) .

(٢) ديلا بورت ، « بلاد ما بين النهرين » ، الترجمة العربية ، ص ٣٠٨

شخصاً)[1] الى ناحية حران والى ضفة الخابور وميديا ، وقد أحل محلهم الأراميين من اقليم حماة ، ثم لحق بهم العرب هناك في عام ٧١٥ ق . م . وكذا بعض الأهلين من كوثا وبابل سنة ٧٠٩ ق . م .[2] وبذلك قضي على العشرة أسباط التي كانت تتكوّن منها اسرائيل[3] فأزيلت مملكة اسرائيل من الوجود وبقيت مملكة يهوذا الصغيرة تتأرجح في مهب الريح بين رحمة حكومة مصر من المغرب ودولة آشور من الشرق فاذا انحازت للاولى غضبت عليها الثانية واذا انضمت الى الثانية أغاضت الاولى ، فلمّا أخذ الملك حزقيا ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٦ ق . م) يتقرب من مصر وأخذ يتهيأ للدفاع المشترك مع بعض الملوك المجاورين ضد هجمات الآشوريين ويستعد للدفاع عن عاصمته أورشليم بتقوية أسوارها وتحصينها غضب سنحاريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق .م) خلف سركون ، فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لاخضاعها او تدميرها والقضاء عليها كما فعل أسلافه باسرائيل . فهب حزقيا وأرسل وفداً إلى مصر مستنجداً بملكها فوعده المصريون بالعون ، فانتقده أشعيا على اعتماده على ملك مصر بدلاً من اعتماده على الرب بقوله : « ويل للذين ينزلون الى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جداً ولا ينظرون الى قدوس اسرائيل ولا يطلبون الرب »[4] .

ولدينا مصدران عن أخبار حملة سنحاريب هذه على مملكة يهوذا : الأولى، كتابات سنحاريب نفسه ، وقد نقشت على جدران قصره في نينوى الى جانب

---

(١) طه باقر ، (مقدمة ..) ، ج ٢ ، ص ٢٩٣

(٢) ديلا بورت ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩

(٣) عثر بين أنقاض مدينة سمأل (سنجرلي) الأرامية على نصب لسركون عليه كتابة تشيد بأمجاد عهده وانتصاراته ، كما عثر على مسلة سركون الثاني نقشت عليها باللغة الاشورية وبالخط المسماري تفاصيل حوادث الحملة الآشورية على اسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها حمل أهلها الى الأسر

(٤) اشعيا ٣٠ : ١ — ٧ ؛ ٣١ : ١

صورته وهو جالس على عرشه في مقر عملياته الحربية في لخيش وقد ظهر وفد من يهوذا يقدّمون الجزية وفروض الطاعة . ويظهر مما ورد في هذه المدوّنات أن سنحاريب اتجه غرباً حتى وصل الى ساحل البحر الأبيض المتوسط فاستولى على صيدون (صيدا) بعد فرار ملكها « لولي » دون أن يتحرش ببلدة صور لموقعها المنيع على الجزيرة . ثم جاءه تأييد الطاعة مع الهدايا من مدن الساحل من أرواد وبيبلوس (جبيل) وأشدود ، وكذلك من دول الشرق من موآب وعمون وأدوم . وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والأثيوبيين فاستولوا أولاً على اشقلون (عسقلون) ، ثم اتجهوا شمالاً للاتصال بقوات حزقيا ملك يهوذا الا أن سنحاريب قابلهم وانتصر عليهم ، ثم توجّه الى عقرون فهدمها وأخذ يحتل مدن يهوذا الواحدة بعد الأخرى وقد اتخذ مقره في لخيش ومنها بعث بجيش أقام الحصار على أورشليم العاصمة(١) . وفيما يلي نص كتابة سنحاريب يصف فيها انتصاراته على يهوذا فيقول : « اما حزقيا اليهودي فلم يرضخ لسلطتي فحاصرت ٤٦ مدينة من مدنه المحصّنة عدا القرى المجاورة التي لا يحصى عددها واستوليت عليها كلها باستخدام انواع الآلات الحربية والمنجنيقات مما ساعدنا على الاقتراب من الأسوار واختراقها . وقد أخذنا منهم (اليهود ١٥٠ و ٢٠٠ نسمة) ، رجالاً ونساءً ، أطفالاً وشيوخاً ، مع حيواناتهم من الخيول والبغال والحمير والجمال ، كبيرة وصغيرة ، لا تحصى ، وهذه كلّها غنائم استولينا عليها . هو شخصه (حزقيا) جعلته حبيساً في أورشليم في قصره كالطير في القفص ، حطته بأكوام من الأتربة للتضييق على من يحاول الخروج من باب المدينة . سلّمت مدنه التي استوليت عليها الى « ميتيني » ملك أشدود و « يادي » ملك عقرون و « سيليل » ملك غزة . وهكذا قلّصت حدود بلاده وفرضت زيادة في الجزية التي عليه ان يدفعها سنوياً »(٢) .

---

(١) R, W. Rogers, op. cit., pp. 340—348.

(٢) J. Pritchard, «Archaeology and the Old Testament», Princeton, 1958, p. 157 .

امّا المصدر الثاني ، فهو رواية التوراة وقد جاءت هذه الرواية مشوّشة غير واضحة ، فمرة تقول : « صعد سنحاريب ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها وأرسل ملك يهوذا الى ملك آشور الى لخيش يقول قد أخطأت ، ارجع عني ومهما جعلت عليّ حملته ، فوضع ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب : فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك .»[١] ثم تعود التوراة في رواية ثانية تقول إن ملك آشور « أرسل من لخيش الى الملك حزقيا بجيش عظيم الى أورشليم فصعدوا وأتوا الى أورشليم ... وان ملاك الرب خرج وضرب من جيش آشور مئة الف وخمسة وثمانين ألفاً ، ولما بكروا صباحاً اذا هم جثث ميتة فانصرف سنحاريب ملك آشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى »[٢] .

نستخلص من المصدرين الأمور التالية التي تتفق فيها الروايتان :

أولاً — ان حزقيا طلب العون من مصر فعلاً استناداً الى انتقاد أشعيا للملك حزقيا على طلبه العون من مصر .

ثانياً — استيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا المحصّنة .

ثالثاً — ان سنحاريب اتخذ من لخيش مركزاً لعملياته الحربية في فلسطين .

رابعاً — ان الحصار على أورشليم وقع فعلاً ثم فك الحصار .

خامساً — تسلّم سنحاريب الجزية من حزقيا .

امّا الخلاف فينحصر في الأمور التالية :

أولاً — ان التوراة في الوقت الذي تعترف ضمناً بطلب العون من مصر الاّ انها لم تشر الى المعركة التي تذكرها كتابات

(١) ٢ مل ١٨ : ١٣ — ١٥ .
(٢) ٢ مل ١٨ : ١٧ ؛ ١٩ : ٢٥ — ٢٦ .

سنحاريب بين جيش آشور وجيش مصر وتغلب الأول على الثاني .

ثانياً — ان التوراة تعترف باستيلاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا الا انها سكتت عن الغنائم والأسرى الذين سباهم سنحاريب . وقد سكتت التوراة أيضاً عن تسليم المدن التي استولى عليها سنحاريب الى ملوك أشدود وعقرون وغزة .

وقد حددت التوراة تاريخ حملة سنحاريب على يهوذا في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا ولما كان حزقيا ارتقى العرش في سنة ٧١٥ ق . م . فيقع زمن حملته في سنة ٧٠١ ق . م . ، وهذا يتفق مع التاريخ الذي توصل اليه المحققون من المصادر الأخرى .

ومع أن مدينـــة أورشليم لم تسقط الا أن الجيش الآشوري ترك البلاد خراباً ، ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه الا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الآشوريين ، وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية . وقـــد اكتشف المنقبون بين أطلال قويونجق في الموصل ثوراً من الصخر كتبت عليه وقائع تاريخية بينها أخبار حملة سنحاريب على حزقيـــا وذلك في الألواح المحفوظة في دار المتحف البريطاني .

٧ — الغزو الكلداني وازالة يهوذا

وبعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ ق . م . اقتسم الماذيون والكلدانيون ممتلكاتها فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق . وتأسست على أثر ذلك الدولة البابلية الكلدانية بزعامة نبوبولاسر . وقد لعبت هذه السلالة التي دام حكمها ٧٣ سنة دوراً مهماً في تاريخ الشرق الأدنى في القرن السادس قبل الميلاد ؛ فكان من حملاتها الحربية الحملتان على مملكة يهوذا

في عهد نبوخذنصر الثاني ابن نبوبولاسر[١] والقضاء عليها وسبي اليهود الى بلاد بابل . وأهم مصادرنا عن هاتين الحملتين التوراة لأن نبوخذنصر أكثر في مدوّناته تسجيل أعماله العمرانية . فتشير التوراة الى أن يهوياقيم ملك يهوذا (٦٠٨ – ٥٩٧ ق . م .) تمرّد على نبوخذنصر على رغم تحذير النبي إرميا له وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه الى العاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات . ثم تضيف التوراة أن نبوخذنصر أوعز في باديء الأمر الى السوريين الآراميين والموآبيين والعمونيين أن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت هذه الدويلات من النيل الى نهر الفرات تحت قبضته[٢] . ثم شنّ نبوخذنصر بعد ذلك (سنة ٥٩٧ ق . م) حملة على يهوياقيم فحاصر أورشليم ، وفي أثناء هذا الحصار توفي يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين الذي اضطر الى الاستسلام. فسبى نبوخذنصر كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والاقيان ، لم يبقَ أحد الا مساكين شعب الأرض كما سبى يهوياكين وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم الى بابل . وأخرج نبوخذنصر جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب ، ثم عيّن صدقيا عم يهوياكين خلفاً ليهوياكين الذي أكد ولاءه للملك الفاتح[٣] . وقد تم اسكان المسبيين وعوائلهم في منطقة تدعى « نهر الخابور » قرب « نيبور » (نفّر) في جنوب العراق[٤] . وهذا كان خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في أماكن مختلفة وبعيدة لمنعهم من التكتّل والتجمّع وممارسة تقاليدهم وثقافتهم ، فمكّن ذلك اليهود من التجمّع في المنفى والاستمرار في ممارسة

(١) لقب نبوخذنصر بالثاني لأن الأول هو نبوخذنصر الذي ينتمي الى السلالة البابلية الرابعة الذي استعاد استقلال بابل أيام حكم الآشوريين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٢٤ – ١١٠٣ ق.م.) .

(٢) ٢ مل ٢٤ : ١ – ٦

(٣) ٢ مل ٢٤ : ٩ – ١٧

(٤) ان اسم نهر خابور يشمل غير اسم واحد فهناك نهر الخابور في شمال الفرات ونهر الخابور في شمال نهر دجلة ، لذلك فان المقصود هنا هو غير هذين النهرين .

تقاليدهم وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم .

كان هذا السبي الأول ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق . م . وقد وقع على أثر نقض صدقيا لعهد الولاء الى نبوخذنصر إذ دخل في حوالي سنة ٥٨٩ ق .م. في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من « حوفرا » ملك مصر (خلف نيخو الثاني) الذي كان يطمح أن يستعيد سيطرة مصر على سورية . وهكذا فقد وضع صدقيا مصيره مع مصر وحلفائها على رغم محاولة إرميا إبعاده عن هذا الحلف الذي كان ضمناً موجهاً ضد نبوخذنصر . فغضب نبوخذنصر غضباً شديداً وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية الى سورية الشمالية وعسكر في ربلا على نهر العاصي ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ ق .م . ، فأرسل نبوخذنصر من حاصر أورشليم ، الا ان دخول حوفرا ملك مصر الى فلسطين اضطر البابليين الى رفع الحصار موقتاً ، لمحاربته ، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم ولكن النبي إرميا حذرهم فأبان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لأنه وقتي فوضعوه في السجن[1] . ووقع كما تنبأ إرميا فعلاً فقد تمكن البابليون من صد المصريين وارجاعهم على اعقابهم ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم في الحال ، ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وربما الوباء في المدينة مما اضطر اليهود أن يرضخوا ويستسلموا فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز سنة ٥٨٦ ق . م . ، امّا صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه الى ربله حيث مقر معسكر الملك نبوخذنصر ، وهناك ذبح نبوخذنصر أولاده امام عينيه ثم فقئت عيناه وأخذ مكبلاً مع الأسرى الى بابل . امّا أورشليم فخرّبت ودمّرت تدميراً كاملاً فدُك سورها وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت الى بابل ، وقد خمن عدد الأسرى الذين سيقوا الى بابل ليلحقوا

(١) ار ٣٨ : ٢

باليهود من السبي الأول بحوالي ٥٠،٠٠٠ شخص . ثم وجه نبوخذنصر بعد ذلك بجيشه الى المدن الفينيقية والسورية فأخضعها الا مدينة صور التي تعذر فتحها لكونها جزيرة في البحر فدام حصارهـا ١٣ سنة (٥٨٥ — ٥٧٣ ق . م .) ولم ينته الا بعقد صلح قبلت صور بموجبه تجديد ولائها لبابل ودفع الجزية(١) وبذلك غدت أورشليم (أورو — سالم في لسان البابليين) مستعمرة بابلية تدفع الضرائب لبابل ، وظلت كذلك حتى الفتح الفارسي .

وهكذا قضي على مملكتي اسرائيل ويهوذا الهزيلتين ، فكان عدد الملوك الذين حكموا في كل منهما عشرين ملكاً ، فدام حكم اسرائيل ٢٠٩ سنوات وذلك بين سنة ٩٣١ ق . م . و ٧٢٤ ق . م . ، وقد دام حكم يهوذا ٣٤٥ سنة وذلك بين سنة ٩٣١ و ٥٨٦ ق . م .

وبعد تخريب نبوخذنصر لبيت المقدس وسبي بني يهوذا الى بابل ورث الأدوميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل الى بئر السبع فشرقاً إلى وادي عربه حيث يتصل بتخوم أدوم . ومن الأدوميين الذين حكموا فلسطين في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد هيرودوس الكبير (٣٧ — ٤ ق . م .) ، (٣٧ — ٤ ق . م .) ، ثم بعده أبناؤه أرخيلاوس وانتيباس وفيليب . والأدوميون كانوا عرباً ومواطنهم على حدود الصحراء الشرقية في جنوبي فلسطين وهم من نسل عيسو كما تقول التوراة .

ملوك يهوذا الذين حكموا في أورشليم(١)

رحبعام	٩٣١ — ٩١٣ ق.م
أبيـــام	٩١٣ — ٩١٠ ق.م
آســـا	٩١٠ — ٨٦٩ ق.م
يهوشافاط	٨٦٩ — ٨٤٨ ق.م

---

(١) Rogers, op. cit, pp. 360—363.

(٢) Journal of Near Eastern Studies, Vol. III, July 1944, No. 3, Pp. 184—185.

يهورام	٨٤٨ – ٨٤١	ق.م
أخزيا	– – ٨٤١	ق.م
عثليا	٨٤١ – ٨٣٥	ق.م
يوآش	٨٣٥ – ٧٩٦	ق.م
أمصيا	٧٩٦ – ٧٦٧	ق.م
عزيــا	٧٦٧ – ٧٣٩	ق.م
يوثــام	٧٣٩ – ٧٣٥	ق.م
آحــاز	٧٣٥ – ٧١٥	ق.م
حزقيــا	٧١٥ – ٦٨٦	ق.م
منسى	٦٨٦ – ٦٤١	ق.م
آمون	٦٤١ – ٦٣٩	ق.م
يوشيا	٦٣٩ – ٦٠٨	ق.م
يهوآحاز	٦٣٩ – ٦٠٨	ق.م
يهوياقيم	٦٠٨ – ٥٩٧	ق.م
يهوياكين	٦٠٨ – ٥٩٧	ق.م
صدقيا	٥٩٧ – ٥٨٦	ق.م

ج – أورشليم في زمن الفرس الأخمينيين (٥٣٨ – ٣٢٢ ق.م)

استفاد اليهود في أثناء وجودهم في الأسر في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها وخاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والري ؛ فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب شق الجداول وتطهيرها وطرق الإرواء[1] . وفي بابل مارسوا شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية، كما يشير الى ذلك نشوء التعاليم اليهودية المهمة المعروفة

(١) S. Daiches,«the jews in Balylonia,»1910; Rabbi J. Newman 1932.
« The Agricultural Life of the Jews in Babylonia, »

باسم التلمود البابلي حتى ليقال إن السبي البابلي كان عاملاً قوياً في تطور الدين اليهودي في القرون التي تلي .

ولما فتح كورش الأخميني الفارسي بلاد بابل (٥٣٩ — ٥٣٨ ق . م) سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم ، ثم سمح لمن أراد من أسرى نبوخذنصر (أسر ٥٩٧ وأسر ٥٨٦ ق .م) الرجوع إلى فلسطين ، وأعاد إليهم كنائز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذنصر وأمر باعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك[1] ، فعاد فريق منهم بقيادة « رزوبابل » بن شلاثيل بن يهوياكين ملك يهوذا الأخير[2] وآثر الآخرون البقاء حيث كانوا . وقد نعت اليهود كورش بالراعي وبالمسيح المنتظر ووصفوه بصفة المنقذ[3] . اما عدد الذين عادوا ، فقد جاء في سفري عرزا ونحميا أن عددهم كان (٤٢٣٦٠ نسمة) ، هذا عدا عبيدهم واماتهم الذين بلغوا (٧٣٣٧) نسمة وحيواناتهم من خيول وبغال وجمال وحمير[4] ، ولكن الرأي الحديث لا يميل الى الأخذ بهذه الأعداد لاتسامها بالمبالغة[5] . ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصر في أولئك الذين لم يفلحوا كثيراً في الأرض الجديدة والمتعصبون لاعادة بناء الهيكل ، لأن الدلائل تشير الى أن هناك عدداً غير قليل أصابوا النجاح في بلاد بابل فأثروا وأصبحت لديهم ممتلكات كثيرة ففضلوا البقاء وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير . وتشير الوثائق التي عثر عليها الى أن عائلة « الموراشو » اليهودية اشتهرت كاحد البيوتات المالية الكبيرة في عهد ارتكسركس الأول (٤٦٥ — ٤٢٤ ق . م .) ، فكانت

---

(١) ٦ : ٣ — ٦ ؛ ١ : ٧ — ١١

(٢) رزوبابل « اسم بابلي من « زيرو بابلي » أي زرع أو ولادة بابل وكان يدعى أيضاً باسم « شيشبصر » هو اسم بابلي ايضاً (طه باقر ، مقدمة ... ، ج ٢ ، ص ٢٩٩)

(٣) اش ٤٤ : ٢٨ ؛ ٤٥ : ١

(٤) عزا ٢ : ٦٤ ؛ نحميا ٧ : ٦٦ — ٦٩

(٥) طه باقر ، « مقدمة ... » ، ج ٢ ، ص ٢٩٩

هذه المؤسسة تمتلك جداول للري وقطعاناً كثيرة من الأغنام ، وكانت أكثر الأراضي في جوار نيبور مرهونة عندها وقد أثرت نتيجة تعاطيها الربا الفاحش الذي كان يصل الى ٤٠ أو ٧٠ بالمائة(١) .

وكان « رزوبابل » قد عيّن اول حاكم على الجالية اليهودية في فلسطين تابعاً الى الدولة الفارسية ، فشرع في بناء الهيكل الا أن الأقوام المجاورة كالحوريين والعمونيين والحثيين والأدوميين احتجوا على ذلك وهدّدوا بالعصيان فأصدر سمرديس خلف قمبيز الثاني سنة ٥٢٢ ق . م . أمراً بتوقيف عملية البناء ، ولكن دارا الأول أباح لهم ذلك وأتموا بناء الهيكل والسير على عهده سنة ٥١٥ ق . م . ، وفي عهد أكسركس الأول (٤٦٥ – ٤٢٤ ق . م) عادت جماعة أخرى من اليهودبقيادة نحميا وجماعة أخرى بقيادة عزرا . فعيّن نحميا حاكماً على أورشليم (٤٤٤ – ٤٣٢ ق .) . . وهو الذي قام ببناء ما تهدم من السور(٢) .

وقد ترك اليهود استعمال اللغة العبرية ما بينهم في هذا العهد وحلّت محلها الآرامية ، إذ كانوا في بابل وحتى بعد عودتهم إلى أورشليم يتكلمون باللغة الآرامية ، وقد وقد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية المقدسة (٣).

٨ – أورشليم في العصر الأغريقي – المكابيون في فلسطين (٣٣٢ ق.م – ٦٤ ق.م) :

أ : عهد الأسكندر الكبير

يبدأ هذا العصر في بداية حملة الاسكندر الكبير على بلاد الشرق سنة ٣٣٤

---

(١) G. Roux, « Ancient Ira q, p. 374 ; G. Cardascia, « Les Archives des Murashu», Paris, 1951; S. Ddiches, «The Jews in Babylonia...», pp. 11-29.

(٢) طه باقر ، مقدمة ... ، ج ٢ ، ص ٣٠٠

(٣) Hitti, «History of Syria», p. 223

ق . م . . فكان الاسكندر يرمي من حملته هذه تأسيس امبراطورية واسعة تضم الغرب والشرق بلا حدود تفصلها ، تخضع سياسياً واقتصادياً وثقافياً للنفوذ الاغريقي . وذلك بتأسيس مستوطنات اغريقية في مختلف أنحاء هذه الامبراطورية وانشاء قواعد عسكرية على طول خطوط المواصلات مع اقامة مراكز ثقافية تتولى نشر الثقافة اليونانية بما في ذلك اللغة اليونانية . وقد قام الاسكندر بذلك فعلاً بعد احتلاله للبلاد فأسّس سبعين مدينة يونانية جديدة بأسماء يونانية . ومع أن حلمه لم يتحقق بالشكل الذي أراد ، لأنه لم يطل بقاؤه في البلاد التي احتلّها أكثر من إحدى عشرة سنة فلم تنقرض الثقافة اليونانية من البلاد ، حيث سلك أخلافه في نفس الطريق لتطبيق منهجه في نشر الثقافة اليونانية ، والدليل على رسوخها أن رسالة المسيح أذيعت بعد ثلاثة قرون باللغة اليونانية على العالم المتمدن .

وقد اختلف المؤرخون في موضوع زيارة الاسكندر لأورشليم فقال البعض إنه مرّ بها في طريقه الى مصر ، الاّ أنه لا يوجد أي ثبت يؤكد ذلك . وقد بقي الاسكندر في مصر حوالي السنتين بين سنة ٣٣٢ و ٣٣١ ق . م . ، فأسّس هناك مدينة الاسكندرية وقد منح في أثناء وجوده في مصر للجالية اليهودية نفس الحقوق التي منحت لمواطنيه ، ويستدل من مجرى الأحداث على أن الاسكندر بعد أن استولى على فلسطين ومصر لم يتعرّض للأنظمة الدينيـة الذاتية التي كانت سائدة بين الجماعات اليهودية في ظل سلطة الكهنة في فلسطين .

نبع جيحون ويحتاج الى صعود ٣٣ د
في المغارة للوصول الى الماء



ب ــ النزاع بين القوّاد اليونانيين بعد موت الاسكندر :

وقد برز بعد وفاة الاسكندر في بابل سنة ٣٢٣ ق . م أربعة من قواده على عـلى رأس

أربعة أقطار ، وهـم : بطليموس في مصر ، وسلوقس في بابـل ، وانطيفونس في فلسطين وآسيا الصغرى . وانتيبيتر في مقدونيا . وسرعان ما نشب الخلاف بين القواد الأربعة على تقسيم الامبراطورية بينهم ، فكـان بطليموس (بطليموس الأول – سويتر) أول من تحرّك منهم فهاجم أنطيفونس سنة ٣١٢ ق . م . وبمعاونة سلوقس له انتصر على انطيفونس في غزة وضم فلسطين الى أملاكه في مصر . وقد بقيت فلسطين حوالي القرن تحت حكم البطالمة في مصر باستثناء فترات قليلة خرجت فيها من أيديهم . وتشير الوقائع التاريخية الى أن بطليموس نزل على أورشليم سنة ٣٠٠ ق . م . ونقل عدداً غفيراً من اليهود الى أفريقيا لأنهم لم يرضوا أن يحاربوا يوم السبت . وقـام سلوقس بدوره بمهاجمة أنطيفونس سنة ٣٠١ ق .م فانتصر عليه أيضاً واستولى على سوريا وعلى القسم الشرقي من آسيا الصغرى وقد امتد تخم أراضي سلوقس شرقاً ليضم بلاد فارس .

وأسّس سلوقس مدينة أنطاكية على الجانب الأيسر من نهر العاصي في موضع يقع على بعد حوالي ٢٠ ميلاً من البحر وسمّاها باسم أبيه أنطيوخس وقد اتخذها مركزاً لحكمه في سورية ، كما أنشأ مدينة على البحر المتوسط تحمل اسمه فسمّاها « سلوقية » ، وقد انشأها لحماية مصب العاصي ولتكون ميناء لانطاكية . وقد انشأ أيضاً مدينة « أفاميا » على نهر العاصي سمّاها باسم زوجته واتخذها مقراً للجيش ومركزاً مهماً لتربية الأفيال الحربية التي كان السلوقيون والبطالمه يستخدمونها في حروبهم ، وقد جعل السلوقيون الفيل شعاراً لهم نقشوه على نقودهم المسكوكة . وقد أسّس سلوقس عدا ذلك ثلاثاً وثلاثين مدينة ست عشرة منها باسم والده انطيوخس ، وتسع باسمه ، وخمس باسم والدته ، وثلاث باسم زوجته .

ج – النزاع بين البطالمة في مصر والسلوقيين في سورية :

وهكذا فبعد ابعاد انطيفونس عن المسرح بقيت القوتان اليونانيتان ، قوة البطالمة في مصر وقوة السلوقيين في الشرق ، تتزاحمان بينهما على السلطة ومحاولة

توسّع الواحد على حساب الآخر ، فلم يمض وقت ٠ ـيل حتى بدا الخلاف على أشده بينهما ، ففي عهد سلوقس الثاني (٢٤٦ - ٢٢٦ ق . م .) هاجم بطليموس الثالث (٢٤٦ - ٢٢١ ق .م) سورية واحتل أنطاكية وتوجه نحو الفرات في سورية ، الاّ أنه اضطر الى التراجــع بسبب اضطرابات داخلية نشبت في مصر . ثم رد بعد ذلك على هذا الهجوم أنطيوخس الثالث الملقب بالكبير وهو سادس الملوك السلوقيين (٢٢٣ - ١٨٧ ق . م .) ، فهاجم البطالمة في سورية وانتصر عليهم فاسترجع جميع الأملاك التي كان قد استولى عليها بطالمة مصر من أسلافه واحتل فلسطين ومعها يهوذا[١] سنة ١٩٨ ق .م . ، وبذلك انتقلت فلسطين الى حكم السلوقيين . وكان أنطيوخس يستعد للهجوم على مصر الاّ أن تدخل روما في الأمر اضطره الى الكف عن الهجوم ، ولكن روما لم تكتف بذلك بل هاجمته وانتصرت عليه في معركة بحرية نشبت بين الطرفين سنة ١٩١ ق . م . واستولت على أملاك انطيوخس فيما وراء طوروس وفرضت عليه تعويضات حربية ثقيلة . وتبرز هنا نقطة تحوّل رئيسة في السياسة الدولية في الشرق ، وهي ظهور روما أول مرة كدولة قويّة طامعة في الممتلكات الشرقية .

د ـ طبقة من اليهود تتقبل الثقافة اليونانية :

وكانت قد ظهرت في ذلك الوقت طبقة ارستقراطية من اليهود في أورشليم ، وهم من الأغنياء والمتجددين استجابوا الى مخطط البطالمة والسلوقيين لغرض الثقافة اليونانية والعمل بها ، فاقتبسوا اللغة اليونانية وأبدوا استعدادهم للتعاون مع اليونانيين في هذا المجال . وقد استفاد اليهود في يهوذا من الخلاف المستحكم بين الحكام السلوقيين في سورية وبين الحكام البطالمة في مصر في التمتع بالحكم الكهني الذاتي وبامتيازات أخرى ، ففي مرسوم ملكي أصدره أنطيوخس الثالث الى بلدة أورشليم بعد استيلائه على فلسطين أعفى فيه المدينة من الضرائب ثلاث سنوات على أن يشمل الاعفاء أيضاً تخفيضاً في الضرائب الى الثلث فيما بعد ذلك .

---

(١) المقصود هنا بيهوذا المنطقة التي كان فيها اليهود في أورشليم وما جاورها وهذا هو اسمها في زمن المسيح .

هـ ـ تدخل روما في الشرق :

وما كادت روما تظهر على مسرح الأحداث في الشرق حتى أصبحت حامية للبطالمة الضعفاء وغدت تنافس السلوقيين في أرضهم ، فلما هجم العاهل السلوقي انطيوخس الرابع (ابيفانوس) سنة ١٧٠ ق . م . على مصر وتمكن من الاستيلاء على مصر السفلى عدا الاسكندرية وأسر ملكها بطليموس السادس « فيلوميتور » (Philometor) (١٨٠ ١٤٥ ق . م .) ، تدخلت روما في الأمر وأرغمت انطيوخس الرابع على إخلاء ما احتله من أرض مصر والرجوع الى دياره ، ثم أعاد انطيوخس غزوه لمصر سنة ١٦٨ ق . م . ولم ينقذه منه سوى تدخل روما التي أرغمته على الانسحاب للمرة الثانية . وفي طريق عودة انطيوخس عرج على أورشليم فدمر هيكلها ونهب ما فيه من خزائن وخطط للقضاء على اليهودية وإرغام اليهود في يهوذا على الاخذ بالديانة الهيلينية الوثنية والعمل بتقاليدها وممارسة طقوسها ، فأحل الاله اليوناني « زوس » (Zeus) في الهيكل وأعلن نفسه إلهاً من الآلهة التي يجب أن تعبد[1] . ثم بعث أنطيوخس بمن يقوم بجباية الضرائب الثقيلة من أورشليم وملحقاتها .

و ـ محاولة السلوقيين القضاء على اليهودية واندلاع ثورة المكابيين :

وقد بدأ اضطهاد اليهود بشكل منظم سنة ١٦٨ ق . م . ثم صدرت أوامر صارمة سنة ١٦٧ ق . م . بتحريم ممارسة الديانة اليهودية بما فيها ممارسة الختان والشعائر السبتية ، وصارت تذبح الخنازير على مذبح الهيكل ، ومزقت الكتب اليهودية المقدسة ، وقد انتشر الموظفون في كل البلاد لتنفيذ أوامر الملك فكانت

---

(١) « ورجع انطيوكس بعدما أوقع بمصر ... ونهض نحو اسرائيل فصعد الى أورشليم بجيش كثيف ودخل المقدس بتجبر وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع أدواتها ومائدة التنضيد والمساكب والجامات ومجامر الذهب والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة أخذ الجميع وانصرف الى أرضه وأكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم » . (١ ملك ١ : ٢١ ـ ٢٥)

عقوبة المخالفين الموت . وهكذا فقد تحوّلت أورشليم الى مدينة يونانية صرفة من جميع النواحي وأقيمت حامية سورية في مدينة داود . وانشئت في موضع حصن بيوس القديم قلعة صارت تعرف باسم قلعة عكرا او أكرا[1] . وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والاغريقية يشتد يوماً بعد يوم حتّى اندلعت شرارة الثورة من قرية « مودين » الواقعة على بعد عشرين ميلاً من أورشليم ، حيث تزعّم الثورة « متياس » الكاهن في « مودين » هو وأولاده الخمسة . فرفض الاذعان لأوامر الملك ، ولم يكتف بذلك بل قتل الموظف المسؤول وهدم المذبح المعد لتقديم القرابين للآلهة اليونانية ، كما قتل أحد اليهود الذين امتثلوا الى أوامر الملك . فلم يكن بعد ذلك مجال للتراجع ، فهرب « متياس » وأبناؤه الخمسة الى الجبال وشكلوا عصابات واستعدوا للقتال كقوة محاربة ، فتمكّنوا من صد الجيش الملكي والانتصار عليه في معركة خاضوها معهعند « بيت حورون » . فأثار ذلك غضب أنطيوخس وأسرع لاتخاذ العدة للقضاء على الثورة ، فعين « ليسياس » نائباً عنه وعهد اليه بتنظيم الحملة وتوجّه الى بلاد فارس لجمع الجزية . فاختار « ليسياس » ثلاثة من القواد الذين يعتمد عليهم وأرسلهم على رأس جيش كبير ضد يهوذا ، الاّ أن القواد الثلاثة لم يحرزوا أي نجاح في مهمتهم ورجعوا مكسورين خاسري المعركة ، وفي خلال ذلك مات متياس سنة ١٦٦ ق . م . فوقع العبء على أبنائه الخمسة ، فتزعم فيهم أكبرهم وهو « يهوذا » الذي كان يسمّى « مكابوس » ، لذلك صار يعرف خلفاؤه من الزعماء بالمكابيين ، كما أطلق على عصرهم اسم العصر المكابي الذي دام حوالي القرن وربع القرن (١٦٦ — ٣٧ ق . م .)[2] .

---

(١) انظر ما تقدم حول حصن بيوس أو حصن صهيون .

(٢) ان تاريخ القسم الأول من العصر المكابي مفصل في سفري المكابيين ، الأول والثاني ، في آخر كتاب العهد القديم وتتوقف حوادثه عند نهاية عهد سمعان سنة ١٣٤ ق.م. ويتفق الباحثون والمؤرخون على أن الأحداث التاريخية المسرودة في هذين السفرين معترف بصحتها من حيث الخطوط الرئيسية العامة ، إذ جاء تاريخ يوسيفوس مؤيداً لها ، ويعتقد أن سفر المكابيين الأول =

ز ــ عهد المكابيين في فلسطين (١٦٦ ــ ٣٧ ق.م.)

وعلى أثر إخفاق قواد الجيش السلوقي في اخماد الثورة أعد « ليسياس » حملة أخرى مؤلفة من جيش كبير أيضاً ترأسه هو نفسه هذه المرة ولكن لم يكن مصيره بأحسن من مصير القواد الذين سبقوه ، فمكّنت هذه الانتصارات « يهوذا » أن يتطلع الى الاستقلال ، خاصة بعد أن استطاع بمعاونة اخوته أن يستولي على مدينة أورشليم سنة ١٦٤ ق . م . ، وفي خلال ذلك عقد « يهوذا » معاهدة مع الرومان . ولم يمض وقت طويل حتى توفي انطيوخس الذي قيل إنه مات كمداً من شعوره بالخزي والعار إثر انتصارات « يهوذا » على جيشه ، فخلفه ابنه انطيوخس الخامس (أيوباتور) سنة ١٦٣ ق . م . ، ففي عهده استؤنف القتال بقيادة « ماشيدوس » و « اليوموس » ضد يهوذا ، فكانت الغلبة هذه المرة الى جانب الجيش السلوقي ، فغُلب « يهوذا » على أمره وقتل سنة ١٦٠ ق . م . ، فخلفه أخوه « يوناثان » على رأس السلطة ، وبعد قتال عنيف بين المعسكرين السلوقي واليهودي عقد القائد السلوقي ماشيدوس معاهدة مع « يوناثان » تحمل معها شبه اعتراف بسلطة « يوناثان » واستقلاله ، وبهذا تمكّن يوناثان من توطيد السلم وحرية العبادة في المنطقة اليهودية التي تحت حكمه .

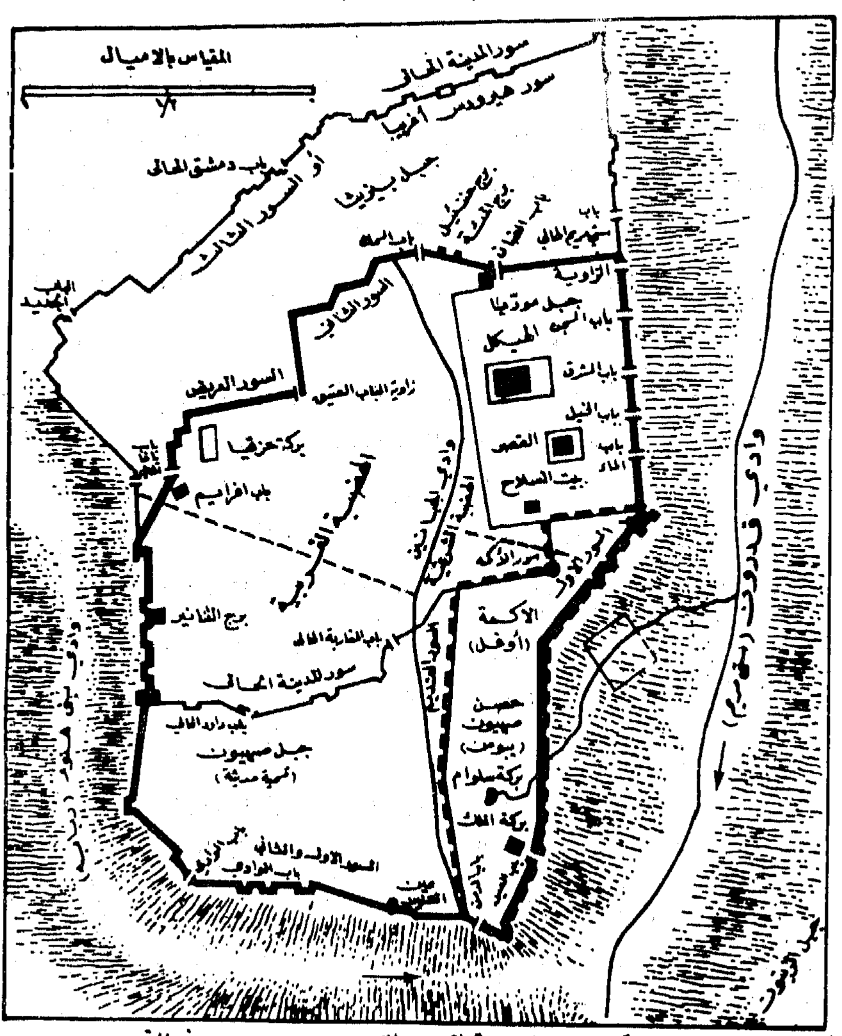
وقد استفاد « يوناثان » من نشوب خلاف على العرش بعد موت أنطيوخس الخامس (أيوباتور) بين اثنين من الأمراء ، هما ديمتريوس سوتر واسكندر بالاس ، فصار كلاهما يخطبان ود « يوناثان » للحصول على تأييده ، فكانت ثمرة هذا الخلاف ان منح اسكندر بالاس الأول بعد تسنّمه العرش على سورية سنة ١٥٠ ق . م . « يوناثان » لقب حاكم في المقاطعة اليهودية . وكان «يوناثان» أول المكابيين الذي حمل لقبي ملك ورئيس الأحبار الأعلى . وبعد أن قضى « يوناثان » حوالي عشرين سنة على رأس السلطة وقع في قبضة أحد الملوك جيرانه

= في حوالي سنة ١٠٠ ق.م. وسفر المكابيين الثاني في حوالي سنة ٥٠ ق.م. وكلاهما مترجم من النص اليوناني .

ومات قتلاً في المنفى . فخلفه أخوه « سمعان » الذي حاز على اعتراف باستقلاله التام من ديمتريوس نيقاتور الثاني خلف اسكندر (١٤٦ – ١٣٨ ق . م) ، ومن أعمال « سمعان » التوسّعية خارج تخوم مقاطعته احتلاله لمدينة « جازر » وطرد سكانها الوثنيين واستيلاؤه على مدينة « يافا » التي هي الميناء الوحيد على الساحل الفلسطيني ، وقد تم له أيضاً الاستيلاء على قلعة أورشليم الحصينة التي بقيت صامدة بيد السلوقيين طيلة عصور أسلافه ، وهي القلعة التي كان قد انشأها السلوقيون في موضع حصن صهيون القديم وكانت تعرف باسم قلعة « عكرا » وقد سبقت الاشارة اليها . ومن أعماله السياسية أنه وطّد علاقات دبلوماسية مع رومة واسبرطة ، وقيل إنه بعث سفيراً الى رومة مع هدايا ثمينة توفي سنة ١٣٤ ق . م . قتلاً بيد أحد المغامرين وخلفه ابنه « يوحنا هيركانوس » المسمّى بالكبير على رأس السلطة ولقب بـ « الكاهن الأعلى » . قضى « يوحنا » حوالي ٣٠ سنة في الحكم وكان ابان حكمه ان واجه تهديداً من أنطيوخس السابع (سيدتس) (١٣٧ – ١٢٨ ق . م .) فضرب حصاراً على أورشليم ولم يفك حصارها الا بعد أن دفع « يوحنا » الجزية عن « يافا » و « جازر » وغيرها من المواقع التي كان قد احتلها ابوه « سمعان » والتي اعتبرها أنطيوخس خارج حدود يهوذا ، وقد أجبر أنطيوخس « يوحنا » أن يهدم أسوار أورشليم . ثم انتهز يوحنا موت أنطيوخس السابع في سنة ١٢٨ ق . م . وشيوع الحروب المدنية فاستعاد نفوذه وسلطته .

وقد كان لانتصارات اليهود المكابيين أثره في تطرفهم في تعصبهم الضيق فاضطهدوا إخوانهم اليهود الذين تأثروا بالثقافة اليونانية وأهملوا طقوسهم الدينية ، ولمّا كان السامريون قد استجابوا لخطط أنطيوخس الرابع الرامية الى فرض النظم والتقاليد اليونانية على يهوذا ، فهاجم « يوحنا » مدينتهم واحتلها فخرّبها وهدم هيكلها على « جبل جرزيم » . ولم يكتف المكابيون بذلك فقد اضطهدوا في عهد « يوحنا » سكان المناطق التي اصبحت تحت سيطرتهم من غير اليهود ، فأجبروهم على اعتناق اليهودية والاختتان ونكّلوا بهم .

مخطط أورشليم في أقدم عصورها



مقتبس من كتاب « قصة التوراة » ج ٤ ، ص ٥٠٢ ، مع بعض التحوير

مخطط اورشليم في اقدم عصورها

ح ـ فترة اضطرابات ومشاحنات داخلية تمهّد الى تدخل الرومان في شؤون فلسطين :

وقد خلف « يوحنا » ابنه « أرسطوبولس الأول » سنة ١٠٥ ق . م . فسمّى نفسه ملكاً واستبد في الحكم وطغى ، فقتل امّه وسجن ثلاثة من إخوته ، ومن أعماله في حكمه القصير ، الذي لم يدم أكثر من سنتين ، فتحه للجليل في شمال فلسطين . وعند موته سنة ١٠٤ ق .م . خلفه ابنه « اسكندر يانيوس » فكان عهده مشحوناً بالقلاقل والاضطرابات تسوده حروب ومشاحنات أهلية . فقد عاد إلى البروز النزاع القديم بين الملوك ورجال الدين . فهل تكون يهوذا مملكة زمنية او حكومة ذات سلطة دينية صرفة ؟ فانضم أكثرية الناس الى الشق الثاني مؤيدين الفريسيين الذين لعبوا دوراً مهماً في هذا الصراع ، والفريسيون فرقة يهودية يؤمن منتسبوها بالقيامة ولا يعترفون بغير شريعة موسى (الأسفار الخمسة) . وقد شاغب الفريسيون على « اسكندر » فلجأوا الى الامير ديمتريوس الذي اقصاه الى الجبال . الاّ أنه عاد بعد قليل فانتقم من خصومه أشد الانتقام وقتل ما يقارب ٨٠٠ شخص منهم وقتل نساءهم وأطفالهم أمامهم قبل قتلهم . وبعد موت « اسكندر » سنة ٧٨ ق . م خلفته ارملته « اسكندرة » (سالوم) فسلّمت مقاليد الامور الى الفريسيين وتركت لهم المجال ليحكموا حسب اهوائهم . فظهرت اثر ذلك فرقة ثانية تخالف الفريسيين في عقائدها تزعمها « ارسطوبولس » ابن « اسكندرة » الصغير . وبعد موت « اسكندرة » سنة ٦٩ ق . م . خلفها « هيركانوس الثاني » الاّ أنه سرعان ما انقض عليه أخوه « أرسطوبولس » فخلعه وحل محله في الحكم . ولكن تدخل انتيباتر الأدومي . وهو الذي اصبح ذا شأن في حكم فلسطين فيما بعد ، ومعه « آريتاس » ملك البطراء فأقصيا « أرسطوبولس » وأعادا « هيركانوس » الى الحكم . وبقي « هيركانوس » على رأس السلطة حتى تدخّل الرومان في النزاع سنة ٦٦ ق .م . . وذلك بناء على لجوء الطرفين المتنازعين الى نائب القائد الروماني العام في الشرق فأعاد « يومبي » « أرسطوبولس » على رأس السلطة .

ومن هذا التاريخ بدأ النفوذ الروماني يسود بلاد الشرق وقد حلّ محل الحكم الاغريقي الذي دام حوالي ٢٧٠ سنة (٣٣٢ – ٦٤ ق . م .)[١] .

ط – الرؤساء المكابيون ومدد حكمهم ١٦٦ – ٣٧ ق.م.)

يهوذا ابن الكاهن متياس . . . . ١٦٦ – ١٦٠ ق.م

يوناتان ابن الكاهن متياس . . . . ١٦٠ – ١٤٢ ق.م
(منح لقب كاهن أعلى وحاكم في أورشليم ولقب نفسه ملكاً)

سمعان ابن الكاهن متياس . . . . ١٤٢ – ١٣٤ ق.م
(اعترف به رئيساً مستقلا للسلطة المدنية وكاهناً أعلى)

يوحنا هيركانوس الكبير (الاول) ابن سمعان . . . . ١٣٤ – ١٠٥ ق.م
(هاجم السامرة فهدمها وخرب هيكلها واضطهد السكان غير اليهود)

ارسطوبولس (الاول) ابن يوحنا (سمى نفسه ملكاً) . . . . . ١٠٥ – ١٠٤ ق.م

اسكندر يانيوس . . . . ١٠٤ – ٧٨ ق.م
(وسع تخم الاراضي التي سيطر عليها بحيث صارت تغطي اكثر تخوم اسرائيل ويهوذا القديمتين) .

اسكندرة ارملة اسكندر يانيوس . . . . ٧٨ – ٦٩ – ق.م

هيركانوس الثاني . . . . ٦٩ – ٦٦ – ق.م

ارسطوبولس الثاني . . . . ٦٦ – ٦٣ – ق.م

هيركانوس الثاني . . . . ٦٣ – ٤٠ – ق.م
عينه بومبى القائد الروماني بمنصب الكاهن الاكبر وليس ملكاً الا أن قيصر أعاد اليه السلطة المدنية عند مجيئه الى سورية سنة ٤٧ ق.م)

انتيغونس ابن ارسطوبولس . . . . ٤٠ – ٣٧ – ق.م
(عينه الفرثون ملكاً على اليهود أعدمه القائد الروماني انطونيوس وبهذا ينتهي حكم سلالة المكابيين)

---

(١) Peake's Commentary on the Bible pp. 607-611; « The Story of the Bible», Vol. II, pp. 856-865; E.R. Beyan, « The House of Seleucus and Jerusalem under the high Priests »; A. W. Streane, «The Age of the Maccabees».

ي : جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الافريقي (٣٣٤ ـــ ٦٤ ق.م.)

٣٣٤ ق.م. — بداية حملة الاسكندر على الشرق .
٣٣٢ » — حملة الاسكندر في فلسطين ومصر .
٣٣١ » — تأسيس الاسكندر مدينة الاسكندرية .
٣٢٣ » — (١٣ حزيران) وفاة الاسكندر في بابل .
٣١٢ » — فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة في مصر .
٣٠١ » — سورية والقسم الشرقي من آسيا الصغرى تصبح في حكم السلوقيين .
٣٠٠ » — دخول بطليموس الأول أورشليم ونقل عدد من اليهود الى أفريقيا لأنهم لم يرضوا ان يحاربوا يوم السبت .
١٩٨ » — استيلاء انطيوخس الثالث الملقب بالكبير على فلسطين .
١٩١ » — انتصار الرومان على انطيوخس الكبير .
١٨٨ » — استيلاء الرومان على املاك انطيوخس الكبير فيما وراء طوروس .
١٧٠ » — غزو انطيوخس الرابع (ابيفان) لمصر وانسحابه منها .
١٦٨ » — غزو انطيوخس الرابع لمصر للمرة الثانية وانسحابه منها تحت ضغط روما .
١٦٨ » — دخول انطيوخس الرابع أورشليم وتدمير هيكلها ونهب خزائنها .
١٦٧ » — اضطهاد اليهود واجبارهم على نبذ اليهودية .
١٦٧ » — بداية ثورة العائلة الهشمونية المكابية بزعامة متياس الكاهن .
١٦٦ » — موت متياس وتولي ابنه الأكبر يهوذا زعامة الحركة .
١٦٤ » — استيلاء يهوذا على أورشليم على أثر الخسائر التي لحقت بالجيش السلوقي .
١٦٠ » — موت يهوذا واحلال اخيه يوناثان محله على رأس السلطة .
١٤١ » — موت يوناثان واحلال اخيه سمعان محله .
١٤١ » — احتلال سمعان للقلعة السلوقية في أورشليم واعتراف الملك دمتريوس الثاني باستقلاله .
١٣٤ » — موت سمعان واحلال ابنه يوحنا هيركانوس محله .
١٣٤ » — استيلاء انطيوخس السابع (سيدينس) على أورشليم وهدم أسوارها ثم إعادة إنشائها بعد سقوط أنطيوخس .
١٠٥ » — موت يوحنا واحلال ابنه ارسطوبولس الأول محله سمى نفسه ملكاً .
١٠٤ » — موت ارسطوبولس واحلال ابنه اسكندر بانيوس محله .
٧٨ » — موت اسكندر واحلال ارملته اسكندرة محله .
٦٩ » — موت اسكندرة واحلال هيركانوس الثاني محلها .
٦٦ » — تنصيب الرومان ارسطوبولس الثاني على راس السلطة .
٦٤ » — احتلال القائد الروماني بومبي لسورية وضمها الى روما .
٦٣ » — دخول بومبي أورشليم وجعل يهوذا تابعة لحاكم سورية الروماني وتعيين هيركانوس الثاني بمنصب الكاهن الأعلى .

هـ : أورشليم في زمن الرومان (٦٤ ق.م. ـــ ٦٣٨ ب.م.)

يرجع تغلغل الرومان في الشرق الى زمن حكم البطالمة في مصر وذلك حين بدأوا يتدخّلون في شؤون البطالمة الداخلية ويتولّون حمايتهم من غزوات السلوقيين ، وكان ذلك التدخّل نتيجة طبيعية بين حكمين أحدهما سائر نحو التدهور كحكم البطالمة والثاني سائر نحو التقدم والتعالي كحكم الرومان ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على العصر الاغريقي . ولا بد قبل الدخول في بحث العصر الروماني من نبذة تشرح الحالة السياسية في فترة ما قبل انهيار الحكم الأغريقي في الشرق : ففي سورية أخذت الأمور تتدهور من سيء الى أسوأ منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، إذ لم يستطع أخلاف أنطيوخس الرابع الحفاظ على تخوم أملاك الامبراطورية السلوقية الواسعة التي توارثوها ، فالفترة التي اعقبت أنطيوخس الرابع لقرن كامل تتمثل في دور مضطرب مليء بالمشاحنات وبالحروب الداخلية والمنازعات العائلية على الحكم حتى تقلصت الامبراطورية السلوقية الى دويلة في شمال سورية ، ففي جهة الشرق فقد السلوقيون جميع ممتلكاتهم التي كانت تكوّن جزءاً مهماً من امبراطوريتهم ، وفي الغرب ظهرت قوة تزاحمهم في نفس سورية ، فالانباط الذين كانوا قد حلّوا محل الادوميين وتمركزوا في البطراء أصبحوا قوة في المنطقة لها نفوذها في الأرضين التي كان يمتلكها الأراميون من قبل ، ومثلهم أخذ « اليطوريون » الأعراب[1] يهاجمون مدن السواحل ، كذلك أخذت المدن الفينيقية تستقل عن الحكم السلوقي الواحدة تلو الأخرى مستغلة ظروف الانحلال السائدة .

أ ـــ التنازع بين الدول على السيطرة في الشرق وتغلب الرومان في الصراع

وفي خلال هـــذا الفراغ ظهرت في منطقة الشرق الاوسط ثلاث قوات كبيرة تتزاحم على السيطرة ، وهذه القوات هي الامبراطورية الفرثية الفارسية

---

(١) « اليطوريون » عرب من سكان الجزيرة من ذرية اسماعيل ورد ذكرهم في التوراة (تك ٢٥ : ١٥ ؛ ١ أخ ١ : ٣١) .

من الشرق والمملكة الأرمنية من الشمال ، ودولة الرومان من الغرب ، فالملك دكران ملك أرمينيا أقصى الفرثيين من العراق وتوغّل في شمال سورية وفي قيليقيا حتّى أصبح الملكان السلوقيان أنطيوخس الثالث عشر وفيليب الثـاني المتنازعان على العرش السلوقي في زوايا النسيان . وقد أسّس الملك دكران مدينة ملكية جديدة في المنطقة الشمالية من نهر دجلة واتخذ لـه لقب ملك الملوك وامتدت فتوحاته حتّى وصل الى عكّة فاحتلها سنة ٦٩ ق . م . ، فلم يبقَ أمام روما تجاه هذا الوضع المهدّد لمصالحها في المنطقة سوى اعلان الحرب على الملك دكران ، فتمكنت من ارغامه على سحب قواته وحامياته من سورية وإعادة الملك السلوقي أنطيوخس الثالث عشر الى مقر مملكته في انطاكياً معترفاً به من روما . وقد بعثت روما بعد ذلك قائدها الشهير بومبي[1] فسار بجيوشه إلى منطقة أرمينية وهاجم ميثراداتس ملك بونتوس حليف دكران وحميه واحتل بلاده وطرده عنها ، ثم عاد بومبي الى سورية فاحتلها سنة ٦٤ ق .م . وضمها الى روما كمقاطعة تابعة لها مع انطاكية عاصمة لها ، كما جعل من قيليقيا مقاطعـة أخرى تابعة لرومة أيضاً . وبذلك انتهى حكم السلوقيين الهزيل فكان الملك فيليب الثاني آخر من حمل لقب ملك من السلالة السلوقية .

ب : يهوذا تخضع لحكم روما ــ كابيتوس نائب قنصل في سورية

اما مقاطعة يهوذا فكان يحكمها ارسطوبولس الثاني المكابي عندما ضم بومبي

(١) بومبي قائد روماني كبير أدى خدمات عسكرية جليلة لروما في عدة ساحات ، منح لقب الاكبر سنة ٨١ ق.م. ، تولى قنصلية روما سنة ٧٠ ق.م. ، وفي سنة ٦٦ ق.م. أسندت اليه قيادة الحرب في الشرق ضد ميثراداتس ملك بونتوس الذي أخذ يهدد منطقة آسيا الصغرى . ومملكة بونتوس تقع جيوب شرقي بحر الاسود الى الشمال من ارمينيا كانت بالاصل ضمن الامبراطورية الفارسية ثم نالت استقلالها بعد سقوط الامبراطورية ، وبعد فراغ بومبي من حربه مع ملك بونتوس وتغلبه عليه احتل سورية ومعها يهوذا وضمها الى روما سنة ٦٤ ق.م. ثم تحالف بومبي مع قيصر وكراسوس وتكونت منهم الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ ق.م. ولما نشب خلاف بين السناتو وقيصر انضم بومبي الى السناتو ضد قيصر ، الا أن قيصر تغلب عليه سنة ٤٨ ق.م. ففر الى مصر حيث قتل بعد وصوله اليها .

سورية إلى روما، وكانت في أورشليم آنذاك ثلاث فرق عقائدية تتنازع فيما بينها، في حين أن أكثرية الشعب كانت تطالب باقامة حكومة كهنية. وفي غمرة هذا الاضطراب دخل بومبي أورشليم سنة ٦٣ ق.م.، فلم يتعرض لخزائن الهيكل ولكنه من سلطتها على المدن الساحلية والمدن غير اليهودية في الداخل جرد يهوذا وجعلها تابعة لحكم الرومان المباشر، ونصب هيركانوس الثاني المكابي بصفة كاهن أعلى لادارة شؤون اليهود الدينية، وبذلك قضي على استقلال اليهود الذاتي، فساد الهدوء في يهوذا في اعقاب الاحتلال الروماني. وفي غضون ذلك تحالف بومبي مع قيصر وكراسوس وتكونت منهم الحكومة الثلاثية الرومانية الأولى في روما سنة ٦٠ ق. م، فتقرر أن يعهد بحكم سورية الى نائب قنصل فعين كابينوس سنة ٥٧ ق. م. أول نائب قنصل انتدبه بومبي ليحكم سورية. وقد قسم كابينوس المنطقة اليهودية الى خمسة أقسام وشكل في كل قسم مجلساً دينياً محلياً وأعاد بناء عدد من المدن التي كان قد خربها المكابيون مثل السامرة وغزة ودور وغيرها.

ج: كراسوس وكاسيوس في حكم سورية — الحرب بين بومبي وقيصر وانتصار الأخير فيها

وفي سنة ٥٤ ق. م. عيّن كراسوس، وهو أحد أعضاء الحكومة الثلاثية، نائب قنصل في سورية خلفاً لكابينوس. وكراسوس هذا كان طموحاً وجشعاً فقام بنهب خزائن الهيكل في أورشليم. ثم أقدم على محاربة القوات الفرثية المتمركزة في العراق، وهي القوات التي بقيت تهدد الممتلكات الرومانية في الشرق بعد أن أقصى دكران ملك أرمينيا عن سورية وهزم ميثراداتس ملك بونتوس، الا أن خيانة حليف كراسوس في معركة خاضها في الصحراء السورية سنة ٥٣ ق. م. أدت بالقضاء عليه وعلى جيشه. وقد أخذ رأسه ويده اليمنى الى ملك الفرس في طيسفون. وقد خلف كراسوس في حكم سورية كاسيوس

خازن الدولة فحارب الفرثيين وصد هجومهم على سورية سنة ٥١ ق . م . ثم اضطربت الأمور في روما بسبب الحرب الداخلية التي نشبت هناك بين بومبي وقيصر سنة ٤٩ ق . م . والتي انتهت باندحار بومبي ، فانتهز ابن ميثراداتس الفرصة لاعادة عرش والده في بونتوس ، فقام قيصر بحملة ضده ، وفي طريق عودته مرّ بسورية سنة ٤٧ ق . م . ومنح امتيازات الى بعض المدن السورية ومن ضمنها يهوذا ، فأعاد السلطة المدنية الى هيركانوس الثاني التي كان بومبي وكابينوس قد جرداه منها وأعاد إلى يهوذا بعض الممتلكات التي سلخت منها . وفي الوقت نفسه عيّن قيصر انتيباتر الأدومي الذي كان قد وقف إلى جانبه في النزاع بينه وبين بومبي خازناً في يهوذا وصار هو صاحب السلطة الحقيقي فيها .

د ــ اليهود في عهد قيصر ــ انتيباتر الأدومي خازن وحاكم في أورشليم

وقد تمتع اليهود في زمن قيصر بحرية ممارسة طقوسهم الدينية وبحكمهم الذاتي ، فحصلوا على امتيازات كثيرة منها اعفاؤهم من الخدمة العسكرية ، وقد شملت هذه الامتيازات اليهود في الاسكندرية وفي روما ، كما سمح لليهود أن يعيدوا بناء سور أورشليم . ومع كل ذلك لم يطمئن اليهود في أورشليم الى حكم انتيباتر الأدومي الذي كان يتمتع بتأييد والتزام قيصر . وأنتيباتر هذا كان يتظاهر بأنه من اليهود اليهود لما له من صلة قرابة معهم ، ولكنهم كانوا يرون بأن الحكم لغير طبقة الكهنة مخالف للشريعة ، فحدثت إثر ذلك اضطرابات داخلية كادت تهدّد مدينة أورشليم بالثورة . وفي غضون ذلك كان توتّر الأحوال السياسية في روما قد بلغ أشده إثر اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ سنة ٤٤ ق . م . ، فشكّلت بعد هذا الحادث الحكومة الرومانية الثلاثية الثانية سنة ٤٣ ق . م . من أوكتافيان (أغسطس) ومارك أنطونيوس وليبيدوس .

هـ ــ مارك انطونيوس وكليوبطرة ــ والقضاء على انطونيوس واقامة الانبراطورية الرومانية

وفي سنة ٤٠ ق . م . أسندت ممتلكات الرومـــان في الشرق الى مارك أنطونيوس ، الاّ أن أنطونيوس انشغل عن الحكم بعلاقاته الغرامية مع كليوباترة آخر ملكة من ملوك البطالسة في مصر ، فأهمل مصالح الرومان في الشرق ووزّع الولايات الرومانية في الشرق بين كليوبطرة وأبنائها . فانتهز الفرثيون هذه الفرصة الملائمة فاستولوا على مقاطعة سورية كلها باستثناء بلدة صور التي ظلت صامدة أمام هجومهم . وكان تصرف انطونيوس مدعاة لنشوب خلاف عنيف بين اوكتافيان وأنطونيوس فجُرد أنطونيوس من سلطاته وأعلن اوكتافيان الحرب عليه وعلى كليوبطرة سنة ٣٢ ق . م . كان النصر فيها لأوكتافيان ، وأخيراً انتحر انطونيوس سنة ٣٠ ق. م . وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم البطالمة في مصر . وقد أعقب هذا الانتصار تولّي أوكتافيان زمام الحكم بصفته أول انبراطور روماني ، وفي السنة التالية ضم مصر الى انبراطوريته .

و ــ هيرودس الأدومي ملك على يهوذا والجليل

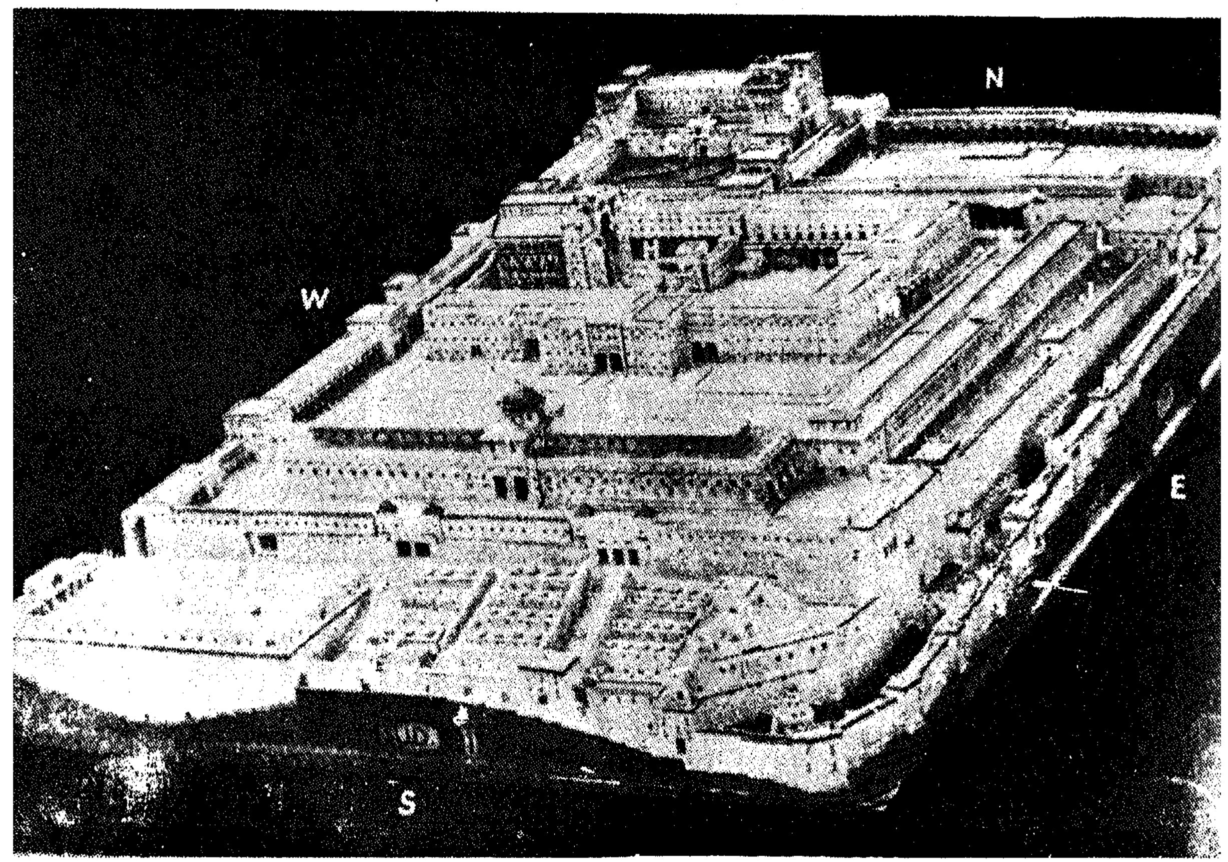
اما يهوذا فبعد موت أنتيابتر سنة ٤٣ ق . م . عيّن محله في السلطة الفعلية ابنه هيرودس ، الاّ أن استيلاء الفرثيين على البلاد سنة ٤٠ ق . م . اضطره الى الهرب الى روما فعيّن الفرثيون بعد استيلائهم عـــلى أورشليم انتيغونس بن ارسطوبولس ملكاً على يهوذا . وما ان انسحب الفرثيون سنة ٣٩ ق . م . حتى عاد هيرودس الى سورية فعيّنه أنطونيوس وأوكتافيان ملكاً على يهوذا وعلى الجليل ، الاّ أنه لم يستطع احتلال أورشليم الاّ بعد أكثر من سنتين حيث دخل أورشليم سنة ٣٦ ق . م . عنوة بعد أن قام هو والرومان بمذابح عنيفة . امّا ابتيغونس فقد أسر وأعدم في أنطاكيا ، وباعدامه كانت نهاية حكم السلالة المكابية وبداية حكم السلالة الهيروديّة في فلسطين .

وهيرودس أدومي الأصل أبوه أدومي جاء من ناحية بئر السبع وأمّه ابنة

أحد الأمراء العرب الأنباط اختلط مع اليهود بصلة الزواج، والأدوميون كانوا عرباً مواطنهم في طرف البادية في جنوب شرقي فلسطين. كان حكمه الذي دام ٣٣ عاماً بين سنة ٣٧ و ٤ قبل الميلاد قد أتسم بالاستبداد وبالقساوة الوحشية، فقتل عدداً هائلاً من الناس ولم يسلم من يده حتى أفراد عائلته وأعز أصدقائه فكان أول من قتله من ذوي قرباه الكاهن الأعلى ارسطوبولوس أخ زوجته مريم؛ ثم قتل بعده جدها هيركانوس الكاهن الأكبر الشيخ، ثم قتل زوجته مريم وثلاثة من أولاده. وقد تزوّج عشر زوجات وقتل البعض منهن؛ وقيل انه أحرق طالبين كانا قد مزّقا شعار النسر الروماني وهما حيّان.

وكان هيرودس يفضل الاقامة في السامرة التي غيّر اسمها الى «سبسطية» تخليداً لاسم اغسطس قيصر الذي وهبه اياها. ومع أن هيرودس قام بأعمال عمرانية عظيمة أهمها بناء الهيكل من جديد استرضاءً لليهود، فقد كان اليهود

تخطيط للهيكل الذي شيده هيرودس فهدمه الرومان سنة ٧٠ م



يمقتونه لقساوته الوحشية ولاندفاعه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية بما في ذلك انشاء معابد للأصنام في المدن الفلسطينية . الاّ أن هناك من يرى بأن فلسطين شهدت أزهى ادوار ذلك العصر وأكثرها استقراراً في عهده لما تركه من آثار في مختلف نواحي التقدم الحضاري لذا سمّي بهيرودس الكبير .

ز – تقسيم مملكة هيرودس على أولاده بعد وفاته

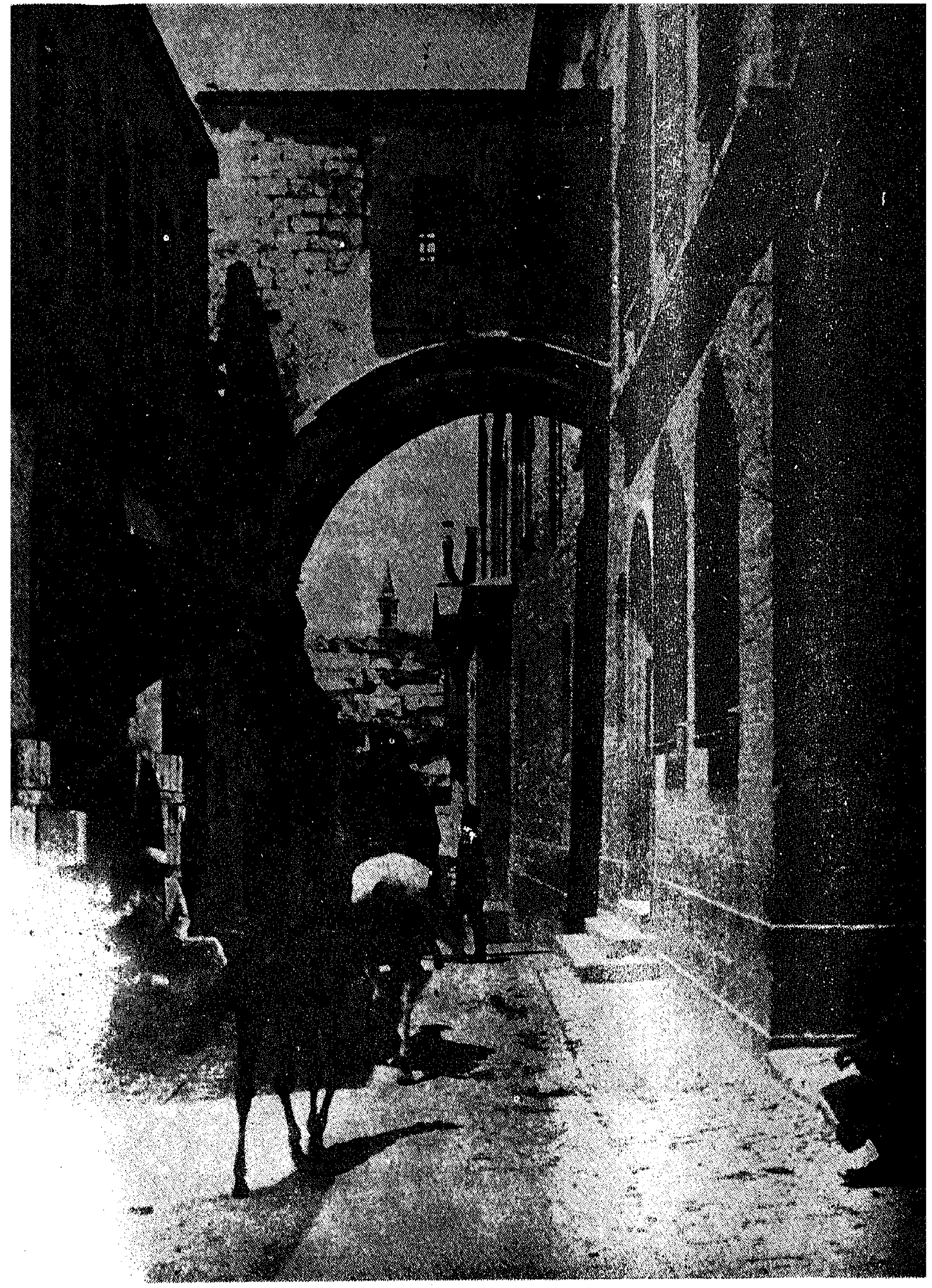
قسمت مملكة هيرودس بعد وفاته سنة ٤ ق . م . بين أبنائه الثلاثة : فحكم الأول أرخيلاوس في منطقتي يهوذا وأدوم ، والثاني هيرود أنتيباس في الجليل ، أمّا الثالث وهو فيليب فقد عيّن والياً على الاقليم الواقع شرقي الجليل . والظاهر أن حكم أرخيلاوس لم يكن مرضياً لقساوته وسوء تصرفاته مع الشعب فخلعه أغسطس سنة ٦ ب . م . وجعل منطقة يهوذا مقاطعة رومانية تابعة الى الوالي في سورية . وفي الفترة بين سنة ٦ وسنة ٤١ ب . م . تناوب في حكم يهوذا سبعة موظفين رومانيين كان أشرسهم وأقساهم في معاملته مع الشعب بونتيوس بيلات (Pontius Pilate) (٢٦ –٣٦ م .) ، فأرسله الوالي Vitellius في سوريا الى روما لمحاكمته . ومن أهم ما تخللته هذه الفترة من أحداث هي محاكمة السيد المسيح (ع) وصلبه سنة ٢٩ م . على ما جاءت به الاخبار .

ح – هيرودس اغريبا حفيد هيرودس الكبير ملك على فلسطين

وكانت البلاد تعيش في جو مضطرب غير مستقر على يد موظفين سيئي السيرة قساة التصرف حتى عين هيرودوس أغريبا حفيد هيرودس الكبير ملكاً على فلسطين بعد أن لقي حظوة لدى الامبراطور كاليجولا (٣٧ – ٤١ م .) ثم لدى الامبراطور كلاودوس (٤١ – ٥٤ م) بعده ، وقد أضاف الأخير الولاية الرومانية في الشرق إلى حكم أغريبا . وهنا يظهر مرة أخرى ملكاً على فلسطين ولكن للمرة الأخيرة . وقد تمكن أغريبا بفضل ما كان يتّسم به من الورع وطيب النفس من تهدئة الأوضاع وذلك بتجنبه الأعمال المستفزة لشعور اليهود الديني .

ط — موت اغريبا وثورة اليهود ثم قمعها على يد تيطوس سنة ٧٠م .

وبعد موت أغريبا سنة ٤٤ م . جُعلت كل فلسطين مقاطعة واحدة لأن أغريبا الثاني ابن أغريبا الأول لم يستطع تولّي الحكم لصغر سنه . ففي الفترة بين سنة ٤٤ و ٦٤ م . تولّى سبعة من الخزنة الرومانيين حكم فلسطين ، كانوا كلّهم سيئي الأخلاق ومرتشين ، فسادت الفوضى في البلاد وعمّ الشغب وكثرت الاغتيالات ، وكان الحكام يستعملون العنف بقساوة شديدة في قمع الثورات والاضطرابات فبلغ حكم الارهاب على أشده في زمن الحاكم « انطونيوس فيليكس » (٥٢ — ٦٠ م) . وتفاقم الوضع خطورة بعد اغتيال الكاهن الأكبر يوناثان بتحريض من « فيليكس » فانتشر السلب والنهب في كل مكان وانعدم النظام حتى وقع الانفجار أخيراً في ربيع سنة ٦٦ م . ، فاذا به ثورة عارمة على الحكم الروماني ، فطرد الحاكم من البلد ورميت معطيات الانبراطور للهيكل خارجاً وقتل أفراد الحامية الرومانية في القدس واستولى عليها ، وامتد لهيب الثورة الى بقية المدن وعمّ القتال بين اليهود والأغيار في كل مكان . فسارع والي سورية « سمستيوس غالوس » وتوجّه مع عدد كبير من الجيش والمعدات الحربية لقمع الثورة ، الاّ أنه هزم واندحر أمام مقاومة اليهود العنيفة في المعركة التي جرت قرب « بيت حورون » في تشرين الثاني من سنة ٦٩ م . ، فشكّل اليهود حكومة للدفاع وعهدوا الى « يوسيغوس » المؤرخ المشهور بالدفاع عن الجليل . ولمّا وصلت أخبار فشل حملة « سستيوس » الى الانبراطور نيرون (٥٤ — ٦٨ م .) جرّد حملة قويّة من ثلاث فرق من جيش قوامه ٦٠,٠٠٠ جندي وأودع قيادة هذه الحملة الى « وسبسيان » ، فبدأت الحملة عملياتها في صيف ٦٧ م . بالتضييق على جبهة منطقة الجليل فاستسلمت بعض المدن ، الاّ أن « يوسيغوس » قاوم بشدة في أول الأمر ولكنه توقّف عن القتال بالاتفاق مع « وسبسيان » وتوجه الى روما تاركاً الجبهة مكشوفة أمام الجيش الروماني . أمّا في الجنوب ، فقد عمّت الفوضى واشتد القتال بين مختلف الطبقات وانتشرت المذابح في كل مكان فتركهم « وسبسيان » .



يقع في مدخل الشارع الضيق في القدس و المعروف باسم (فيادولو روسا) الشارع الملز
الذي يمتد من حصن انطونيا الى كنيسة القيامة وقد أقيم في القرن الثاني و على عهد (هادريان)

وشأنهم دون أن يهاجهم وقد اكتفى باحتلال ضواحي أورشليم. ثم توقّفت العمليات الحربية حوالي سنة على أثر وفـاة الانبراطور نيرون في ٩ حزيران ٦٨ م. حتى نصب « وسبسيان » امبراطوراً في ١ تموز ٦٩ م. ليحل محـل نيرون فأودعت القيادة في فلسطين الى تيطوش ابن « وسبسيان ». وقد بـدأ تيطوس هجومه على أورشليم وهي في حالة مضطربة أشبه بالفوضى متحدياً المقاومة المستميتة التي أبداها المدافعون من اليهود فاقتحم السور الشمالي أولاً ، ثم الثاني والثالث حتى اذا ما حـل شهر آب من سنة ٧٠ م. أصبح جيش تيطوس عند الهيكل ، وفي اليوم التاسع من الشهر دخل جيش تيطوس الهيكل فأوقع مذبحة مريعة باليهود وخرّب أورشليم وأحرق هيكلها وذبح كهنته ، فأزيل الهيكل من الوجود تماماً بحيث لم يعد يهتدي الناس الى موضعه. وكانت المدينة في حالة بؤس شديد عند احتلالها فاجتاحتها الأمراض الفتاكة وعمتها المجاعة فمات من مات ، امّا الباقون أحياء فسيقوا عبيداً. وقد أجبر الكثير من الأسرى على أن يقتل بعضهم البعض الآخر أو أن يموتوا وهم يتصارعون مع الوحوش أمام آلاف المتفرجين في ملاعب الرومان المستديرة (Amphith—eatres). وقد قدر عدد الذين هلكوا في خلال فترة الحرب الدائرة بين سنة ٦٦ و ٧٠ بحوالي مليون نسمة(١). وهكذا قضي على الكيان الذاتي الديني لليهود في فلسطين ومن ضمن ذلك التنظيمات الادارية الدينية التي كانت تتمثـل بالسنهدرين(٢).

ي ــ ثورة اليهود من جديد بقيادة باركوخبا والقضاء عليها

وقد تمكنت فئة من اليهود من جماعة الفريسيين بعد الهزيمة التي مني بها الاسرائيليون على يد نيطوس من اللجوء الى مدن الساحل الفلسطيني ، فكان

(١) Hitti, op. cit., pp. 340-341.

(٢) السنهدرين ، وفي بعض الأحيان يكتب بالميم خطأ أي السنهدريم ، هو المجمع الديني الأعلى عند اليهود ، أصل الاصطلاح يوناني بمعنى «المجلس» ، ظهر في زمن خلفاء الاسكندر في أورشليم=

معهم عدد من الحاخامين من أعضاء السنهدرين فمكثوا في بلدة يبنة قرب حيفا ثم نزحوا منها الى طبرية فاتخذوها مركزاً لأعمالهم . وقد ساد الهدوء حوالي نصف قرن لاطمئنان الرومان واستبعادهم قيام أية حركة عصيان بعد قضائهم على الكيان اليهودي وسحق ثورتهم . الا أن شرارة عصيان جديد اعترضت

= حيث كانت المنطقة اليهودية بين المد والجزر فتارة تقع تحت نفوذ البطالمة في مصر وتارة أخرى تكون تابعة لسلطة السلوقيين في سورية ، واستمرت الحالة كذلك حتى برز المكابيون ثم الرومانيون على مسرح أحداث الشرق . وقد بقي السنهدرين قائماً في العهد الروماني حتى ألغي سنة ٧٠ م . عندما هدمت أورشليم وهيكلها ، فانتقل أكثر أعضائه الى بلدة « يبنة » قرب يافا ومن « يبنة » الى طبرية . وبذلك يكون قد استمر وجوده حوالي ٢٠٠ عام .

ويحاول الكتاب اليهود أن يجعلوا بداية السنهدرين على الأقل بعد الرجوع من السبي . وحسب التقليد اليهودي أن أول سنهدرين كان في عهد موسى وكان مؤلفاً من سبعين عضواً من شيوخ الشعب دعاهم موسى ليعملوا معه لما قام بنو اسرائيل يتذمرون ويطلبون العودة الى مصر (عد ١١ : ١٦ – ١٧ ، ٢٤) .

وكانت تتمثل في السنهدرين فئتان ، الفئة الأولى (ساروسي) وهي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على التعبد والتقوى ، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس إلى ناحية العمل والكسب والاثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية .

وصلاحية السنهدرين كانت تضيق وتتسع من وقت الى آخر حسب مراد الرومان بعد احتلالهم لسورية سنة ٦٤ ق.م. والرومان منحوا السنهدرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة شريطة عدم تأثير ذلك على المصالح السياسية الرومانية . والسنهدرين هو الذي حاكم السيد المسيح فصلب سنة ٢٩ ب.م. (مرقس ١٤ : ٥٣ – ٦٤ ؛ متى ٢٦ : ٥٦ – ٦٨) . وكان السنهدرين عندئذ في أقصى ما وصل اليه من نفوذ وصلاحيات ، وكان يتألف حينذاك من ٧١ عضواً وكلهم من كبار الكهنة وأشهر الحاخاميين ، وكان النصاب فيه يحصل بحضور ٢٣ عضواً . ولما عين « غابينوس » أول وال روماني على سورية سنة ٥٧ ق.م. قسم المنطقة اليهودية المحيطة باورشليم الى خمسة أقسام وأقام في كل منها سنهدرين محلي مؤلف من سبعة أعضاء ، وقد سمي السنهدرين الرئيس في أورشليم السنهدرين الأعلى تمييزاً له عن الهيئات المحلية . ويعتقد بأن نظام السنهدرين استمر بكيانه ووجوده بصورة خفية ومنه انطلقت فيما بعد المنظمات السرية السياسية (انظر : الاستاذ عجاج نويهض ، « بروتوكولات حكماء صهيون » ، م ٢ ، ص ١٣٩ – ١٤٨ . انظر أيضاً بحث المستر هونيك في السنهدرين :

S.B. Hoenig, «The Great Sanhedrin,» 1935; Enc. Brit., «Sanhedrin,» Vol. 19, 1965, p. 946 A.

هذا الهدوء على أثر اصدار الانبراطور هادريان (١١٧ — ١٣٨ م .) مرسوماً يقضي بمنع الخصاء والختان بشكل عام واصداره أمراً بانشاء معبد للالآه زوس في أورشليم في محل الهيكل المهدوم ، فكان ذلك إيذاناً بانفجار جديد ، فاشتعلت نيران الثورة بقيادة زعيم يدعى « باركوخبا » (Bar Kokhba) ومعناه بالأرامية « ابن النجم » ، وكان يسند باركوخبا هذا الحاخام الكبير « أكيبا » (Akiba) فاعتصمت جماعة باركوخبا في المواقع الجبلية الحصينة وأخذوا يقاتلون على هيئة حرب عصابات ، وظلوا معتصمين بمواقعهم ثلاث سنوات ١٣٢ — ١٣٥ م . حتى جرّد الرومان عليهم حملة اجتاحت مواقعهم وازالت قلاعهم وأحرقت قراهم ، وحوّل هادريان مدينة أورشليم الى مستعمرة رومانية وحرّم على اليهود سكناها وقد بدل اسمها الى « ايليا كبتولينا » (Aelia Capitolina) ، وايليا هو الاسم الأول لهادريان . وقد أُسكنت جالية رومانية في جبل صهيون وأقيم في محل الهيكل معبد للاله اليوناني جوبيتر ، وقدّر عدد الذين قتلوا في هذه المعارك ٥٨٠ ألفاً عدا من هلك جوعاً ومرضاً وحرقاً [١] . وهذه هي الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين ، فلم يعد لهم أي كيان فيها طوال العصور التالية .

ك — تساهل الرومان مع اليهود في نشاطاتهم الدينية واعادة تشكيل السنهدرين

وبالرغم من اصدار هادريان مراسيم تقضي بتحريم ممارسة الشعائر الدينية اليهودية وفرض عقوبة الموت لمن خالف ذلك ، فقد تمكن عدد من الرؤساء الروحانيين من أتباع « أكيبا » ومعظمهم من الفريسيين من الهرب الى منطقة الجليل حيث واصلوا أعمالهم الدينية ، وقد ساعدهم على ذلك الغاء الانبراطور « أنتونينس بيوس » (Antoninus Pius) (١٣٨ — ١٦١ م) للمراسيم

---

(١) «The Story of the Bible», Vol. II, p. 932; Hitti, op. cit., p. 340.

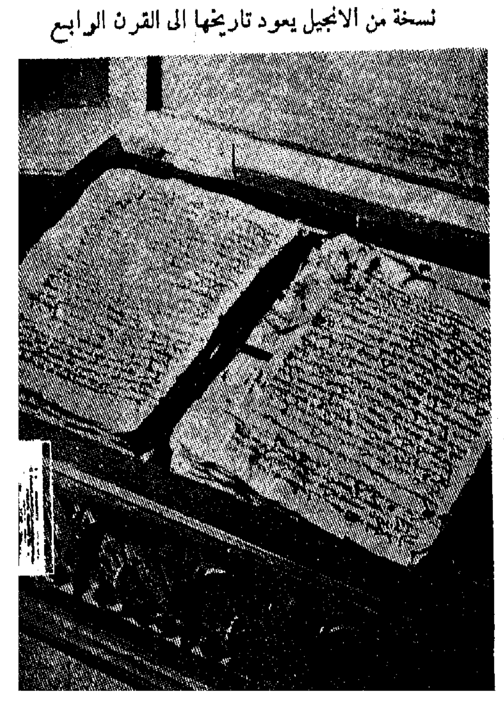
التي استنها سلفه هادريان والقاضية بتحريم ممارسة الشعائر الدينية اليهودية . وهكذا أخذ هؤلاء الرؤساء الروحانيون يستعيدون نشاطهم لارجاع الحياة الدينية اليهودية بتنظيم وتأسيس مدارس دينية في المنفى ، ففي بلـــدة أوشا (Usha) في الجليل الأعـــلى أعيد تشكيـــل « السنهدرين » (المجلس اليهودي الديني الأعلى) وهو العمل الذي ووشر في « يبنة » على يد « أكيبا » فتولى مواصلته خلفه مئير (Meir) حتى انتقل العمل أخيراً الى الحاخام يهوذا الـــذي ورد ذكره في التلمود .

وفي خلال الفترة (١٣٨ – ٢٠٠ م) كان الرومانيون أكثر تساهلاً للنشاطات الدينية البحتة التي كان يمارسها الرؤساء الروحانيون في الجليل فاعترفوا بهم ممثلين لليهودية كما اعترفوا بمجلس « السنهدرين » مما ساعد على انجاز جماعة هذا المجلس تدوين التلمود الفلسطيني المشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية ، وقد سمي بالفلسطيني لتمييزه عن التلمود الذي اعد في بابل . وقد بقي منصب رئاسة « السنهدرين » وراثياً في عائلة « هليل » أكثر من ثلاثة قرون .

ل – الانبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية وأثر ذلك في انتشار وتغلب المسيحية

وقد حدث بعد ذلك حادث غيّر مجرى تاريخ الانبراطورية الرومانية ، وهو اعتناق الانبراطور قسطنطين الأول المدعو بالكبير (٣٠٦ – ٣٣٧ م) الديانة المسيحية ، ثم نقل عاصمة الانبراطورية الى « بيزنطيا » رسمياً في ١١ مايس ٣٣٠ م ، وقد سمّيت باسمه القسطنطينية (استامبول حالياً) . وعلى هـــذا أصدر قسطنطين في سنة ٣١٣ م . مرسوماً يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة على دينهم في جميع أنحـــاء الانبراطوريـــة الرومانية ،

نسخة من الانجيل يعود تاريخها الى القرن الرابع



ثم عقد في سنة ٣٢٣ م. اجتماعاً عاماً في نيسيا (Nicea) في آسيا الصغرى حضره جميع الأساقفة ٨٠ ومن ضمنهم الأسقف مكاريوس أسقف أورشليم . بحثت فيه الشؤون الدينية المسيحية . فثبتت الديانة المسيحية على أسس اتفق عليها الجميع. وكانت الانبراطورة « هيلينا » أم الانبراطور قسطنطين أكثر تحمساً للعبادة على الديانة المسيحية . فقامت بالحج الى أورشليم سنة ٣٢٦ م وكرّست جهودها لكشف مواضع الحوادث المهمة للمسيحيين ولبناء كنائس تذكاراً لها . وأقام قسطنطين كنيسة في « الجلجلة » : موضع صلب السيد المسيح بحسب التقاليد المتواترة . وهي كنيسة القيامة حالياً .

ومن الطبيعي أن الحادث المذكور لم يكن من صالح اليهود إذ تمخّض عن هذا التطوّر الجديد اضطهاد اليهود في كل أنحاء الانبراطورية الرومانية التي أصبحت تدين بالمسيحية رسمياً . الاّ أن تغيراً حدث بعد مرور حوالي ربع قرن من الزمن على وفاة قسطنطين ، هو اعتلاء الانبراطور جوليان العرش الروماني سنة ٣٦١ م . وقد سمّي بالمرتد لانحرافه عن المسيحية ورجوعه الى الوثنية . وحاول هذا الانبراطور إعادة بناء هيكل أورشليم . ولكن الزمن لم يمهله لانجاز ذلك حيث توفي بعد سنتين ، فقد قُتل في حملته على بلاد الفرس في ٢٦ حزيران ٣٦٣ م . وقيل إن هزةً أرضيةً أدّت الى هدم البناء الذي باشره للهيكل . وبموت جوليان عاد فتغيّر الوضع لغير صالح اليهود إذ عاد إلى ما كان عليه قبل جوليان . وفي سنة ٣٩٥ م . حدث حادث مهم في تاريخ الانبراطورية الرومانية حيث تم تقسيم الانبراطورية الرومانية الى قسمين غربي وشرقي ، فكانت فلسطين بصورة طبيعية من ضمن القسم الشرقي البيزنطي .

م ــ الصراع بين الفرس والرومان حتى الفتح الاسلامي

وقد شهدت فلسطين في هذا الدور الجديد بعض الاستقرار دام أكثر من مئتي عام مما ساعد على نمو البلاد اقتصادياً ، وذلك بتشجيع الحج الى الأماكن المقدسة

وفي عهد الانبراطور جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م .) أقيمت عمارات كثيرة في فلسطين منها « باب الذهب » في القدس . وهو ما زال يسمّى بهذا الاسم حتى هذا اليوم ، كما أنشيء في موضع المسجد الأقصى الحالي كنيسة . ولكن لم يكتب لهذه الفترة الهادئة الدوام . ففي سنة ٦١١ م . هجم ملك الفرس كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠ ـ ٦٣٨) على سورية وامتدت فتوحاته حتى احتل سنة ٦١٤ م . القدس . فخرّب كنيسة القبر المقدس (كنيسة القبر الآن) وخرّب كذلك الكنائس الأخرى . فهدمها تهديماً كاملاً وأخذ البطرك سجيناً . ومما يذكر أن اليهود انضموا الى الفرس في حملتهم هذه رغبةً منهم في الانتقام من مضطهديهم المسيحيين . وهكذا فقد البيزنطيون سيطرتهم على البلاد المقدسة . ولكن هذا الاحتلال الفارسي لم يدم طويلاً . فقد أعاد الأنبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ م .) فتح أرض فلسطين سنــة ٦٢٨ م . ولحق بالفرس إلى بلادهم . وقيل إنه استرجع حوالي سنة ٦٣٠ م (الصليب الأصلي) الذي كان قد استولى عليه الفرس بعد احتلالهم للقدس سنة ٦١٤ م . الاّ أن انتصار هرقل هذا لم يكتب له الدوام أيضاً . حيث أعقبه مباشرة الفتح العربي الإسلامي الذي كان النصر فيه حليف العرب في معركة اليرموك الحاسمة سنة ٦٣٦ م . ثم تبعتها الفتوحات العربية في عهد ابي بكر الصديق (ر) وبعد ذلك في عهد الخليفة عمر (ر) حيث سقطت القدس في زمنه في أيدي العرب . وكان ذلك سنة ١٧ هـ . (٦٣٨ م .) . فدخل عمر المدينة بناء على طلب أهلها تسليمها اليه شخصياً . ولما دخلها زار موضع الصخرة المقدسة ومحل عبادة داود وموضع الهيكل فكانت في حالة يُرثى لها بسبب تراكم الأوساخ فيها . فأمر بتنظيفها وجعل لها مصلّى فيها على جبل المريا حيث كان هيكل سليمان في القديم . ومن ذلك جاء اسم « مسجد عمر » خطأً للقبة التي بناها عبد الملك فيمـــا بعد فوق الصخرة .

ن – جدول مسلسل للحوادث التاريخية في العهد الروماني (٦٤ ق.م. – ٦٣٨ ب . م.)

٦٤ ق.م. – احتلال القائد الروماني بومبي لسورية وضمها الى روما .
٦٣ » – دخول بومبي أورشليم وجعل يهوذا تابعة للحاكم الروماني في سورية .
٦٠ » – تشكيل الحكومة الثلاثية الرومانية الأولى من بومبي وكراسوس وقيصر .
٥٧ » – تعيين كابينوس نائب قنصل في سورية ومنحه صلاحيات واسعة .
٥٤ » – تعيين كراسوس عضو الحكومة الثلاثية نائب قنصل في سورية .
٥٤ » – نهب كراسوس لخزائن الهيكل في أورشليم .
٥٣ » – مقتل كراسوس في حربه مع الفرثيين وتعيين كاسيوس خلفاً عنه .
٥١ » – مواجهة خلفه كاسيوس الفرثيين في سورية وصد هجومهم عليها .
٤٩ » – نشوب الحرب الأهلية في روما بين بومبي ومجلس الشيوخ من جهة وقيصر من الجهة الأخرى .
٤٨ » – اندحار بومبي ومقتله في مصر .
٤٧ » – حملة قيصر على ملك بونتوس في أرمينيا ثم دخوله أورشليم في طريق عودته ومنحه يهوذا سلطة مدنية .
٤٧ » – تعيين قيصر لأنتيايتر الأدومي خازناً في يهوذا.
٤٤ » – اغتيال قيصر في مجلس الشيوخ في روما ونشوب حرب أهلية ثانية .
٤٣ » – تشكيل حكومة ثلاثية ثانية من أوكتافيان (أغسطس) ومارك انطونيوس ولبيدوس .
٤٣ » – موت أنتيايتر مسموماً واحلال ابنه هيرودس محله.
٤٠ » – إسناد حكم سورية ومصر الى مارك أنطونيوس بعد تقسيم السلطة في العالم الروماني .
٤٠ » – احتلال الفرثيين لسورية وتعيينهم لأنتيغونس ابن ارسطوبولس ملكاً على يهوذا وهرب هردوس الى روما .
٣٨ » – انسحاب الفرثيين من سورية وتعيين أنطونيوس وأوكتافيان لهيرودس الأدومي ملكاً على يهوذا والجليل .
٣٦ » – احتلال هيرودس لأورشليم عنوة بعد معارك عنيفة واعدام انتيغونس المكابي وبذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية .
٣١ » – نشوب حرب اكتيوم البحرية بين اوكتافيان (اغسطس) وبين انطونيوس وكليوبطرة وانتصار الأول فيها .
٣١ » – نصب أوكتافيان (أغسطس) أول امبراطور روماني وفي ذلك بداية الامبراطورية الرومانية .
٣٠ » – انتحار أنطونيوس .
٣٠ » – ضم أوكتافيان (أغسطس) مصر الى الامبراطورية الرومانية .

١٩ « — شروع هيرودس ببناء الهيكل في أورشليم .

١٩ « — شروع هيرودس ببناء الهيكل في أورشليم .

١١ « — انتهاء هيرودس من البناء الخارجي للهيكل .

٦ « — مولد السيد المسيح (ع) .

٤ « — وفاة هيرودس في أريحا وتقسيم حكم فلسطين بين أولاده الثلاثة

١٤ ب.م. — وفاة أغسطس واعتلاء تيبريوس العرش خلفاً له في حكم الامبراطورية الرومانية .

١٩ « — صلب السيد المسيح (ع) .

٣٧ « — وفاة الامبراطور تيبريوس واحلال كاليجولا محله .

٣٨ « — اضطهاد اليهود في الاسكندرية .

٤١ « — تعيين هيرودس اغريبا الأول ملكاً على فلسطين .

٤١ « — وفاة الامبراطور كاليجولا واحلال كلاودوس محله .

٤٤ « — وفاة هيرودس أغريبا الأول .

٥٤ « — وفاة كلاودوس واحلال نيرون محله .

٦٤ « — الحريق في روما واضطهاد المسيحيين .

٦٦ « — بداية ثورة اليهود في أورشليم ضد الرومان في عهد نيرون .

٦٨ « — وفاة الامبراطور نيرون (٩ حزيران) واحلال وسبسيان محله في ١ تموز ٦٩م .

٧٠ « — احتلال تيطوس لأورشليم وحرق الهيكل والفتك باليهود والغاء السنهدرين .

٧٩ « — وفاة وسبسيان واحلال تيطوس محله .

١٣٢ « — ثورة اليهود في عهد الامبراطور هادريان بقيادة « باركوخبا » .

١٣٥ « — القضاء على ثورة « باركوخبا » واقامة مستعمرة رومانية في أورشليم وتحريم سكنى اليهود فيها .

٣١٣ « — اعتناق الانبراطور قسطنطين المسيحية واصدار مرسوم يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع أقطار الانبراطورية الرومانية .

٣٣٠ « — اتخاذ بيزنطية عاصمة رسمية للانبراطورية الرومانية وتغيير اسمها الى القسطنطينية نسبة الى مؤسسها قسطنطين .

٣٩٥ « — تقسيم الانبراطورية الرومانية الى غربية وشرقية .

٦١٤ « — احتلال كسرى أبرويز لسورية وفلسطين وتخريبه لكنائس القدس من ضمنها كنيسة القبر المقدس .

٦٢٨ « — انتصار الانبراطور هرقل (٦١٠ — ٦٤١ م) على الفرس واسترجاع سورية وفلسطين منهم .

٦٣٦ « — معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على البيزنطيين .

٦٣٨ « - سقوط مدينة القدس في أيدي العرب في عهد الخليفة عمر (١٧ هـ)

جدول مسلسل عـــام للحوادث التاريخية

— ١ —

٣٠٠٠ — ٢٥٠٠ ق.م. هجرة الكنعانيين الى فلسطين ومنهم اليبوسيون سكان أورشليم الأوائل .

١٩٠٠ — ١٨٥٠ ق.م. هجرة ابراهيم الخليل (ع) من أور الى فلسطين .

١٨٩٤ — ١٥٩٥ ق.م. العهد البابلي القديم في العراق ، أشهر ملوكه حمورابي (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق.م.)

١٧٨٥ — ١٥٨٠ ق.م. هجرة الهكسوس الى مصر وحكمهم فيها .

١٧٢٠ ق.م. هجرة آل يعقوب الى مصر في عهد الهكسوس .

(حوالي) ١٧٠٠ ق.م. بداية هجرة الحوريين من مناطقهم الجبلية في شمال ايران الى شمالي العراق وتأسيسهم دولة ميتاني (حوالي ١٥٠٠ — ١٤٠٠ ق.م.)

١٥٩٥ — ١١٦٢ ق.م. فترة حكم الكاشيين في العراق — عاصمتهم كوريكالزو (عقرقوف الحالية).

١٥٨٠ — ١٠٨٥ ق.م. تكوين الامبراطورية المصرية بعد طرد الهكسوس من مصر .

١٥٨٠ — ١٥٤٦ ق.م. عهد أحموسه الأول مؤسس السلالة الثامنة عشرة المصرية محرر بلاده من الاحتلال الهكسوسي .

١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق.م. عهد تحوطمس الثالث الفاتح المصري الشهير قضى على بلاد الهكسوس في الشرق واستولى على معظم أقطار الشرق الأدنى .

١٤٥٠ ق.م. بداية هجرة الحثين من الاناضول الى شمال سورية وتأسيسهم دولة قرقاميش — (جرابلس) (١٤٥٠ — ١٢٠٠ ق.م.)

١٤١٧ — ١٣٦٢ ق.م. عهد رسائل تل العمارنة .

١٤١٧ — ١٣٦٢ ق.م. عهد ملك أورشليم عبدي — خيبا الكنعاني (**Abdikhiba**) ورسائله الى أخناتون وسلفه امنحوتب الثالث التي ورد فيها ذكر اوروسالم (أورشليم)

١٤١٧ — ١٣٧٩ ق.م. عهد أمنحوتب الثالث (السلالة ١٨) كان معاصراً لعبدي خيبا ملك أورشليم

١٣٧٩ — ١٣٦٢ ق.م. عهد أمنحوتب الرابع (السلالة ١٨) المعروف باخناتون صاحب الدعوة الى عقيدة التوحيد كان معاصراً لعبدي — خيبا ملك أورشليم .

١٣٠٤ — ١٢٣٧ ق.م. عهد رعمسيس الثاني (السلالة ١٩) تم في زمنه خروج بني اسرائيل من مصر بقيادة النبي موسى .

١٢٩٠ ق.م. (حوالي) — خروج بني اسرائيل من مصر وهجرتهم الى أرض فلسطين .

١٢٠٠ – ١١٥٠ ق.م. هجرة الفلستينيين الى الساحل الفلسطيني الجنوبي ومنهم جاءت تسمية « فلستيا » (فلسطين الحالية)

١١٩٨ – ١١٦٦ ق.م. عهد رعمسيس الثالث (السلالة ٢٠) أكثر فراعنة مصر ايغالا في بلاد العرب وهو الذي صد هجوم الفلستينيين على مصر سنة ١١٩١ ق.م.

١١٦٢ – ١٠٤٦ ق.م. فترة حكم السلالة البابلية الرابعة في بابل اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الأول (١١٢٤ – ١١٠٣ ق.م.)

١١٢٥ – ١٠٢٥ ق.م. (حوالي) عهد القضاة الاسرائيليين في فلسطين .

١٠٧٧ – ٩١١ ق.م. غزو الأراميين للعراق و استقرارهم على طول الجانب الأيمن من نهر الفرات .

١٠٥٠ ق.م. انتصار الفلسطينيين في المعركة التي نشبت بينهم وبين بني اسرائيل في عهد القضاة واستيلاؤهم على تابوت العهد .

١٠٢٥ – ١٠١٠ ق.م. (تقريبي) فترة حكم الملك شأوول على بني اسرائيل .

١٠١٠ ق.م. (تقريبي) انتصار الفلسطينيين على الملك شأوول ومقتله هو واولاده الثلاثة .

١٠١٠ – ٧٩١ ق.م. (تقريبي) فترة حكم الملك داود على بني اسرائيل .

١٠٠٣ (تقريبي) استيلاء الملك داود على يبوس (أورشليم) واتخاذها عاصمة له .

٩٩٤ – ٩٧١ ق.م. (تقريبي) فترة حكم الملك داود في أورشليم .

٩٧١ – ٩٣١ ق.م. (تقريبي) فترة حكم الملك سليمان في أورشليم .

٩٢٦ ق.م. زحف شيشنق الأول ملك مصر على أورشليم في عهد رحبعام ملك يهوذا ونهب ذخائر الهيكل وبينها ٥٠٠ ترس من ذهب .

٨٥٣ ق.م. المعركة غير الحاسمة بين الاشوريين وبين الأراميين وحلفائهم في القرقار على نهر العاصي

٧٣١ ق.م. استيلاء تجلات بلاسر الثالث ملك آشور على كل اراضي اسرائيل وسبي أهلها الى آشور.

٧٢٢ – ٧٢١ ق.م. حملة الاشوريين على مملكة اسرائيل في زمن شلمنصر الخامس وسركون الثاني وازالتها من الوجود هي وعاصمتها السامرة .

٧٠١ ق.م. حملة سنحاريب ملك آشور على مملكة يهوذا ومحاصرة أورشليم .

٦١٢ ق.م. سقوط نينوى عاصمة الاشوريين بيد الجيوش الماذية والبابلية المتحالفة .

٦١٢ – ٥٣٩ ق.م. فترة حكم الدولة الكلدانية في العراق بعد سقوط نينوى .

٦٠٥ ق.م. انتصار نبوخذنصر على نخو ملك مصر في معركة قرقميش وانسحاب مصر من الشرق الادنى .

٦٠٠ ق.م. بدء هجرة الأنباط الى شرقي الأردن .

٥٩٧ ق.م. حملة نبوخذنصر الأولى على مملكة يهوذا وأورشليم (السبي الاول لبني يهوذا) .

٥٨٦ ق.م. حملة نبوخذنصر الثانية على مملكة يهوذا وأورشليم وسبي اليهود الى بابل (السبي الثاني).

٥٣٩ ق.م. فتح كورش الأخميني لمدينة بابل وقضاؤه على الدولة الكلدانية في العراق وسماحه لمن رغب من اليهود العودة الى أورشليم واذنه لهم باعادة بناء الهيكل .

٣٣٢ ق.م. فتح الاسكندر لفلسطين وانشاء مستعمرات اغريقية بين اليهود .
٣٢٣ ق.م. (١٣ حزيران) وفاة الاسكندر في بابل .
٣٢٣ – ٣٠ ق.م. حكم البطالمة في مصر .
٣١٢ ق.م. فلسطين تصبح تحت حكم البطالمة في مصر .
٣١٢ – ٦٤ ق.م. فترة حكم السلوقيين في سورية .
٣٠٠ ق.م. نقل بطليموس الأول عدداً من يهود أورشليم الى أفريقيا .
١٩٨ ق.م. استيلاء انطيوخس الثالث على فلسطين .
١٦٨ ق.م. دخول انطيوخس الرابع (أبيفان) أورشليم وتدميره لهيكلها ونهبه لخزائنها .
١٦٧ ق.م. اضطهاد اليهود في فلسطين واجبارهم على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية .
١٦٧ ق.م. بداية ثورة العائلة الهشمونية المكابية بزعامة الكاهن متاثيوس .
١٦٧ – ٣٧ ق.م. فترة عهد المكابيين في فلسطين .
١٦٤ ق.م. استيلاء المكابيين على أورشليم على أثر الخسائر التي لحقت بالجيش السلوقي .
١٤١ ق.م. – ٢٢٧ ب.م. – حكم الفرثيين في العراق وفي سورية جزئياً .
١٤١ ق.م. مناداة سيمون كاهناً أعلى وحاكماً في اورشليم واعتراف دمتريوس الثاني الملك السلوقي باستقلاله .
٧٠ ق.م. – ٤٧٦ ب.م. – عهد الانبراطورية الرومانية .
٦٩ ق.م. احتلال دكران ملك أرمينيا لشمال سورية واستيلاؤه على عكة ثم انسحابه منها تحت ضغط الرومان .
٦٤ ق.م. احتلال القائد الروماني بومبي لسورية وضمها الى رومة .
٦٣ ق.م. دخول بومبي القائد الروماني الى أورشليم وجعل يهوذا تابعة لحاكم سورية الروماني .
٥٤ ق.م. نهب كراسوس لخزائن الهيكل في أورشليم .
٤٧ ق.م. تعيين الانتيباتر الاروسي خازناً في يهوذا .
٤٣ ق.م. موت أنتيباتر واحلال ابنه هيرودس محله حاكماً على يهوذا .
٤٠ ق.م. استيلاء الفرثيين على فلسطين ثم انسحابهم منها سنة ٣٨ ق.ق.
٤٠ ق.م. هرب هيرودس الى روما بعد احتلال الفرثيين لفلسطين .
٦ ق.م. مولد السيد المسيح (ع)
٤ ق.م. وفاة هيرودس وتقسيم حكم فلسطين بين أولاده الثلاثة .
٣٦ ق.م. احتلال هيرودس لأورشليم عنوة بعد معارك عنيفة وبذلك كان انتهاء حكم السلالة المكابية .
٣٠ ق.م. ضم الامبراطور أغسطس مصر الى الامبراطورية الرومانية .
١٩ ب.م. صلب السيد المسيح (ع)
٦٦ ب.م. بداية ثورة اليهود في أورشليم ضد الرومان في عهد نيرون .

٧٠ ب.م. فتح الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود .

١٣٢ ب.م. ثورة اليهود من جديد في عهد الامبراطور هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) بقيادة « باركوخبا » .

١٣٥ ب.م. قضاء هادريان على ثورة « باركوخبا » واقامة مستعمرة رومانية في أورشليم وتحريم سكنى اليهود فيها .

١٣٨ ب.م. تسنم الانبراطور أنتونينس بيوس (١٣٨ – ١٦١ م.) العرش الروماني والغاؤه المراسيم التي استنها سلفه هادريان القاضية بتحريم الديانة اليهودية .

٣١٣ ب.م. اصدار قسطنطين مرسوماً يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة على المسيحية في جميع اقطار الانبراطورية الرومانية .

٣٢٣ ب.م. عقد اجتماع مجلس الأساقفة في نيسيا لبحث الشؤون الدينية المسيحية .

٣٢٦ ب.م. حج الانبراطورة هيلينا الى أورشليم .

٣٣٠ ب.م. اتخاذ « بيزنطية » عاصمة رسمية للامبراطورية الرومانية وتغيير اسمها الى اسم مؤسسها قسطنطين .

٣٣٠ – ٣٣٧ ب.م. إقامة الانبراطور قسطنطين «كنيسة القبر المقدس» (القيامة حالياً) في « الجلجلة » .

٣٦١ ب.م. اعتلاء جوليان عرش الانبراطورية الرومانية وانحرافه عن المسيحية وأمره باعادة هيكل اليهود في أورشليم .

٣٦٣ ب.م. وفاة جوليان والرجوع الى الديانة المسيحية .

٣٩٥ ب.م. تقسيم الانبراطورية الرومانية الى غربية وشرقية .

٥٢٧ – ٥٦٥ ب.م. اقامة الانبراطور جستنيان عمارات كثيرة في فلسطين منها « الباب الذهبي » الذي لا يزال يعرف بهذا الاسم ومنها الكنيسة التي انشأها في موضع المسجد الأقصى الحالي .

٦٠٨ ب.م. وصول جيوش كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠ – ٦٢٨ م.) الى حدود البوسفور وتهديدها للقسطنطينية .

٦١٤ ب.م. احتلال كسرى أبرويز لسورية وفلسطين وتخريبه كنائس القدس من ضمنها « كنيسة القبر المقدس » .

٦٢٨ ب.م. انتصار الانبراطور هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م.) على الفرس واسترجاع سورية وفلسطين منهم .

٦٣٠ – (حوالي) ملاحقة هرقل للفرس في بلادهم واسترجاع « الصليب الأصلي » الذي كانوا قد استولوا عليه بعد احتلالهم للقدس سنة ٦١٤ م .

٦٣٦ ب.م. معركة اليرموك التي انتصر فيها العرب على جيوش الانبراطور البيزنطي هرقل .

٦٣٨ ب.م. سقوط مدينة القدس في أيدي العرب في عهد الخليفة عمر (١٧) .

المراجـــع الاجنبية

1. Baedekers (Karl): «Palestine and Syria», Jerusalem, 5th ed. 1912, pp. 19-107 (with maps).

   بحث قيم عن تاريخ القدس القديم معزز بخرائط ومرتسمات توضيحية .

2. Besant (W.) and Palmer (H.): «The History of Jerusalem», London, 1888.

   ———— : «Jerusalem the City of Herod and Saladin».

3. Bevan (E.): «Jerusalem under the High Priests,» London, 1904.

4. Caldecott (W.S.) : «The second Temple in Jerusalem», London, 1909.

5. Chipiez et Perrot: «Le Temple de Jérusalem», Paris, 1889.

6. Creswell (K.A.C.): «Early Muslim Architecture» Oxford 1932, Al Sakhra, pp. 42-94 and pp. 147-228.

7. ———— : «The origin of the Plan of the Dome of the Rock», British School of Archaeology in Jerusalem, Suppl. papers No. 2, London, 1924.

8. Davis (J.D.): «Jerusalem,» «Dictionary of the Bible,» London 1958 (4th revised ed.), pp. 368-378.

9. Ferguson (James): «An Essay on the Ancient Topography of Jerusalem.»

10. Hartman (H.) : «Der Felsendom in Jerusalem » Strasburgh, 1909.

11. Hastings (James — editor) : «Jerusalem,» A Dictionary of the Bible, 1958, Vol. II, pp. 584-601 (with map).

12. Join — Lambert (M.) : «Jerusalem, 1958 » with biblio graphy).

13. Lewis (H.) : «The Holy Places of Jerusalem».

14. Mariti, «Histoire de l'état présent de Jérusalem,» Paris, 1853.

15. Merrill (S.) : «Ancient Jerusalem,» 1908.

16. Peake (A.S.) : «Commentary on the Bible», London, 1923.

17. Perowne (S.H.) : «Jerusalem,» Enc. Brit., Vol. 12, 1965, pp. 1007 - 1009.

18. Richmond (E.T.) : «The Dome of the Rock», Oxford, 1924.

19. Rogers (R.W.): «Cuneiform Parallels to the Old Testament,» N.Y. 1912, See: «Letters from Abdi - Khiba of Jerusalem,» pp. 268 - 278; «Campaign against Jehu by Sennacherib,» pp. 340 - 346 ; «Siege of Jerusalem by Nebuchadnessar», p. 363. (Texts translated into English from the originals).

20. Schick (C.) : «Beit el Makdes,» Jerusalem, 1887.

21. Simons (J.): «Jerusalem in the Old Testament, Researches and theories,» 1953.

22. Smith (G.A.) : «Jerusalem», 1907.

23. Strange (Guy Le) : «Palestine under the Moslems — A Description of Syria and the Holy Land (A.D. 650 to 1500) «N.Y., 1890 (vide Chaps. III-V,) Jerusalem», pp. 83-223.

24. ——— : «Description of the Noble Sanctuary at Jerusalem in 1740 A.D. by Kamal (or Shams) ad-Din as-Suyuti, Extracts Re-Translated by Guy Le Strange, Journal of the Royal Asiatic Society, XIX, 1887, pp. 247-305.

25. Thubbon (C.) : «Jerusalem,» London, 1969 (256 p. with 84 plates.

26. Vester (Bertha S.) : «Our Jerusalem.»

27. Vincent (L.H.) : «Jérusalem Antique», 1912.

28. ——— with Steve (A.M.) : «Jérusalem de l'Ancient Testamen,» 2 vols., 1954-56.

29. Vitry (Jacques de): «The History of Jerusalem,» tr Aubrey Stewart, London, 1896.

30. Vogûé (M. de): «Le Temple de Jérusalem,» Paris, 1864.

31. «The story of the Bible told by living Writers of Authority», London, 2 vols.

32. Shorter Encyclopedia of Islam, «Al-Kuds,» E.J. Brill, 1953, pp. 269 ff.

33. Jewish Encyclopedia — «Jerusalem», 1914, Vol. VII, pp. 118 - 157 (with maps).

34. The Standard Jewish Encyclopedia, «Jerusalem», pp. 1026 - 1032.

35. Encyclopedia Biblica, «Jerusalem», 1901, Vol. II, pp. 2407 - 2431 (with map).

المراجع العربيـــة

— « بيت المقدس في الاسلام » ، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود ، مجمع البحوث الاسلامية في الازهر ، الكتاب الخامس (عدد خاص) ١٩٦٩ .

— جبرا (ابراهيم جبرا) : « الرحلة الثامنة القدس : الزمن المجد ، صيدا ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٥ — ١٧٦ . (قطعة أدبية تاريخية رائعة عن القدس) .

— العارف (عارف باشا) : « تاريخ القدس » القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥١ .

— : « تاريخ الحرم القدسي ، القدس ، ١٩٤٧ (تقريظ المقتطف ج ١١٢ (١٩٤٨) ص ٧٤ — ٧٥) .

— العليمي (عبد الرحمن بن محمد) : القدس ١٤٥٦ — ١٥٢٢ ، ٢ ج ، مصر ، المطبعة الوهبية في مصر ١٢٨٣ .

— مجير الدين : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل
ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي ولد بالقدس وتوفي بها ٩٢٧ هـ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣ هـ (ج ٢) .

— العمري (ابن فضل الله) : « مسالك الابصار في ممالك الامصار » بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٤ (انظر « المسجد الاقصى » ص ١٣٣ — ١٦٧) .

— الموسوعة العربية الميسرة — بيت المقدس ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

— الولي (الشيخ طه) : « التراث الاسلامي في بيت المقدس وفضائله الدينية » ، بيروت ١٩٦٩ .



الارض المقدسة

في بعض المصادر العربية والاسلامية

ابن منظـــور

هو محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري الافريقي ولد سنة ٦٣٠ ، وكان بحاثاً لغوياً واسع الاطلاع ، وقد اغرم بتلخيص الكتب المطولة فلخص الاغاني والعقد الفريد وغيرهما من الكتب الشهيرة وقد نقل على لسان ابنه انه ترك خمسمائة مجلد بخطه ، وقد جمـــع في اللغة كتابه الشهــــير (لسان العرب) وقيل في ترجمته انه كان متشيعاً ، وقد عمي في اواخر عمره ، وكتابه هذا قد جمع فيه جميع اللغة من جميع المجاميع اللغوية وما ترك العرب في امثالهم واشعارهم التي تصلح ان تكون شواهد لغوية وأدبية ، وقد مات سنة ٧١١ هـ .

اسماء القدس

في لسان العرب

ايليـــاء

وايلياء مدينة بيت المقدس ، ومنهم من يقصر الياء فيقول إلياء وكأنهمـــا روميان ، قال الفرزدق :

وبيتان ! بيت الله نحن ولاتـــه   وبيت بأعلى (إيلياء) مُشرَّفُ

وفي الحديث : ان عمر رضي الله عنه ، أهلَّ بحجة من ايلياء ، هي بالمد والتخفيف اسم مدينة بيت المقدس ، وقد تشدد الياء الثانية ، وتقصر الكلمة وهو معرّب .

شلّم

وعن الفراء : لم يأتِ على فَعّلٍ اسماً الا بَقّمٌ ، وعَثّرُ ، ونَدّرُ وهما موضعان . وشلّم بيت المقدس .

القدس

والقُدُس والقُدْس ، بضم الدال وسكونها ، اسم ومصدر ؛ ومنه قيل للجنة : حضيرة القدس .

والتقديس : التطهير والتبريك ، وتقدس اي تطهّر . وفي التنزيل : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .

الزجاج : معنى نقدس لك اي نطهّر انفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن اطاعك نقدسه اي نطهّره ، ومن هذا قيل للسطل القَدَس لانه يُتقدس منه اي يُتطهر ،

والقدس بالتحريك : السطل بلغة اهل الحجاز لانه يُتطهر منه ، قال : ومن هذا بيت المقدس اي البيت المُطهّر اي المكان الذي يتطهر به من الذنوب .

ابن الكلبي : القدوس الطاهر ، وقوله تعالى : الملك القدوس الطاهر ، في صفة الله عز وجل ، وقيل قدّوس ، بفتح القاف ، قال ، وجاء في التفسير انه المبارك ، والقُدوس : هو الله عز وجل والقُدْسُ : البركة ، والاض المقدسة الشام ، منه ، وبيت المقدس من ذلك ايضاً ، فاما ان يكون على حذف الزائد ، واما ان يكون اسماً ليس على الفعل كما ذهب اليه سيبويه في المنكب ، وهو يُخفَّف ويثقّل ، والنسبة الى مقدسي ، مثل مجلسي ، ومُقدّسي قال امرؤ القيس :

فادركنه ياخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدانُ ثوب المُقدّسي

والهاء في (ادركنه) ضمير الثور الوحشي ، والنون في ادركنه ضمير الكلاب ، اي ادركت الكلاب الثور فأخذن بساقه ونساه ، وشبرقت جلده كما شبرق ولدان النصارى ثوب الزاهد المُقدّسي ، وهو الذي جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركاً بها ، والشبرقة تقطيع الثوب وغيره ، ويقال للراهب مُقدّس ، واراد في هذا البيت بالمُقدّسي الراهب ، وصبيان النصارى يتبركون به وبمسح مسحه الذي هو لابسه ، واخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه .

والمُقدّس الحبر ، وحكى ابن الاعرابي : لاقدسه الله : اي لا بارك عليه ، قال والمقدس المبارك ، والارض المقدسة : المطهرة ، وقال الفراء : الأرض المقدسة الطاهرة ، وهي دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأردن ، ويقال : ارض مقدسة اي مباركة وهو قول قتادة واليه ذهب ابن الاعرابي وقول العجاج :

قد علم القدوس مولى القدس
أن ابا العباس اولى نفس
بمعدن الملك القديم الكرس
اراد انه أحقّ نفس بالخلافة ،

وروح القدس : جبريل عليه السلام ، وفي الحديث ان روح القدس نفث في رُوعي ، يعني جبريل عليه السلام ، لأنه خلق من طهارة ، وقال الله عــز وجل في صفة عيسى ، على نبينا وعليــه الصلاة والسلام « وأيّدناهُ بروح القُدُس » هو جبريل معناه روح الطهارة اي خلق من طهارة ، وقول الشاعر :

لا نوم حتى تهبطي ارض القُدُسْ
وتشربي من خير ماء بِقُدس

اراد الأرض المقدسة .

القدس

في رحلة ناصر خسرو

ناصر خسرو

خراساني من ابناء القرن الخامس على جانب كبير من العلم والمعرفة ، وهو اسماعيلي المذهب قام برحلة واسعة في الثلث الاول من القرن الخامس وسجل الشيء الكثير من مشاهداته التي اعتبرها المؤرخون مرجعاً من اهم المراجع التاريخية في القرن الخامس والرحلة مكتوبة باللغة الفارسية فقام بترجمتها المؤرخون الى اغلب اللغات الحية ، وترجمت اخيراً عن طريق الدكتور يحيي الخشاب الى اللغة العربية ، وعلى هذه الرحلة يجري الاعتماد في وصف المسجد الاقصى ومساحة قاعاته وابهائه مما سيطلع عليه هنا المؤرخون من العرب الذين لم يسبق لهم الاطلاع على هذه الرحلة . وكان دخوله الى بيت المقدس في سنة ٤٣٨هـ .

الرحالة ناصر خسرو

في بيت المقـــدس

زار الرحالـــة الايراني الاسماعيلي ناصر خسرو ، فيمـــا زار من البلاد الشامية في عهد الفاطميين ، فلسطين : وبيت المقدس على الأخص ، فدوّن في رحلته الشهيرة باسم «سفر نامه» أشياء مفيدة كثيرة عنها.ولأجل أن لافراغ نحيط بالموضوع من جميع جوانبه نثبت[1] فيما يأتي ما كتبه في هذا الشأن إتماماً للفائدة :

« .. في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ (١٦ مارس ١٠٤٧) بلغنا بيت المقدس . وكان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية ، وطوال رحلتنا لم نقرّ في مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة . وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس « القدس » . ويذهب الى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من أهل هذه الولايات ، فيتوجه الى الموقف ويضحي ضحية العيد كما هي العادة . ويحضر الى هناك لتأدية السّنة ، في بعض السنين ، أكثر من عشرين ألف شخص ، في أوائل ذي الحجة ، ومعهم أبناؤهم . كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس من ديار الروم كثير من النصارى واليهود ، وذلك لزيارة الكنيسة والكنيش هناك . وهناك كنيسة عظيمة سيأتي وصفها في مكانه . وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها ، والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء ، والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب

---

(١) نقلا عن الترجمة التي ترجمها عن الفارسية الدكتور يحيـــى الخشاب ، الطبعة الثـانية (بيروت ١٩٧٠) .

عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف منّ من زيت الزيتون . يحفظونها في الآبار والأحواض . ويصدرونها الى أطراف العالم . ويقال انه لا يحدث قحط في بلاد الشام . وسمعت من ثقات ان ولياً رأى النبي عليه السلام في المنام فقال له « ساعدنا في معاشنا يا رسول الله » فأجابه النبي عليه السلام « عليّ خبز الشام وزيته » . والآن أصف مدينة بيت المقدس :

هي مدينة مشيدة على قمة الجبل . ليس بها ماء غير الامطار . ورساتيقها ذات عيون . والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص وعليها بوابات حديد . وليس بقربها أشجار قط . فانها على رأس صخر . وهي مدينة كبيرة كان بها في ذلك الوقت عشرون ألف رجل . وبها أسواق جميلة وأبنية علية . وكل أرضها مبلطة بالحجارة . وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة . بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار . وفي المدينة صناع كثيرون ولكل جماعـــة منهم سوق خاصة . والجامع شرقي المدينة وسورها هو سورها الشرقي . وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى « الساهرة » يقال انه سيكون ساحة القيامة والحشر . لهذا يحضر اليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فاذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد . اللهم عفوك ورحمتك بعبيدك ذلك اليوم آمين يا رب العالمين. وعلى حافة هذا السهل قرافة عظيمة ومقابر كثير من الصالحين . يصلي بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم فيقضي الله حاجاتهم . اللهم تقبل حاجاتنا واغفر ذنوبنا وسيئآتنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين . وبين الجامع وسهل الساهرة واد عظيم الانخفاض كأنه خندق . وبه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين . ورأيت قبة من الحجر المنحوت مقامة على بيت لم أر أعجب منها . حتى أن الناظر اليها ليسأل نفسه كيف رفعت في مكانها ؟ ويقول العامة انها بيت فرعون . واسم هذا الوادي « وادي جهنم » . وقد سألت عمن أطلق هذا اللقب عليه فقيل ان عمر رضي الله عنه أنزل جيشه أيام خلافته في سهل الساهرة هذا . فلما رأى الوادي قال : هذا وادي جهنم . ويقول العوام ان من يذهب إلى نهايته يسمع

صياح أهل جهنم ، فان الصدى يرتفع من هناك ، وقد ذهبت فلم أسمع شيئاً . وحين يسير السائر من المدينة جنوباً مسافة نصف فرسخ وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى « عين سلوان » وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة . ويمر ماء هذه العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين . ويقال ان من يستحم من ماء هذه العين يشفى مما ألمّ به من الأوصاب والأمراض المزمنة . وقد وقفوا عليها مالاً كثيراً . وبيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديدين العلاج والدواوبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذه المستشفى . ومسجد الجمعة على حافة المدينة من الناحية الشرقية ، وإحدى حوائط المسجد على حافة وادي جهنم . وحين ينظر السائر من خارج المسجد يرى الحائط المطل على هذا الوادي يرتفع مئة ذراع من الحجر الكبير الذي لا يفصله عن بعضه ملاط أو جص . والحوائط داخل المسجد ذات ارتفاع مستو . وقد بني المسجد في هذا المكان لوجود « الصخرة » به ، وهي الصخرة التي أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة » . فلما قضي هذا الأمد واتخذها موسى قبلةً له لم يعمر كثيراً بل عجلت به المنية حتى اذا كانت أيام سليمان عليه السلام ، وكانت الصخرة قبلة ، بنى مسجداً حولها بحيث أصبحت في وسطه . وظلت الصخرة قبلةً حتى عهد نبينا المصطفى عليه السلام فكان المصلون يولون وجوههم شطرها ، الى أن أمرهم الله تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة وسيأتي وصف ذلك في مكانه .

وقد أردت أن أقيس هذا المسجد ، ولكني آثرت أن أتقن معرفة هيئته ووضعه أولاً ثم أقيسه . فلبثت فيه زمناً أمعن النظر فرأيت عند الجانب الشمالي بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقاً مكتوباً على حجر منه أن طول المسجد أربع وخمسون وسبع مئة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربع مئة ذراع ، وذلك بذراع الملك المسمى في خراسان « كز شايكان » وهو أقل قليلاً من ذراع ونصف . وأرض المسجد مغطاة بحجارة موثوقة الى بعضها بالرصاص .

والمسجد شرقي المدينة والسوق . فاذا دخله السائر من السوق فانه يتجه شرقاً فيرى رواقاً عظيماً جميلاً ارتفاعه ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون . وللرواق جناحان واجهتاهما وأيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبته بالجص على الصورة التي يريدونها ، وهي من الدقة بحيث تبهر النظر . ويرى على هذا الرواق كتابة منقوشة بالمينا ، وقد كتب هناك لقب سلطان مصر ، فحين تقع الشمس على هذه النقوش يكون لها من الشعاع ما يحير الألباب . وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول ، وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقي الذي يلمع حتى لتظن أنهما طليا بالذهب . وقد طعّما بالذهب وحُلّيا بالنقوش الكثيرة ، وطول كلٍ منهما خمس عشرة ذراعاً وعرضه ثمان ويسميان « باب داود » عليه السلام . وحين يجتاز السائر هذا الباب يجد على اليمين رواقين كبيرين في كلٍ منهما تسعة وعشرون عموداً من الرخام ، تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص . وعلى تيجان الأعمدة طيقان حجرية وهي مقامة فوق بعضها بغير ملاط وجص ، ولا يزيد عدد حجارة الطاق منها على أربع أو خمس قطع ، وهذان الرواقان ممتدان الى المقصورة . ثم يجد على اليسار وهو ناحية الشمال رواقاً طويلاً بـــه أربعة وستون طاقاً كلها على تيجان أعمدة من رخام ، وعلى هذا الحائط نفسه باب آخر اسمه « باب السقر » . وطول المسجد من الشمال ، وهو ساحة مربعة اذا اقتطعت المقصورة منه ، والقبلة الى الجنوب . وعلى الجانب الشمالي بابان متجاوران آخران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتا عشرة ذراعاً ، ويسميان « باب الأسباط » . فاذا اجتازه السائر وذهب مع عرض المسجد الذي هو جهة المشرق يجد رواقاً آخر عظيماً كبيراً به ثلاثة أبواب متجاورة في حجم باب الأسباط وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس قل ما هو أجمل منها تسمى « باب الأبواب » لأن للمواضع الأخرى بابين وله ثلاثة . وبين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالي ، في الرواق ذي الطيقان المحملة على أعمدة الرخام ، قبة رفعت على دعائم عالية وزينت بالقناديل والمســارج

تسمى قبة يعقوب عليه السلام ، لأنه كان يصلي هناك. وفي عرض المسجد رواق في حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية . وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم ويصلون ولا يذهبون الى الجامع الا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون .

وعند الركن الشمالي للمسجد رواق جميل ، وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها : « هذا محراب زكريا النبي عليه السلام » ، ويقال انه كان يصلي هناك دائماً . وعند الحائط الشرقي ، وسط الجامع ، رواق عظيم الزخرف من الحجر المصقول حتى لتظن أنه نُحت من قطعة واحدة ارتفاعه خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون عليه نقوش ونقر ، وله بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة وعليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقي وقد دُق عليهما الحلق والمسامير . ويقال ان سليمان بن داود عليه السلام بنى هذا الرواق لأبيه .

وحين يدخل السائر هذا الرواق متجهاً ناحية الشرق ، فالأيمن من هذين البابين هو « باب الرحمة » والأيسر « باب التوبة » ، ويقال ان هذا الباب هو الذي تقبل الله عنه توبة داود عليه السلام . وعلى هذا الرواق مسجد جميل كان في وقت ما دهليزاً فصيروه جامعاً وزينوه بأنواع السجاد ، وله خدم مخصصون ، ويذهب اليه كثير من الناس ويصلون فيه ويدعون الله تبارك وتعالى ، فانه في هذا المكان قبل توبة داود ، وكل انسان هناك يأمل في التوبة والرجوع عن المعاصي . ويقال ان داود عليه السلام لم يكد يطأ عتبة هذا المسجد حتى بشّره الوحي بأن الله سبحانه وتعالى قد قبل توبته ، فاتخذ هذا المكان مقاماً وانصرف الى العبادة . وقد صليت ، أنا (ناصر) في هذا المقام ودعوت الله تعالى أن يوفقني لطاعته ، وان يغفر ذنبي فالله سبحانه وتعالى يهدي عباده جميعاً لما يرضاه ويغفر ذنوبهم بحق محمد وآله الطاهرين .

وحينما يمضي السائر بحذاء الجدار الشرقي الى ان يبلغ الزاوية الجنوبية ، عند القبلة التي تقع على الضلع الجنوبي ، يجد أمام الحائط الشمالي مسجداً بهيئة السرداب ينزل فيه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعاً في خمس عشرة ،

وسقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام . وبهذا السرداب مهد عيسى عليه السلام ، وهو من الحجر ، حجمه كبير بحيث يصلي عليه الناس ، وقد صليت هناك . وقد أحكم وضعه في الأرض حتى لا يتحرك ، وهو المهد الذي أمضى فيه عيسى طفولته وكلّم الناس منه ، وهو في المسجد مكان المحراب . وفي الجانب الشرقي من هذا المسجد محراب مريم عليها السلام . وبه محراب آخر لزكريا عليه السلام . وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التي نزلت في حق زكريا ومريم . ويقال ان عيسى عليه السلام ولد في هذا المسجد . وعلى حجرٍ من عمده نقش أصبعين كأن شخصاً أمسكه . ويقال أن مريم امسكته بأصبعيها وهي تلد . ويعرف هذا المسجد بـ « مهد عيسى » عليه السلام . وبه قناديل كثيرة من النحاس والفضة توقد كل مساء .

وحين يخرج السائر من هذا المسجد متبعاً الحائط الشرقي ، يجد عندما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجداً آخر عظيماً جداً ، أكبر مرتين من مسجد مهد عيسى يسمى « المسجد الأقصى » . وهو الذي أسرى الله عز وجل بالمصطفى (ص) ليلة المعراج من مكة اليه ، ومنه صعد الى السماء كما جاء في القرآن : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » . وقد بنوا به أبنية غاية في الزخرف ، وفُرش بالسجاد الفاخر ، ويقوم عليه خدم مخصصون يعملون به دواماً .

وحين يعود السائر الى الحائط الجنوبي ، على مئتي ذراع من تلك الزاوية ، لا يجد سقفاً وهناك ساحة المسجد ، واما الجزء المسقوف من المسجد الكبير والذي به المقصورة فيقع عند الحائطين الجنوبي والغربي . وطول هذا الجزء عشرون وأربع مائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع ، وبه ثمانون ومئتا عمود من الرخام على تيجانها طيقان من الحجارة . وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها ، وثبتت الوصلات فيها بالرصاص في منتهى الأحكام . وبين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص . والمقصورة في وسط الحائط الجنوبي وهي كبيرة جداً تتسع لستة عشر عموداً ، وعليها قبة

عظيمة جداً منقوشة بالميناء على نسق مـــا وضعت ، وهي مفروشة بالحصير المغربي ، وبها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعد بعضها عن بعض ، وبها محراب كبير منقوش بالميناء ، وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونهمـــا كالعقيق الأحمر ، وإزار المقصورة كله من الرخام الملـــون . وعـــلى يمينـــه محراب معاوية ، وعلى يساره محراب عمر رضي الله عنه . وسقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف . وعلى باب المقصورة وحائطها المطلين على الساحة خمسة عشر رواقاً عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشر أذرع وعرضه ست . وتفتح عشرة من هذه الأبواب على الجدار الذي طوله عشرون وأربع مئة ذراع ، وخمسة منها تفتح على الجدار الذي طوله خمسون ومئة ذراع . وقد زُين باب منها غاية الزينة ، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب ، وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ، ويقال انه هو الذي أرسله من بغداد . وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن انه ساحة مكشوفة ، اما حين تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب فان النور ينبعث للمسجد من الكوات . وعـــلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون كما هـــو الحال في المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى .

وخارج هذا الحرم ، عند الحائط الكبير الذي مر ذكره ، رواق به اثنان وأربعون طاقاً ، وكل أعمدته من الرخام الملون ، وهذا الرواق متصل بالرواق المغربي . وتحت الأرض في الحرم المسقوف حوض جعـــل بحيث يكون في مستوى الأرض حين يغطى . وقد بني لتجمع فيه مياه المطر . وعلى الحائط الجنوبي باب يؤدي الى ميضأة ، يذهب اليها من يحتاج الى الوضوء فيجدده ، وذلك لأنه لا يلحق الصلاة اذا هو خرج من المسجد ليتوضأ ، إذ أن كـــبر المسجد يفوّت عليه الصلاة اذا اجتازه . وكل الأسقف ملبسة بالرصاص .

وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة ، فان المسجد مشيّد كله على صخرة ، فهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا

يضيع سدى بل ينصرف الى الأحواض وينتفع به الناس. وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء الى أحواض حجرية تحتها ، وقد ثقبت هذه الأحواض منها الماء ويصب في الصهاريج بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن.
وقد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجاً كبيراً تنحدر اليه المياه من الجبل وتتجمع فيه ، وقد أوصلوه بقناة الى مسجد المدينة ، حيث يوجد أكبر مقدار من مياهها . وفي المنازل كلها أحواض لجمع مياه المطر ، إذ لا يوجد غيره هناك ، ويجمع كل انسان ما على سطح بيته من مياه ، فان ماء المطر هو الذي يستعمل في الحمامات وغيرها .

والأحواض التي بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبداً لأنها من الحجر الصلب ، فاذا حدث بها شق أو ثقب أحكم اصلاحه حتى لا تتخرب . ويقال ان سليمان عليه السلام هو الذي عمل هذه الاحواض . وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور ، وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء . وماء هذه المدينة أعذب وأنقى من أي ماء آخر . وتستمر الميازيب في قطر المياه يومين أو ثلاثة ولو كان المطر قليلاً الى أن يصفو الجو وتزول آثاره السيئة ، وحينئذ يبدأ المطر .

قلت ان مدينة بيت المقدس تقع على قمة جبل وأن أرضها غير مستوية . اما المسجد فأرضه مستوية ، فخارج المسجد حيثما تكون الأرض منخفضة يرتفع حائطه ، إذ يكون أساسه في أرض واطئة ، وحيثما تكون الأرض مرتفعة يقصر الجدار . وفي الجهات الواطئة من أحياء المدينة فتحوا في المسجد أبواباً كأنما ثقب تؤدي الى ساحته . ومن هذه الأبواب باب يسمى « باب النبي » عليه السلام ، وهو بجانب القبلة ، أي في الجنوب ، وقد عمل بحيث يكون عرضه عشر أذرع واما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان ، فهو في مكان خمس أذرع ، أي علو سقف هذا الممر ، وفي مكان آخر عشرون . والجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيّد فوق هذا الممر وهو محكم بحيث يحتمل ان يقام فوقه بناء بهذه العظمة من غير ان يؤثر فيه قط . وقد استخدمت في بنائه حجارة

لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلهـــا واستخدامها ، ويقال ان سليمان بن داود عليه السلام هو الذي بناه . وقد دخل منه نبينا عليه الصلوات والسلام الى المسجد ليلة المعراج . وهذا الباب على جانب طريق مكة .

وعلى الحائط ، بقرب هذا الباب ، نقش دقيق لمجن كبير . يقال ان حمزة ابن عبد المطلب عم النبي عليه السلام كان جالساً وعلى كتفه المجن وظهره مسند الى الحائط ، وان هذا نقش مجنّه .

وعند بوابة المسجد حيث هذا الممر الذي عليه باب ذو مصراعين ، يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقرب من خمسين ذراعاً . وقد قصد بهذا الباب ان يدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد، فلا يلجؤون للذهاب الى محلة أخرى حين يريدون دخوله . وعلى الحائط الذي يقع يمين الباب حجر ارتفاعه خمس عشرة ذراعاً وعرضه أربع أذرع فليس في المسجد حجر أكبر منه . وفي الحائط على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ذراعاً من الأرض كثير مـــن الحجارة التي تبلغ في حجمها أربع أذرع أو خمس .

وفي عرض المسجد باب شرقي يسمى « باب العين » اذا خرجوا منه نزلوا منحدراً فيه عين سلوان . وهناك ايضاً باب تحت الأرض يسمى « الحطة » يقال أنه هو الباب الذي أمر الله عز وجل بني اسرائيل أن يدخلوا منه الى المسجد ، قوله تعالى : « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين » وهناك باب آخر يسمونه « باب السكينة » في دهليزه مسجد بـــه محاريب كثيرة ، باب أوله مغلق حتى لا يلجه أحد . ويقال ان هناك تابوت « السكينة » الذي ذكره الله تبارك وتعالى في القرآن والذي حمله الملائكة . وأبـــواب بيت المقدس ، ما فوق الأرض وما تحتهـــا ، تسعة أبواب كمـــا ذكرت .

وصف الدكـــة التي بوسط ساحة المسجد

والصخرة التي كانت قبلة الاسلام

أُقيمت هذه الدكة في وسط المساحة لأنه لم يتيسر نقل الصخرة الى الجزء المسقوف من المسجد لعلوها . وهي تظل مساحة من الأرض مقدارها ثلاثون وثلاث مائة ذراع في ثلاث مائة وارتفاعها اثنتا عشرة ذراعاً . وصحنها مستو ومزخرف بالرخام الملبس بوصلات الرصاص . وعلى جوانبها الأربعة ألواح الرخام كما يعمل في المقابر . وهي مبنية بحيث لا يستطيع أحد الصعود عليها من غير المراقي المخصصة لهذا الأمر ويشرف من يصعد عليها على سقف الجامع وقد حفر في أرضها ، في الوسط ، تصب فيها مياه المطر بواسطة قنوات أُعدت لذلك . وماء هذا الحوض أنقى وأعذب من كل ماء في الجامع . وعلى هـــذه الدكة أربع قباب ، أكبرها قبة الصخرة التي كانت القبلة .

وصف قبة الصخرة

بُني المسجد بحيث تكون الدكة في وسط الساحة ، وقبة الصخرة في وسط الدكة والصخرة وسط القبة . وقبة الصخرة بيت مثمن منظم ، كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعاً وله أربعة أبواب ، على الجهات الأربع الأصلية ، باب شرقي وآخر غربي وثالث شمالي ورابع جنوبي ، وبين كل بابين ضلع . وجميع المحيطات من الحجر المنحوت ، وارتفاعها عشرون ذراعاً .

ومحيط الصخرة مائة ذراع ، وهي غير منتظمة الشكل ، لا هي مدورة ولا مربعة ، ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل . وقد بنوا عـــلى جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة بارتفاع حائط البيت المذكور . وبين كل دعامتين ، على الجوانب الأربعة ، عمودان اسطوانيان من الرخام بنفس الارتفاع وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الاثني عشر بنوا القبة التي تحتها الصخرة ، والتي يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعاً .

وبين حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة .(اسمي المربعة المبنية : ستون)

دعامة ، والمنحوتة المستديرة التي من حجر واحد « اسطوانة » عموداً ثمان دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة ، وبين كل اثنتين منهما ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية ، بحيث يكون في الصف الأول عمودان بين كـــل دعامتين ، ويكون هنا ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين . وعلى تاج كل دعامة أربعة عقود ، على كل عقد طاق ، وعلى كل عمود طاق ، وعلى كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق . وهكذا يكون على العمود متكأ لطاقين ، وعلى الدعامة متكأ لأربعة . فكانت هذه القبة العظيمة في ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعامات الاثنتي عشرة المحيطة بالصخرة ، فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل . لأنها من أساسها الى قمتها ثلاثون ذراعاً ، وهي تستند الى أعمدة ودعامات ارتفاعها عشرون ذراعاً ، وقبة الصخرة مشيدة على بيت ارتفاعه اثنتا عشرة ذراعاً ، وإذن فمن ساحة المسجد الى رأس القبة اثنتان وستون ذراعاً

وسقوف هذه الدكة وقبابها مكسوةبالنجارة . وكذلك الدعائم والعمـــد والحوائط وذلك بدقة يقل نظيرها . والصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل وقد أُحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد اليها .

والصخرة حجر أزرق لونه . لم يطأها أحد برجله ابداً ، وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض كأن انساناً سار عليها فبدت آثار قدمه فيها ، كما تبدو على الطين الطري . فان آثار أصابع قدمه باقية عليها . وقد بقيت عليها آثار سبع أقدام . وسمعت ان ابراهيم عليه السلام كان هناك . وكان اسماعيل طفلاً فمشى عليها وهذه هي آثار قدمه . ويقيم في بيت الصخرة هذا جماعة مـــن المجاورين والعابدين . وقد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير وغيره . وفي وسطه قنديل من الفضة معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة . وهناك قناديل كثيرة من فضة كتب عليها وزنها أمر بصنعها سلطان مصر . وقد قدرت ما هناك من الفضة بألف منّ .

ورأيت هناك أيضاً شمعة كبيرة جداً طولها سبع أذرع وقطرها ثلاثة أشبار لونها كالكافور الزباجي وشمعها مخلوط بالعنبر . ويقال ان سلطان مصر يرسل

هناك كل سنة كثيراً من الشمع ، منه هذه الشمعة الكبيرة ، ويكتب عليها اسمه بالذهب . وهذا المسجد هو ثالث بيوت الله سبحانه وتعالى ، والمعروف عند علماء الدين ان كل صلاة في بيت المقدس تساوي خمسة وعشرين ألف صلاة ، وكل صلاة في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام تعد بخمسين ألف صلاة ، وان صلاة مكة المعظمة شرفها الله تعالى تساوي مئة الف صلاة . وفق الله عزّ وجلّ عباده جميعاً لهذا الثواب .

وقد قلت ان أسقف وظهور القباب ملبسة بالرصاص وعلى جوانب البيت الأربعة أبواب كبيرة مصاريعها من خشب الصاج ، وهي مقفلة دائماً . وبعد قبة الصخرة قبة تسمى « قبة السلسلة » ، وهي السلسلة التي علقها داود عليه السلام ، والتي لا تصل اليها الا يد صاحب الحق ، أما يد الظالم والغاصب فلا تبلغها . وهذا المعنى مشهور عند العلماء . وهذه القبة محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام ، وست دعائم من الحجر . وهي مفتوحة من جميع الجوانب عدا جانب القبلة ، فهو مسدود حتى نهايته ، وقد نصب عليه محراب جميل .

وعلى هذه الدكة أيضاً قبة أخرى مقامة على أربعة أعمدة من الرخام ، وهي مغلقة من ناحية القبلة أيضاً حيث بُني محرابٌ جميل . وتسمى هذه القبة « قبة جبريل » عليه السلام . وليس فيها فرش بل ان أرضها من حجر سوّوه . ويقال ان هناك أعد « البراق » ليركبه النبي عليه السلام ليلة المعراج .

وبعد قبة جبريل قبة أخرى يقال لها « قبة الرسول » عليه الصلاة والسلام وبينهما عشرون ذراعاً . وهي مقامة على أربع دعائم من الرخام أيضاً . ويقال ان الرسول عليه الصلاة والسلام صلى ليلة المعراج في قبة الصخرة أولاً ثم وضع يده على الصخرة ، فلما خرج وقفت لجلاله ، فوضع الرسول عليه الصلاة والسلام يده عليها لتعود الى مكانها وتستقر وهي بعد نصف معلقة . وقد ذهب الرسول عليه السلام من هناك الى القبة التي تنتسب اليه وركب البراق ، وهذا سبب تعظيمها .

وتحت الصخرة غار كبير يضاء دائماً بالشمع . ويقال انه حين قامت الصخرة خلا ما تحتها ، فلما استقرت بقي هذا الجزء كما كان .

وصف المراقي

المؤدية الى الدكة التي بساحة الجامع

يُسار على هذه الدكة من ستة مواضع : لكل منها اسم ، فبجانب القبلة طريقان ، يصعد فيهما على درجات ، فاذا وقفت في وسط ضلع « الدكـــة وجدت أحدهما على اليمين ، والثاني على اليسار . والذي على اليمين يسمى مقام النبي عليه السلام ، والذي على اليسار يسمى مقام الغوري . وسُمي الأول مقام النبي لأن النبي عليه السلام صعد على درجاته الى الدكة ليلة المعراج ودخل الى قبة الصخرة . ويقع طريق الحجاز على هذا الجانب . وعرض درجاته اليوم عشرون ذراعاً ، وهي من الحجر المنحوت المنتظم ، وكل درجة قطعـــة أو قطعتان من الحجر المربع ، وهي معدة بحيث يستطيع الزائر الصعود عليها راكباً وعلى قمة هذه الدرجات أربعة أعمدة من الرخام الأخضر الذي يشبه الزمرد ، لولا أن به نقطاً كثيرة من كل لون ، ويبلغ ارتفاع كل عمود منها عشر أذرع وقطره بقدر ما يحتضن رجلان ، وعلى رأس هذه الأعمدة الأربعة ثلاثة طيقان أحدها مقابل للباب والآخران على جانبيه ، وسطح الطيقان أفقي ، من فوقه شرفات بحيث يبـــدو مربعاً ، وهـــذه العمد والطيقان منقوشة كلها بالذهب وبالمينا ليس أجمل منها . ودرابزين الدكة كله من الرخام الأخضر المنقط ، حتى لتقول ان عليه روضة ورد ناضر .

وقد أُعد مقام الغوري بحيث تكون ثلاثة سلالم على موضع واحد ، أحدها محاذ للدكة والآخران على جانبيها ، حتى يُستطاع الصعود من ثلاثة أماكن . ومن فوق هذه السلالم الثلاثة أعمدة عليها طيقان وشرفة . والدرجات بالوصف الذي ذكرت من الحجر المنحوت ، كل درجة قطعتان أو ثلاث من الحجر المستطيل . وكُتب بخط جميل بالذهب على ظاهر الأيوان : أمر به الأمير ليث

الدولة نوشتكين الغوري . ويقال انه كان تابعاً لسلطان مصر ، وهو الذي أنشأ هذه الطرق والمراقي .

وعلى الجانب الغربي للدكة سلّمان في ناحيتين منها ، وهناك طريق عظيم مشابه لما ذكرت . وكذلك في الجانب الشرقي طريق عظيم مماثل ، عليه أعمدة فوقها طيقان وشرفة يسمى المقام الشرقي . وعلى الجانب الشمالي طريق أكثر علواً وأكبر منها كلها ، به أعمدة فوقها طيقان ، يسمى المقام الشامي . وأظن انهم صرفوا على هذه الطرق الستة : مئة ألف دينار .

وفي الجانب الشمالي لساحة المسجد ، لا على الدكة ، بناء كأنه مسجد صغير يشبه الحظيرة ، وهو من الحجر المنحوت ، يزيد ارتفاع حوائطه على قامة رجل ويسمى « محراب داود » ، وبالقرب منه حجر غير مستو يبلغ قامة رجل ، وقمته تتيح وضع حصيرة صلاة عليها . ويقال أنه كرسي سليمان عليه السلام الذي كان يجلس عليه في أثناء بناء المسجد .

هذا ما رأيته في جامع بيت المقدس . وقد صورته وضممته الى مذكراتي ومن النوادر التي رأيتها في بيت المقدس شجرة الحور .

وبعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، في يوم الأربعا غرة ذي القعدة سنة ٤٣٨ (٢٠ نيسان ١٠٤٧) ، والمسافة بينهما ستة فراسخ عن طريق جنوبي به قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر بزي لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسمّاق . وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة ، تسمى « الفراديس » لجمال موقعها ، وعلى فرسخ واحد من بيت المقدس مكان للنصارى يعظمونه كثيراً ، يقيم بجانبه مجاورون دائماً ويحج اليه كثيرون اسمه « بيت لحم » . وهناك تقدم النصارى القرابين ويقصده الحجاج من بلاد الروم. وقد بلغته مساء اليوم الذي قمت فيه من بيت المقدس .

وصف قبر الخليل صلوات الله عليه

يسمي أهل الشام وبيت المقدس هذا المشهد « الخليل » ، ولا يذكرون اسم القرية التي هو فيها . قرية مطلون ، وهي موقوفة عليه مع قرى كثيرة . وفي هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر يتفجر ماؤها رويداً رويداً ، وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة الى خارج القرية ، حيث بُني حوض مغطى يصب فيه الماء فلا يذهب هباءً ، حتى يفي بحاجة أهل القرية وغيرهم من الزائرين .

والمشهد على حافة القرية من جهة الجنوب ، وهي في الجنوب الشرقي . والمشهد يتكون من بناء ذي أربع حوائط من الحجر المصقول ، طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ، وارتفاعه عشرون ، وثخانة حوائطه ذراعان . وبه مقصورة ومحراب في عرض البناء ، وبالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة ، وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل : الأيمن قبر اسحق ابن ابراهيم ، والآخر قبر زوجه عليها السلام وبينهما عشرة أذرع . وأرض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسناً . وقد رأيت هناك حصيرة صلاة ، قيل أرسلها أمير الجيوش وهو تابع الى سلطان مصر . وقد اشتريت من مصر بثلاثين ديناراً من الذهب المغربي ، ولو كانت من الديباج الرومي لما بلغت هذا الثمن . ولم أرَ مثلها في مكانٍ قط .

حين يخرج السائر من المقصورة الى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين أمام القبلة : الأيمن به قبر ابراهيم الخليل (ص) ، وهو مشهد كبير ، ومن داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله ، ولكن له أربع نوافذ يرى منها فيراه الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير ، وقد كُسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج ، والقبر من الحجر وارتفاعه ثلاث أذرع ، وعُلق فيه كثير من القناديل والمصابيح الفضية .

والمشهد الثاني الذي على يسار القبلة قبر ساره زوج ابراهيم عليه السلام ، وبين القبرين ممر عليه باباهما ، وهو كالدهليز ، وبه كثير من القناديل والمسارج

وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران، الأيمن قبر النبي يعقوب عليه السلام والأيسر قبر زوجه . وبعدهما المنازل التي اتخذها ابراهيم للضيافة ، وبها ستة قبور . وخارج الجدران الأربعة منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليه السلام ، وهو من حجر وعليه قبة جميلة . وعلى جانب الصحراء بين قبر يوسف ومشهد الخليل عليهما السلام قرافة كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة . وعلى سطح المقصورة التي في المشهد حجرات للضيوف الوافدين ، وقد وقف عليها أوقاف كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس .

وأغلب الزراعة هناك الشعير ، والقمح قليل والزيتون كثير . ويعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون. وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق . وبالمضيفة خادمات يخبزن طول اليوم . ويزن رغيفهم مناً واحداً ، ويُعطى من يصل هنا رغيفاً مستديراً وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت وزبيباً كل يوم . وهذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة . وفي بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمس مائة فتهيأ الضيافة لهم جميعاً .

ويقال انه لم يكن لهذا المشهد باب ، وكان دخوله مستحيلاً ، بل كان الناس يزورونه من الايوان في الخارج . فلما جلس المهدي على عرش مصر أمر بفتح باب فيه ، وزينه وفرشه بالسجاجيد، وأدخل على عمارته إصلاحاً كثيراً ، وباب المشهد وسط الحائط الشمالي على ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض وعلى جانبيه درجات من الحجر ، فيصعد اليه من جانب، ويكون النزول من الجانب الثاني . وقد وضع هناك باب صغير من الحديد .

ثم رجعت الى بيت المقدس ، ومن هناك سرت ماشياً مع جماعة تقصد الحجاز . وكان دليلنا رجلاً اسمه أبو بكر الهمذاني ، وهو رجل جلد يقدر على المشي ، وجهه حميل . غادرت بيت المقدس في منتصف ذي القعدة سنة ٤٣٧ (أول أيار ١٠٤٧) ، وبعد ثلاثة أيام بلغت جهة تسمى « أعز القرى » ، بها ماء جار وأشجار ، ثم بلغنا منزلاً آخر يسمى « وادي القرى » ، ومن بعده

نزلنا مكاناً ثالثاً . ثم بلغنا مكة بعد عشرة أيام . لم تحضر لمكة قافلة من أي بلد في هذه السنة ، وشح الطعام . وقد نزلت في « سكة العطارين » أمام باب النبي عليه السلام . وفي يوم الاثنين طلعت عرفات ، وكان الناس مملوئين رعباً من العرب ولما عدت من عرفات لبثت يومين بمكة ، ثم رجعت الى بيت المقدس عن طريق الشام . وبلغنا المقدس في الخامس من المحرم سنة ٣٣٩[1] (٧ يوليو ١٠٣٧) . ولا أذكر هنا وصف مكة والحج ، وسأذكر ذلك عند الكلام على الحجة الأخيرة .

كنيسة بيعة القمامة

وللنصارى في بيت المقدس كنيسة يسمونها « بيعة القمــامة » لها عندهم مكانة عظيمة . ويحج اليها كل سنة كثير من بلاد الروم ، ويزورها ملك الروم متخفياً ، حتى لا يعرفه الناس ، وقد زارها أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله فبلغ ذلك الحاكم ، فأرسل اليه أحد حراسه — بعد ان عرفه ان رجلاً بهذه الحلية والصورة يجلس في كنيسة بيت المقدس — وقال له « اذهب عنده وقل له ان الحاكم أرسلني اليك ويقول لا تحسبني أجهل أمرك ولكن كن آمناً فلن أقصدك بسوء . وقد أمر الحاكم هذا بالاغارة على الكنيسة فهدمها وخربها ، وظلت خربة مدة من الزمان . وبعد ذلك بعث القيصر اليه رسلاً ، وقدم اليه كثيراً من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة ليؤذن له باصلاح الكنيسة فقبل الحاكم وأعيد تعميرها .

وهذه الكنيسة فسيحة تسع ثمانية آلاف رجل ، وهي عظيمة الزخرف من الرخام الملون والنقوش والصور ، وهي مزدانة من الداخل بالديباج الرومي

---

(١) هذا ما وجدته مطبوعاً ، ولعل التاريخ الصحيح هو ٤٣٨ لا (٣٣٩) و (٧ يونيو ١٠٤٧) لا (٧ يوليو ١٠٣٧) حتى يصح سياق الحديث — المقتبس .

والصور ، وزينت بطلاء من الذهب . وفي أماكن كثيرة منها صورة عيسى عليه السلام راكباً حماراً ، وصور الانبياء الآخرين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وأبنائهم عليهم السلام . وهذه الصور مطلية بزيت السندروس . وقـــد غطي سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف على قدها . بحيث لا يحجب منها شيء وذلك حتى لا يصل الغبار اليها . وينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم . وهناك عدا ذاك عدة مواضع أخرى كلها مزينة ولو وصفتها لطالت كتابتي . وفي هذه الكنيسة لوحة مقسمة الى قسمين ، وعملاً لوصف الجنة والنار . فنصف يصف الجنة وأهلها ، ونصف يصف النار وأهلها ، ومن يبقى فيها .وليس لهذه الكنيسة نظير في أية جهة من العالم . ويقيم بها كثير من القسس والرهبان ، يقرأون الانجيل ويصلون ويشتغلون بالعبادة ليل نهار » .

سفر نامه — ترجمة الدكتور يحيى الخشاب

الارض المقدسة

في رحلة ابن جبير

ابن جبـــير

هو محمد بن احمد بن جبير الاندلسي وهو احد رجالات العلم تدل عليه رحلته التي قام بها الى الشرق وحج بيـت الله ولم يقع له ان يزور بيـت المقدس لوقوعها يومذاك بيد الجيوش الصليبية ؛ وكانت ولادته سنة ٥٣٩ هـ ووفاته سنة ٦١٤ اما زمن الرحلة فقد كان بين سنة ٥٧٨ هـ وسنة ٥٨١ بعد ان قضى ثلاث سنوات مطوفاً ، وعلى انه لم يزر بيت المقدس فان رحلته لم تخل من ذكر الارض المقدسة وبيت المقدس واطرافها مما يستدعيه الحديث . وقد استخرجنا منها الشذرات .

القدس وبيت المقدس

« وطول مسجد بيت المقدس – أعاده الله للاسلام – سبع مئة وثمانون ذراعاً ، وعرضه اربع مئة وخمسون ذراعاً ، وسواريه اربع مئة واربع عشرة سارية . وقناديله خمس مئة . وابوابه خمسون باباً ، فيكون تكسيره من المراجع المذكورة مئة مرجع واربعين مرجعاً وخمسي مرجع » .

ص ٨١ دار صادر ودار بيروت

« وفي داخل البلد – يريد به دمشق – كنيسة لها عند الروم شأن عظيم ، تعرف بكنيسة مريم . ليس بعد بيت المقدس عندهم افضل منها وهي حفيلة البناء ... »

ص ٢٥٥ دار صادر ودار بيروت

« ومن اعجب ما يحدث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى . وربما يلتقي الجمعان ويقع المُصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم . شاهدنا في هذا الوقت الذي هو شهر جمادى الاولى . من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن (الكرك) وهو من اعظم حصون النصارى ، وهو المعترض في طريق الحجاز . والمانع لسبيل المسلمين على البر ، بينه وبين (القدس) مسيرة يوم او أشف قليلاً . وهو سرارة ارض فلسطين – اي اطيب اراضيها – وله نظر عظيم الاتساع . متصل العمارة . يذكر انه ينتهي الى اربع مئة قرية . »

ص ٢٦٠ دار صادر ودار بيروت

« ويقال : انه ما على ظهر المعمور اعجب منظراً ، ولا ابعد سمواً ، ولا أغرب بنياناً من هذه القبة – يريد بها قبة الرصاص القائمة وسط الجامع المكرم

بدمشق — الا ما يحكى عن قبة (بيت المقدس) فانها يحكى انها ابعد في الارتفاع والسمو من هذه . وجملة الأمر ان منظرها والوقوف على هيئة وضعها وعظيم الاستقدار فيها عند معانيها بالصعود اليها والولوج داخلها من اغرب ما يحدّث به من عجائب الدنيا ، والقدرة لله الواحد القهار لا إله سواه » .

ص ٢٦٧ دار صادر ودار بيروت

وهو يتحدث عن عكة يقول : « وعلى بادية طبرية اختلاف القوافل من دمشق لسهولة طريقها ، ويقصد بقوافل البغال على (تبنين) لوعورتها وقصد طريقها ، وبحيرة طبرية مشهورة ، وهي ماء عذب ، وسعتها نحو ثلاثة فراسخ او اربعة ، وطولها نحو ستة فراسخ ، والاقوال فيها تختلف وهذا القول اقربها الى الصحة ، لانا لم نعاينها وعرضها ايضاً مختلف سعة وضيقاً ، وفيها قبور كثيرة من قبور الانبياء صلوات الله عليهم . كشعيب ، وسليمان ، ويهوذا ، وروبيل ، وابنة شعيب زوج الكليم موسى وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، وجبل الطور منها قريب ،

وبين عكة وبيت المقدس ثلاثة أيام ، وبين دمشق وبينه مقدار ثمانية ايام ، وهو بين المغرب والقبلة من عكة الى جهة الاسكندرية ، والله يعيده الى ايدي المسلمين ، ويطهره من ايدي المشركين ، بعزته وقدرته » .

ص ٢٨٢ دار صادر ودار بيروت

الارض المقدسة

في معجم البلدان

ياقوت الحموي

هو ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي اخذ اسيراً – ولم يزل صغيراً – من بلاد الروم وبيع فاشتراه تاجر حموي فحمل لقبه ؛ وقد اتيح لياقوت ان يقرأ وأن يتتبـــع وقد استعمله مالكه – وهو تاجر – للسفر بشأن تجارته فافاد من الاسفار شيئاً كثيراً ولقد عاش مدة من استنساخ الكتب فزاد ذلك من علمه وفضله واطلاعه ، وقد الف عدداً من الكتب لا تزال اليوم من اهم مراجع الادب ومراجع الجغرافيا ومن هذه الكتب كتاب معجم البلدان الذي ننقل منه بعض ما ورد عن الارض المقدسة وقد توفي سنة ٦٢٦ ﻫ اما تاريخ ولادته فهو مجهول عند المؤرخين .

ايليـــاء

وفي اسم ايلياء (بيت المقدس) يقول ياقوت :

« بكسر اوله واللام ، وياء ، والف محدودة : اسم مدينة بيت المقدس ، قيل معناه : بيت الله ، وحكى الحفصي : فيه القصر وفيه لغة ثالثة ، حذف الياء الاولى فيقال (إلياء) بسكون اللام والمد ، قال ابو علي : وقد سمي البيت المقدس ايلياء بقول الفرزدق

وبيتان بيتُ الله نحنُ وُلاتُـــه وقصرٌ بأعلى إيلياءَ مُشرَّفُ

فايلياء : الهمزة في اولها فاء لتكون بمنزلة الجربياء والكبرياء ، والياء التي بعد الهمزة لا تخلو من ان تكون منقلبة من الهمزة على هذا القول ، لان الهمزتين اذا لم تجتمعا حيث يكثر التضعيف نحو شددت ورددت ، فان لم تجتمعا حيث يقل التضعيف أجدر ، ألا ترى ان باب دَودَن وكوكب من القلة بحيث لا نسبة له الى باب رددت ، ولم تجتمع الهمزتان فيه كما اجتمع سائر حروف الحلق في هذا الباب في قلة مهاه والبعاع ، والبعّة ، ولجّ ، وسجّ ، ونجّ ، وان جعلتهما من الياء كان من لفظة قولهم في اسم البلد أيلة ، هذا ان كان فَعْلة ، وان كان مثل ميتة أمكن ان تكون من الواو ، ومما جاء على لفظة من الفاظ العرب الأيّل ، وهو فِعّل مثل الهيّخ في الزنه ، وكون العين ياء ومن بنائه الإمّر ولد الضائن ، والقِنّف ، وقالوا للبرّاق الإلّق . وللقصير دِنّب ، ومجيء البناء في الاسم والصفة ، يدل على قوته ، فان قيل : هل يجوز ان تكون إيلياء إفعلال فتكون الهمزة ليست بأصل كما كانت اصلاً في الوجه الاول ؟ فالقول في ذلك : انا لا نعلم هذا الوزن جاء في شيء واذا لم يجيء في شيء لم يسع حمل الكلمة عليه ، ولو جاء منه شيء لأمكن ان تكون الياء الاولى منقلبة عن الواو او منقلبة عن الهمزة كالايمان ونحوه ، ولم يجز ان يكون انقلابها عن

الياء لانه لم يجيء من نحو سَلِسَ في الياء الا يَدَيتُ وأيدَيْتُ ، وقيل : انما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو دمشق ، وحمص ، وأردن ، وفلسطين ! ! قال بعض الاعراب :

فلو ان طيراً كُلّفتْ مثلَ سَيرِهِ الى واسطٍ ، من ايلياء لَكلّتِ
سما بالمهارى من فلسطين بعدَ ما دنا الفيء من شمس النهار فَولّتِ
فما غاب ذاك اليومُ حتى أناخَها بميسانَ قد حُلّتْ عُراها وكلّتِ
كأن قُطامياً من الرحل طاوياً اذا غمرة الظلماء عنه تجلّتِ »

حرف الألف والياء – دار صادر ودار بيروت

المقدس

المقدس : في اللغة : المنزه ، قال المفسرون في قوله تعالى : ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، قال الزجاج : معنى نقدس لك اي نطهر أنفسنا لك وكذلك نفعل بمن اطاعك نقدسه اي نطهره ، قال ومن هذا قيل للسطل القَدَس لانه يتقدس منه اي يتطهر . قال : ومن هذا بيت المقدس ، كذا ضبطه بفتح اوله وسكون ثانيه وتخفيف الدال وكسرها ، اي البيت المقدّس المطهّر الذي يتطهر به من الذنوب قال مروان :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها   ان كنت تاركَ ما أمرتك فاجلس
ودع المدينـــة انهـــا محذورة   والحقْ بمكة او ببيت المقدس

وقال قتادة : المراد بارض المقدس اي المبارك واليه ذهب ابن الاعرابي ، ومنه قيل للراهب مقدس ، ومنه قول امرىء القيس

فادركنــه يأخذن بالساق والنسا   كما شبرق الولدان ثوب المقدس

وصبيان النصارى يتبركون به وبمسح مسحه الذي هو لابسه وأخذ خيوطه منه حتى يتمزق عنه ثوبه ، وفضائل بيت المقدس كثيرة ولا بد من ذكر شيء منها حتى يستحسنه المطلع عليه ، قال مقاتل بن سليمان : قوله تعالى : ونجيناه ولوطاً الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ، قال هي بيت المقدس ، وقوله تعالى لبني اسرائيل : وواعدناكم جانب الطور الايمن ، يعني بيت المقدس ، وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ، قال البيت المقدس ، وقال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى : هو بيت المقدس ، وقوله تعالى : في بيوت أذن الله ان ترفع

ويذكر فيها اسمه ؛ البيت المقدس ، وفي الخبر : من صلّى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء ، ورفع الله عيسى بن مريم الى السماء من بيت المقدس ، وفيه مهبطه اذا هبط وتزف الكعبة بجميع حجاجها الى البيت المقدس يقال لها مرحباً بالزائر والمزور ، وتزف جميع مساجد الارض الى البيت المقدس ، أول شيء حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس وفيه ينفخ في الصور يوم القيامة وعلى صخرته ينادي المنادي يوم القيامة وقد قال الله تعالى لسليمان ابن داود عليهما السلام حين فرغ من بناء البيت المقدس : سلني أعطك ، قال يا رب أسألك ان تغفر لي ذنبي ، قال : لك ذلك ، قال يا رب واسألك ان تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولد ، قال : لك ذلك ، قال وأسألك من جاء فقيراً أن تغنيه ، قال : لك ذلك ، قال واسألك من جاء سقيماً أن تشفيه ، قال ولك ذلك .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد البيت المقدس ، وإن الصلاة في بيت المقدس خير من الف صلاة في غيره . واقرب بقعة في الارض من السماء البيت المقدس ، ويمنع الدجّال من دخولها ، ويهلك يأجوج ومأجوج دونها ! ! وأوصى آدم عليه السلام ان يدفن بها ! وكذلك اسحاق ، وابراهيم وحمل يعقوب من ارض مصر حتى دفن بها ، واوصى يوسف عليه السلام حين مات بارض مصر ان يحمل اليها وهاجر ابراهيم من كوثى اليها ،واليها المحشر ومنها المنشر ، وتاب الله على داود بها ، وصدق ابراهيم الرؤيا بها ، وكلّم الناس عيسى في المهد بها ، وتقاد الجنة يوم القيامة اليها ومنها يتفرق الناس الى الجنة او الى النار ، وروي عن كعب ان جميع الانبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيماً له ، وروى عن كعب انه قال ، لا تسموا بيت المقدس ايلياء ولكن سموه باسمه فان ايلياء امرأة بنت المدينة ، وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما فرغ سليمان من بناء بيت

المقدس سأل الله حكماً يوافق حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله ذلك .

وعن ابن عباس قال : البيت المقدس بنته الانبياء ، وسكنته الانبياء ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه مَلَك ، وعن ابي ذر قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اي مسجد وضع على وجه الارض اولاً ؟ قال المسجد الحرام قلت : ثم اي ؟ قال البيت المقدس وبينهما اربعون سنة .

وروي عن أبيّ بن كعب قال : اوحى الله تعالى الى داود ابن لي بيتاً قال يا رب واين من الارض ؟ قال حيث ترى المَلَك شاهراً سيفه ، فرأى داود مَلَكاً على الصخرة واقفاً وبيده سيف .

وعن الفضيل بن عياض قال : لما صُرفت القبلة نحو الكعبة قالت الصخرة : إلهي لم ازل قبلة لعبادك حتى اذا بعثت خير خلقك صرفت قبلتهم عني ، قال ابشري فاني واضع عليك عرشي وحاشر اليك خلقي ، وقاض عليك أمري وناشر منك عبادي .

وقال كعب : من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة ، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأعطي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ، ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار ، وقال كعب : معقل المؤمنين ايام الدجال البيت المقدس يحاصرهم فيه حتى يأكلوا اوتار قسيّهم من الجوع . فبينما هم كذلك اذسمعوا صوتاً من الصخرة فيقولون هذا صوت رجل شبعان ، فينظرون فاذا عيسى بن مريم عليه السلام ، فاذا رآه الدجال هرب منه فيتلقاه بباب لُدّ فيقتله .

وقال ابو مالك القرظي في كتاب اليهود الذي لم يغيّر ان الله تعالى خلق الارض فنظر اليها وقال : انا واطىء على بقعتك ، فشمخت الجبال ،

وتواضعت الصخرة فشكر الله لها وقال : هذا مقامي ، وموضع ميزاني ، وجنّتي وناري ، ومحشر خلقي ، وانا ديّان يوم الدين .

وعن وهب بن منبّه قال : أمر اسحاق ابنه يعقوب ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين ، وان ينكح من بنات خاله لابان ابن تاهُر بن أزر وكان مسكنه فلسطين فتوجه اليها يعقوب وادركه في بعض الطريق الليل فبات متوسداً حجراً فرأى فيما يرى النائم كأن سلّماً منصوباً إلى باب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه ، واوحى الله اليه : اني انا الله لا إله الا انا إلاهك وإلاه آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، وقد ورّثتك هذه الارض المقدسة ، وذريتك من بعدك ، وباركت فيك وفيهم ، وجعلت فيكم الكتاب والحكمة والنبوة ثم انا معك حتى تدرك الى هذا المكان فاجعله بيتاً تعبدني فيه انت وذريتك ، فيقال انه بيت المقدس ، فبناه داود وابنه سليمان ثم أخربته الجبابرة بعد ذلك فاجتاز به شعيا ، وقيل عزير عليهما السلام فرآه خراباً فقال : أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ؟ فاماته الله مائة عام ثم بعثه ، كما قص عز وجل في كتابه الكريم ، ثم بناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك ، وكان قد اتخذ سليمان في بيت المقدس اشياء عجيبة ، منها القبة التي فيها السلسلة المعلقة ينالها صاحب الحق ولا ينالها المبطل حتى اضمحلت بحيلة غير معروفة ، وكان من عجائب بنائه أنه بنى بيتاً وأحكمه وصقله فاذا دخله الفاجر والورع تبين الفاجر من الورع ، لأن الورع كان يظهر خياله في الحائط ابيض ، والفاجر يظهر خياله أسود وكان ايضاً مما اتخذ من الاعاجيب ان ينصب في زاوية من زواياه عصا آبنوس فكان من مسّها من اولاد الانبياء لم تضرّه ومن مسها من غيرهم أحرقت يده ، وقد وصفها القدماء بصفات إن استقصيتها أمللتُ القارىء ، والذي شاهدته أنا منها ان ارضها وضياعها وقراها كلها جبال شامخة وليس حولها ولا بالقرب منها ارض وطئة البتة وزروعها على الجبال واطرافها بالفؤوس لان الدواب لا صنع لها هناك ، واما نفس المدينة فهي على فضاء في وسط تلك الجبال وارضها كلها حجر من

الجبال التي هي عليها وفيها اسواق كثيرة ، وعمارات حسنة ، واما الاقصى فهو في طرفها الشرقي نحو القبلة ، أساسه من عمل داود عليه السلام ، وهو طويل عريض وطوله اكثر من عرضه ، وفي نحو القبلة المصلى الذي يخطب فيه للجمعة وهو على غاية الحسن والاحكام مبنيّ على الاعمدة الرخام الملونة والفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها لا جامع دمشق ولا غيره ، وفي وسط صحن هذا الموضع مصطبة عظيمة في ارتفاع نحو خمس اذرع كبيرة يصعد اليها الناس من عدة مواضع بدرج ، وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة على اعمدة رخام مسقفة برصاص منمقة من براً وداخل بالفسيفساء مطبقـة بالرخام الملون قائم ومسطح ، وفي وسط هذا الرخام قبة أخرى وهي قبة الصخرة التي تزار وعلى طرفها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحتها مغارة ينزل اليها بعدّة درج مبلطة بالرخام قائم ونائم يصلّي فيها وتزار ، ولهذه القبة اربعة ابواب ، وفي شرقيها برأسها قبة اخرى على اعمدة مكشوفة حسنة مليحة يقولون انها قبة السلسلة ، وقبة المعراج ايضاً على حائط المصطبة . وقبة النبي داود عليه السلام ، كل ذلك على اعمدة مطبق اعلاها بالرصاص ، وفيها مغاور كثيرة ومواضع يطول عددها مما يزار ويتبرك به ، ويشرب اهل المدينة من ماء المطر ، ليس فيها دار الا وفيها صهريج لكنها مياه ردية اكثرها يجتمع من الدروب وان كانت دروبهم حجارة ليس فيها ذلك الدنس الكثير . وبها ثلاث برك عظام ، بركة بني اسرائيل وبركة سليمان عليه السلام وبركة عياض عليها حمّاماتهم ، وعين سلوان في ظاهر المدينة في وادي جهنم مليحة الماء ، وكان بنو أيوب قد احكموا سورها ثم خرّبوه على ما نحكيه بعد . وفي المثل :

« قتل أرضا عالمها وقتلت ارض جاهلها »

هذا قول ابي عبد الله محمد بن احمد بن البناء البشاري المقدسي ، له كتاب في اخبار بلدان الاسلام ، وقد وصف بيت المقدس فأحسن ، فالأولى ان نذكر قوله لأنه أعرف ببلده وان كان قد تغير بعده بعض معالمها قال : هي متوسطة

الحر والبرد قلّ ما يقع فيها ثلج ، قال : وسألني القاضي ابو القاسم عن الهواء بها فقلت : سجسج لا حرّ ولا برد ، فقال : هذه صفة الجنة ، قلت : بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أنفس منه ولا أعفّ من اهلها ولا أطيب من العيش بها ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ، ولا اكثر من مشاهدها ، وكنت يوماً في مجلس القاضي المختار ابي يحيي بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر الى أن سئلت : اي بلد أجلّ ؟ قلت : بلدنا قيل : فأيهما اكبر ؟ قلت : بلدنا ، فتعجب اهل المجلس من ذلك وقيل : انت رجل محصّل وقد ادعيت ما لا يقبل منك وما مثلك الا كصاحب الناقة مع الحجاج ، قلت : اما قولي أجلّ فلأنها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها ، ومن كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها ، واما طيب هؤلاء فانه لا سمّ لبردها ولا أذى لحرها ، واما الحسن فلا يرى أحسن من بنيانها ولا انظف منها ولا أنزه من مسجدها ، واما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الاغوار والسهل والجبل والاشياء المتضادة كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز ، واما الفضل فهي عرصة القيامة ومنها النشر واليها الحشر ، وانما فضلت مكة بالكعبة والمدينة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويوم القيامة تزفان اليها فتحوي الفضل كله ، واما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون اليها فأي أرض اوسع منها ؟ فاستحسنوا ذلك وأقروا به ، قال : الا ان لها عيوباً ، يقال إن في التوراة مكتوباً بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب ، ثم لا ترى أقذر من حمّاماتها ، ولا أثقل مؤنة ، وهي مع ذلك قليلة العلماء كثيرة النصارى ، وفيهم جفاء ، وعلى الرحبة والفنادق ضرائب ثقال ، وعلى ما يباع فيها رجّالة ، وعلى الابواب اعوان فلا يمكن احداً ان يبيع شيئاً مما يرتفق به الناس الا بها مع قلة يسار ، وليس للمظلوم انصار ، فالمستور مهموم ، والغني محسود والفقيه مهجور ، والاديب غير مشهور ، ولا مجلس نظر ، ولا تدريس ، قد غلب عليها النصارى واليهود ، وخلا المجلس من الناس والمسجد من الجماعات ، وهي

اصغر من مكة واكبر من المدينة ، وعليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق ، ولها ثمانية ابواب حديد : باب صهيون ، وباب النية ، وباب البلاط ، وباب جب أرميا ، وباب سلوان ، وباب أريحا ، وباب العمود ، وباب محراب داود عليه السلام ، والماء بها واسع ، ليس ببيت المقدس اكثر من الماء والأذان ، قل ان يكون بها دار ليس بها صهريج او صهريجان او ثلاثة على قدر كبرها وصغرها ، وبها ثلاث برك عظام : بركة بني اسرائيل ، وبركة سليمان ، وبركة عياض ، عليها حماماتهم لها دواع من الازقة ، وفي المسجد عشرون جُبّاً مشجرة قل ان تكون حارة ليس بها جبّ مسيل، غير ان مياهها من الأزقة،وقد عمد الى واد فجعل بركتين تجتمع اليهما السيول في الشتاء ، وقد شق منهما قناة الى البلد تدخل وقت الربيع فتدخل صهاريج الجامع وغيرها ، وأما المسجد الاقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة ، أساسه من عمل داود ، طول الحجر عشر اذرع وأقل منقوشة موجهة مؤلفة صلبة ، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان ، وشرفوه ، وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في ايام بني العباس فطرحته الا ما حول المحراب ، فلما بلغ الخليفة خبره أراد رده مثلما كان فقيل له : تعيا ولا تقدر على ذلك ، فكتب الى أمراء الاطراف والقوّاد يأمرهم ان يبني كل واحد منهم رواقاً ، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان ، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهي الى حذاء الاعمدة الرخام ، وما كان من الاساطين المشيدة فهو محدث ، وللمعطى ستة وعشرون باباً : باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الاعظم مصفح بالصفر المذهب لا يفتح مصراعه الا رجل شديد القوة عن يمينه سبعة ابواب كبار في وسطها باب مصفّح مذهّب وعلى اليسار مثلها ، وفي نحو المشرق احد عشر باباً سواذج وخمسة عشر رواقاً على اعمدة رخام أحدثها عبد الله بن طاهر ، وعلى الصحن من الميمنة اروقة على اعمدة رخام وأساطين ، وعلى المؤخر أروقة ازاج من الحجارة ، وعلى وسط المغطى جمل

عظيم خلف قبة حسنة ، والسقوف كلها الا المؤخر ملبسة بشقاق الرصاص ، والمؤخر مرصوف بالفسيفساء الكبار ، والصحن كله مبلط ، وفي وسط الرواق دكة مربعة مثل مسجد يثرب يصعد اليها من اربع جهاتها بمراق واسعة ، وفي الدكّة اربع قباب : قبة السلسلة وقبة المعراج وقبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه الثلاث الصغار ملبسة بالرصاص على اعمدة رخام مكشوفة ، وفي وسط الدكة قبة الصخرة على بيت مثمن باربعة ابواب. كل باب يقابل مرقاة من مراقي الدكة ، وهي : الباب القبلي ، وباب اسرافيل ، وباب الصور وباب النساء ، وهو الذي يفتح الى المغرب . جميعها مذهبة في وجه كل واحد باب مليح من خشب التنوب ، وكانت قد أمرت بعملها أمّ المقتدر بالله ، وعلى كل باب صفة مرخمة والتنوبية مطبقة على الصفرية من خارج ، وعلى ابواب الصفات ابواب ايضاً سواذج داخل البيت ثلاثة اروقة دائرة على اعمدة معجونة أجل من الرخام وأحسن لا نظير لها قد عقدت عليه اروقة لاطئة داخلة في رواق آخر مستدير على الصخرة على اعمدة معجونة بقناطر مدورة فوق هذه منطقة متعالية في الهواء فيها طاقات كبار والقبة فوق المنطقة طولها غير القاعدة الكبرى مع السّفّود في الهواء مائة ذراع ترى من البعد فوقها سفود حسن طوله قامة وبسطة ، والقبة على عظمها ملبسة بالصفر المذهب وارض البيت مع حيطانه ، والمنطقة من داخل وخارج على صفة جامع دمشق ، والقبة ثلاث سافات ، الاولى مروّقة على الالواح ، والثانية من اعمدة الحديد ، قد شبكت لئلا تميلها الرياح ، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح وفي وسطها طريق الى عند السفود يصعد منها الصنّاع لتفقدها ورمّها فاذا بزغت عليها الشمس اشرقت القبة وتلألأت المنطقة ورؤيت شيئاً عجيباً ، وعلى الجملة لم أر في الاسلام ولا سمعت ان في الشرك مثل هذه القبة ، ويُدخل المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً منها : باب الحطّة . وباب النبي ، عليه الصلاة والسلام . وباب محراب مريم . وباب الرحمة . وباب بركة بني اسرائيل . وباب الاسباط . وباب الهاشميين . وباب الوليد . وباب ابراهيم عليه السلام .

وباب امّ خالد ، وباب داود ، عليه السلام ، وفيه من المشاهد محراب مريم وزكريا ويعقوب والخضر ومقام النبي صلى الله عليه وسلم ،وجبرائيل وموضع المنهل والنور والكعبة ، والصراط متفرقة فيه وليس على الميسرة اروقة ، والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقي وانما ترك هذا البعض لسببين : احدهما قول عمر : واتخذوا في غربي هذا المسجد مصلّى للمسلمين ، فتركت هذه القطعة لئلا يخالف ، والآخر لو مدّ المغطى الى الزاوية لم تقع الصخرة حذاء المحراب فكرهوا ذلك والله اعلم .

وطول المسجد الف ذراع بالذراع الهاشمي ، وعرضه سبعمائة ذراع ، وفي سقوفه من الخشب اربعة آلاف خشبة ، وسبعمائة عمود رخام ، وعلى السقوف خمسة واربعون الف شقة رصاص ، وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعاً في سبعة وعشرين ، وتحت الصخرة مغارة تزار ويصلّى فيها تسع مائة وستين نفساً ، وكانت وظيفة كل شهر مائة دينار ، وفي كل سنة ثمانمائة الف ذراع حصراً ، وخدامه مماليك له اقامهم عبد الملك من خمس الاسارى ، ولذلك يسمون الاخماس لا يخدمه غيرهم ولهم نُوبٌ يحفظونها ، وقال المنجمون : المقدس طوله ست وخمسون درجة ، وعرضه ثلاث وثلاثون درجة ، في الاقليم الثالث ، واما فتحها في اول الاسلام الى يومنا هذا فان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنفذ عمرو بن العاص الى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع عليه فقدم ابو عبيدة بن الجراح بعد ان فتح قنسرين وذلك في سنة ١٦ للهجرة فطلب اهل بيت المقدس من ابي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على ان يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب ، فكتب ابو عبيدة بذلك الى عمر فقدم عمر ونزل الجابية من دمشق ثم صار الى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم به كتاباً وكان ذلك في سنة ١٧ ، ولم تزل على ذلك بيد المسلمين والنصارى من الروم والافرنج والارمن وغيرهم من سائر اصنافهم يقصدونهـــا للزيارة الى بيعتهم المعروفة بالقُمامة وليـــس لهم في

الارض أجلّ منها ، حتّى انتهت الى ان ملكها سلمان بن أرتق واخوه ايلغازي جدّ هولاء الذين بديار بكر صاحب ماردين وآمد ، والخطبة فيها تقام لبني العباس ، فاستضعفهم المصريون وارسلوا اليهم جيشاً لا طاقة لهم به وبلغ سُكمان وأخاه خبر ذلك فتركوها من غير قتال وانصرفوا نحو العراق ، وقيل : بل حاصروها ونصبوا عليها المجانيق ثم سلموها بالامان ورجع هولاء الى نحو المشرق ، وذلك في سنة ٤٩١ واتفق ان الافرنج في هذه الايام خرجوا من وراء البحر الى الساحل فملكوا جميع الساحل او اكثره وامتدوا حتّى نزلوا على البيت المقدس فاقاموا عليها نيفاً واربعين يوماً ثم ملكوها من شماليها من ناحية باب الاسباط عنوةً في اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ ووضعوا السيف في المسلمين اسبوعاً والتجأ الناس الى الجامع الاقصى فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين الفاً من المسلمين ، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً واربعين قنديلاً فضة كل واحد وزنه ثلاثة الاف وستمائة درهم فضة ، وتنّور فضة وزنه اربعون رطلاً بالشامي واموالاً لا تحصى ، وجعلوا الصخرة والمسجد الاقصى مأوى لخنازيرهم ، ولم يزل في ايديهم حتّى استنقذه منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٨٣ بعد احدى وتسعين سنة أقامها في يد الافرنج وهي الآن في يد بني أيوب والمستولي عليهم الآن منهم الملك المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب ، وكانوا قد احكموا سوره وعمروه وجودوه فلما خرج الافرنج في سنة ٦١٦ وتملكوا دمياط استظهر الملك المعظم بخراب سوره وقال : نحن لا نمنع البلدان بالأسوار انما نمنعها بالسيوف والاساورة ، وهذا كاف في خبرها وليس كل ما اجده اكتبه ولو فعلت ذلك لم يتسع لي زماني ، وفي المسجد اماكن كثيرة واوصاف عجيبة لا تتصور الا بالمشاهدة عياناً ، ومن اعظم محاسنه انه اذا جلس انسان فيه في اي موضع منه يرى ان ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها . ولذا قيل ان الله نظر اليه بعين الجمال ونظر الى المسجد الحرام بعين الجلال .

أهيم بقاعِ القُدسِ ماهبّت الصّبا فتلك رباعُ الأنس في زمن الصبا
وما زلتُ في شوقي اليها مواصلاً سلامي على تلك المعاهد والرُبى

والحمد لله الذي وفقني لزيارته ، وينسب الى بيت المقدس جماعة من العباد الصالحين والفقهاء منهم :

نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن داود ابو الفتح المقدسي الفقيه الشافعي الزاهد ، أصله من طرابلس وسكن بيت المقدس ودرّس بها وكان قد سمع بدمشق من ابي الحسن السمسار وابي الحسن محمد بن عوف وابن سعدان وابن شكران وابي القاسم وابن الطبري ، وسمع بآمد هبة الله بن سليمان وسليم بن أيّوب بصور وعليه تفقّه وعلى محمد بن البيان الكازروني ، وروى عنه ابو بكر الخطيب وعمر بن عبد الكريم الدهستاني . وابو القاسم النسيب ، وابو الفتح نصر الله اللاذقي وابو محمد بن طاووس وجماعة ، وكان قدم دمشق في سنة ٧١ في نصف صفر ثم خرج الى صور واقام بها نحو عشر سنين ثم قدم دمشق سنة ٨٠ فاقام بها يحدث ويدرّس الى ان مات ، وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً أقام بدمشق ولم يقبل لأحد من اهلها صلة ، وكان يقتات من غلة تحمل اليه من أرض كانت له بنابلس وكان يخبز له منها كل يوم قرص في جانب الكانون . وكان متقللاً متزهداً عجيب الأمر في ذلك وكان يقول : درست على الفقيه سليم من سنة ٣٧ الى سنة ٤٠ ، ما فاتني فيها درس ولا إعادة ولا وجعتُ الا يوماً واحداً وعوفيت . وسئل كم في ضمن التعليقة الّتي صنفها من جزء ؟ فقال نحو ثلثمائة جزء وما كتبت منها حرفاً وانا على غير وضوء . او كما قال . وزاره تاج الدولة تُتُش بن ألب ارسلان يوماً فلم يقم اليه وسأله عن أحلّ الاموال السلطانية فقال : اموال الجزية . فخرج من عنده وارسل اليه بمبلغ من المال وقال له : هذا من مال الجزية ، ففرّقه على الاصحاب ولم يقبله وقال : لا حاجة بنا اليه ، فلما ذهب

الرسول لامته الفقيه ابو الفتح نصر الله بن محمد وقال له : قد علمت حاجتنا اليه فلو كنت قبلته وفرّقته فينا . فقال : لا تجزع من فوته فلسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد فكان كما تفرّس فيه ، وذكر بعض اهل العلم قال : صحبت أبا المعالي الجويني بخراسان ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا اسحق الشيرازي فكانت طريقته عندي افضل من طريقة الجويني ثم قدمت الشام فرأيت الفقيه أبا الفتح فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعاً ، وتوفي الشيخ ابو الفتح يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة ٤٩٠ بدمشق ودفن بباب الصغير ولم تر جنازة أوفر خلقاً من جنازته . رحمه الله تعالى .

ومحمد بن طاهر بن علي بن احمد ابو الفضل المقدس الحافظ ويعرف بابن القيسراني . طاف في طلب الحديث وسمع بالشام وبمصر والعراق وخراسان والجبل وفارس وسمع بمصر من الجبّائي وابي الحسن الخلعي ، قال : وسمعت ابا القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول : أحفظ من رائية محمد بن طاهر ما هو هذا :

الى كم أمنّي النفس بالقرب واللقا ... بيوم الى يوم وشهر الى شهر
وحتّى مَ لا أحظى بوصل أحبتي ... وأشكو اليهم ما لقيت من الهجر
فلو كان قلبي من حديد أذابَه ... فراقُكُم او كان من صالب الصخر
ولما رأيت البين يزداد والنوى ... تمثلت بيتاً قيل في سالف الدهر :
متى يستريح القلبُ والقلب متعبٌ ... ببين على بين وهجر على هجر

قال الحافظ : سمعت أبا العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني الحافظ ببغداد يذكر ان أبا الفضل ابتلى بهوى امرأة من اهل الرستاق كانت تسكن قرية على ستة فراسخ فكان يذهب كل ليلة فيرقبها فيراها تغزل في ضوء السراج ثم يرجع الى همذان فكان يمشي كل يوم وليلة اثني عشر فرسخاً ، ومات ابن طاهر ودفن عند القبر الذي على جبلها يقال له قبر رابعة العدوية وليس هو

بقبرها انما قبرها بالبصرة ، واما القبر الذي هناك فهو قبر رابعة زوجة احمد ابن ابي الحواري الكاتب وقد اشتبه على الناس » .

المقدس – دار صادر ودار بيروت

المقدّسة

« فهي الأرض المقدسة اي المباركة النزهة ، قيل هي دمشق وفلسطين ، وبعض الاردن ، وبيت المقدس منه »

المقدس – دار صادر ودار بيروت

الخليل

« الخليل : اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس ، بينهما مسيرة يوم ، فيه قبر الخليل ابراهيم عليه السلام ، في مغارة تحت الارض ، وهناك مشهد وزوار وقوّام في الموضع ، وضيافة للزوار ، وبالخليل سمي الموضع ، واسمه الاصلي حبرون وقيل حبرى ، وفي التوراة : ان الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحيثي موضعاً باربعمائة درهم فضة ودفن فيه سارة ، وقد نسب اليه قوم من اصحاب الحديث ، وهو موضع طيب ، نزه رَوحٌ ، أثر البركة ظاهر عليه ، ويقال ، ان حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام .

وقال الهروي : دخلت القدس في سنة ٥٦٧ واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بمشايخ حدثوني ان في سنة ٥١٣ في ايام الملك بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل اليها جماعة من الفرنج باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، وقد بليت اكفانهم وهم مستندون الى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ، ورؤوسهم مكشوفة ، فجدد الملك اكفانهم ثم سدّ الموضع ، قال وقرأت على السلفى ان رجلاً يقال له الارمني قصد زيارة الخليل وأهدى لقيّم الموضع هدايا جمّة وسأله ان يمكنه من النزول الى جثة

ابراهيم عليه السلام ، فقال له : اما الآن فلا يمكن لكن اذا أقمت الى ان ينقطع الجثل وينقطع الزوار فعلت ، فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك واخذ معه مصباحاً ونزل في نحو سبعين درجة الى مغارة واسعة والهواء يجري فيها وبها دكة عليها ابراهيم عليه السلام ملقى وعليه ثوب اخضر والهواء يلعب بشيبته !! والى جانبه اسحاق ويعقوب ، ثم أتى به الى حائط المغارة فقال له : ان سارة خلف هذا الحائط فهمّ ان ينظر الى ما وراء الحائط فاذا بصوت يقول : اياك والحرم !! قال : فعدوت من حيث نزلت » .

حرف الحاء – دار صادر ودار بيروت

عسقلان

« بفتح اوله ، وسكون ثانيه ثم قاف ، وآخره نون ، وعسقلان في الاقليم الثالث من جهة المغرب خمس وخمسون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون وهي اسم اعجمي فيما علمت وقد ذكر بعضهم ان العسقلان أعلى الرأس فان كانت عربية فمعناه انها في أعلى الشام ، وهي مدينة بالشام من اعمال فلسطين على ساحل البحرين بين غزة وبيت جبرين ، ويقال لها عروس الشام ، وكذلك يقال لدمشق ايضاً ، وقد نزلها جماعة من الصحابة ، والتابعين ، وحدث بها خلق كثير ، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الافرنج خذلهم الله في السابع والعشرين من جمادى الاخرة سنة ٥٤٨ وبقيت في ايديهم خمساً وثلاثين سنة الى ان استنقذها صلاح الدين يوسف بن ايوب منهم في سنة ٥٨٣ ثم قوي الافرنج وفتحوا عكة وساروا نحو عسقلان فخشي ان يتم عليها ما تم على عكا فخربها في شعبان سنة ٥٨٧ هـ » .

حرف العين – دار صادر ودار بيروت

بيت لحم

« بالفتح وسكون الحاء المهملة ، بليد قرب البيت المقدس عامر حفل ، فيه سوق وبازارات ، ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام ، قال مكي بن

عبد السلام الرميلي ، ثم المقدسي : رأيت بخط مشرف بن مرجا بيت لخم (بالخاء المعجمة) وسمعت جماعة من شيوخنا يروونه (بالحاء المهملة) وقد بلغني ان الجميع صحيح جائز ، قال البشاري :

بيت لحم ، قرية على نحو فرسخ من جهة جبرين ، بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وثم كانت النخلة وليس ترطب النخيل بهذه الناحية ولكن جعلت لها آية ، وبها كنيسة ليس في الكورة مثلها ، ولما ورد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه الى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم ، فقال له : معي منك أمان على بيت لحم ، فقال له عمر : ما اعلم ذلك ، فاظهره وعرفه عمر ، فقال له : الأمان صحيح ولكن لا بد في كل موضع للنصارى ان نجعل فيه مسجداً ، فقال الراهب : ان ببيت لحم حنية مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجداً للمسلمين ولا تهدم الكنيسة ، فعفا له عن الكنيسة وصلى الى تلك الحنية واتخذها مسجداً ، وجعل على النصارى إسراجها ، وعمارتها وتنظيفها ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون الى تلك الحنية ، ويصلون فيها ، وينقل خلفهم عن سلفهم انها حنية عمر بن الخطاب ، وهي معروفة الى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد ، ويقال ان فيها قبر داود وسليمان ، عليهما السلام » .

مادة (بيت) دار صادر ودار بيروت

بيت جبرين

« لغة في جبريل : بليد بين بيت المقدس وغزة ، وبينه وبين القدس مرحلتان ، وبين غزة أقل من ذلك وكانت فيه قلعـــة حصينة خربهـــا صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الافرنج ، وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون انه وادي النملة التي خاطبت سليمان بن داود عليه السلام » .

مادة بيت — دار صـادر ودار بيروت

جبرين

وفي جبرين يقول ياقوت :

« جبرين لغة في جبريل : بيت جبرين ذكر قبل ، وهو من فتوح عمرو بن العاص اتخذ به ضيعة يقال لها عجلان باسم مولى له ، وهو حصن بيت المقدس وعسقلان . ينسب اليه ابو الحسن محمد بن خلف بن عمر الجبريني ، يروي عن احمد بن الفضل الصائغ ، روى عنه ابو بكر محمد بن ابراهيم الاصبهاني ، وفي كتاب دمشق : احمد بن عبد الله بن حمدون بن نصر بن ابراهيم ابو الحسن الرملي المعروف بالجبريني ، قدم دمشق وحدث بها عن ابي هاشم محمد بن عبد الأعلى بن عليل الامام وابي الحسن محمد بن بكار بن يزيد السكسكي الدمشقي وابي الفضل العباس بن الفضل بن محمد بن الحسن بن قتيبة وابي محمد عبد الله بن أبان بن شداد ، وابي الحسن داود بن أحمد بن مصحح العسقلاني ، وابي بكر محمد بن محمد بن ادريس امام مسجد حلب . روى عنه عبد الوهاب بن جعفر الميداني وتمام بن محمد الرازي » .

حرف الجيم – دار صادر ودار بيروت

الارض المقدسة

في رحلة ابن بطوطة

ابن بطوطة

هو محمد بن ابراهيم الملقب بشمس الدين الطنجي نسبة الى بلده طنجة وهو من البربر ولد سنة ٧٠٤ ﻫ وتوفي سنة ٧٧٩ قام بعدة رحلات من البلدان الافريقية والآسيوية بالاضافة الى البلدان العربية وبلغ في تطوافه الهند والصين ، وحج مكة المكرمة وزار المدينة المنورة . والمشاهد المقدسة كالقدس والنجف الاشرف وسائر المراقد وسجلت رحلاته هذه واهمها الرحلة الاولى التي بدأها من مسقط رأسه طنجة والتي قام بها سنة ٧٢٥ ﻫ نقتطف منها بعض ما ورد عن القدس والارض المقدسة .

الارض المقدسة

غزة

بدأ ابن بطوطة رحلته من غزة فقال :

« ... ثم سرنا حتى وصلنا الى مدينة غزة وهي اول بلاد الشام مما يلي مصر ، متسعة الأقطار ، كثيرة العمارة ، حسنة الاسواق ، بها المساجد العديدة ، والاسوار عليها ، وكان بها مسجد جامع حسن ، والمسجد الذي تقام الان به الجمعة فيها بناه الأمير المعظم الجاولي ، وهو انيق البناء ، محكم الصنعة ، ومنبره من الرخام الابيض ، وقاضي غزة بدر الدين السلختي الحوراني ومدرّسها علم الدين بن سالم ، وبنو سالم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضي القدس » .

ص ٥٤ دار صادر ودار بيروت

الخليل

« .. ثم سافرت من غزة الى مدينة الخليل ، صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليماً ، وهي مدينة صغيرة الساحة ، كبيرة المقدار ، مشرقة الانوار ، حسنة المنظر ، عجيبة المخبر ، في بطن واد ، ومسجدها انيق الصنعة ، محكم العمل ، بديع الحسن ، سامي الارتفاع ، مبني بالصخر المنحوت ، في احد اركانه صخرة ، احد اقطارها سبعة وثلاثون شبراً ، ويقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه ، وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس ، فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب ، صلوات الله على نبيه وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور ازواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق ، يفضي الى ساحة مفروشة بالرخام ، فيها صور القبور الثلاثة ، ويقال انها محاذية لها ، وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود ، وقد نزلت بهذا الموضع مرات ، ومما ذكره اهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته عن كتاب

علي بن جعفر الرازي الذي سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحق ويعقوب) أسند فيه الى أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أسري بي إلى بيت المقدس مرّ بي جبريل على قبر ابراهيم فقال : انزل فصلّ ركعتين ، فان هنا قبر ابيك ابراهيم ، ثم مرّ بي على بيت لحم وقال : انزل فصلّ ركعتين فان هنا وُلد اخوك عيسى عليه السلام ، ثم أتي بي إلى الصخرة ، وذكر بقية الحديث ، ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الذين الجعبري احد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين ، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك ، فقال لي : كل من لقيته من اهل العلم يصرّحون ان هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام ، وقبور زوجاتهم ، ولا يطعن في ذلك الا اهل البدع ، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه .

ويذكر ان بعض الأئمة دخل الى هذا الغار ووقف عند قبر سارة ، فدخل شيخ فقال له : اي هذه القبور هو قبر ابراهيم ؟ فأشار له الى قبره المعروف ، ثم دخل شاب فسأله كذلك ، فاشار له اليه ، ثم دخل صبي فسأله أيضاً ، فاشار له اليه ، فقال الفقيه : اشهد ان هذا قبر ابراهيم عليه السلام ، لا شك ، ثم دخل المسجد فصلّى به ، وارتحل من الغد .

وبداخل هذا المسجد ايضاً قبر يوسف عليه السلام وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام ، وهي على تل مرتفع يشرف منه غور الشام ، وعلى قبره ابنية حسنة ، وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ، ولا ستور عليه .

وهنالك بحيرة لوط ، وهي أجاج ، يقال انها موضع ديار قوم لوط ، وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين ، وهو على تلّ مرتفع له نور واشراق ، ليس لسواه ، ولا يجاوره الا دار واحدة يسكنها قيّمه ، وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هيء فيه صورة محراب لايسع الا

مصلّياً واحداً . ويقال : ان ابراهيم سجد في ذلك الموضع شكراً لله تعالى عند هلاك قوم لوط . فتحرك موضع سجوده . وساخ في الارض قليلاً .

وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام ، وبأعلى القبر واسفله لوحان من الرخام في احدهما مكتوب منقوش بخط بديع : بسم الله الرحمن الرحيم . لله العزة والبقاء . وله ما ذرأ وبرأ . وعلى خلقه كتب الفناء . وفي رسول الله أسوة . هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين . رضي الله عنه . وفي اللوح الآخر منقوش : صنعه محمد بن ابي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الابيات :

أسكنتُ من كان في الاحشاءِ مَسكنُهُ بالرّغم مني بين الترب والحجرِ
يا قبرَ فاطمةٍ بنتِ ابنِ فاطمةٍ بنتِ الأئمةِ بنتِ الانجمِ الزُهرِ
يا قبرُ ما فيك من دينٍ ومن وَرَعٍ ومن عفافٍ ومن صَونٍ ومن خَفَرِ

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس . فزرت في طريقي اليه تربة يونس عليه السلام . وعليها بنية كبيرة ومسجد . وزرت ايضاً (بيت لحم) موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع النخلة . وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه اشد التعظيم . ويضيفون من نزل به »

ص ٥٥ — ٥٧ دار صادر ودار بيروت

بيت المقدس

« ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل . ومصعد رسول صلى الله عليه وسلم تسليماً ، ومعرجه الى السماء . والبلدة كبيرة منيفة بالصخر المنحوت . وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب . جزاه الله عن الاسلام خيراً ، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفاً من ان يقصدها الروم فيتمنعوا

بها ، ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم ، وجلب لها الماء في هذا العهد ، الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق » .

ص ٥٧ دار صادر ودار بيروت

المسجد المقدس .

« وهو من المساجد العجيبة الرائعة ، الفائقة الحسن يقال : انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر منه ، وان طوله من شرق الى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية ، وعرضه من القبلة ، الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً ، وله ابواب كثيرة في جهاته الثلاث ، واما الجهة القبلية منه فلا اعلم بها الا باباً واحداً ، وهو الذي يدخل منه الامام ، والمسجد كله فضاء وغير مسقف الا المسجد الاقصى ، فهو مسقف في النهاية من احكام العمل ، واتقان الصنعة ، مموّه بالذهب والاصبغة الرائقة ، وفي المسجد مواضع سواه مسقفة » .

ص ٥٧ — ٥٨ دار صادر ودار بيروت .

قبة الصخرة

« وهي من اعجب المباني واتقنها واغربها شكلاً ، قد توفر حظها من المحاسن ، واخذت من كل بديعة بطرف ، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يُصعد اليها في درج رخام ، ولها اربعة ابواب والدائر بها مفروش بالرخام ايضاً محكم الصنعة ، وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف ، واكثر ذلك مغشّى بالذهب ، فهي تتلألأ نوراً ، وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم عرج فيها الى السماء ، وهي صخرة صمّاء ارتفاعها نحو قامة ،

وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة ايضاً ، ينزل اليها على درج . وهنالك شكل محراب . وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها ، احدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب ، وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه » .

ص ٥٨ دار صادر ودار بيروت

بعض مشاهد القدس

« ... فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تل مرتفع هنالك بنيّة يقال انها مصعد عيسى عليه السلام ، بها ، وهنالك ايضاً كنيسة اخرى معظمة يحجها النصارى . وهي التي يكذبون عليها ، ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها ، وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة للمسلمين ، وضروب من الاهانة يتحملها على رغم أنفه ، وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به » .

ص ٥٩ دار صادر ودار بيروت

بعض فضلاء القدس

« ... فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزي ، وهو من اهل غزة وكبرائها ، ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ، ومنهم المحدث المفتي شهاب الدين الطبري ، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة ابو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس ، ومنهم الشيخ الزاهد ابو علي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين ، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغي ، ومنهم الشيخ الصالح العابد ابو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من اهل أرز الروم ، وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعي ، صحبتُه ولبستُ منه خرقة التصوف » .

ص ٥٩ دار صادر ودار بيروت

عسقلان

« ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب قد عاد رسوماً طامسة . وأطلالاً دارسة . وقلّ بلد جمع من المحاسن ما جمعته عسقلان إتقاناً وحسن وضع . واصالة مكان . وجمعاً بين مرافق البرّ والبحر . وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليه السلام قبل ان ينقل الى القاهرة ، وهو مسجد عظيم سامي العلو . فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيد . وكتب ذلك على بابه .

وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه . وفيه اساطين رخام لا مثيل لها في الحسن ، وهي ما بين قائم وحصيد ، ومن جملتها اسطوانة حمراء عجيبة يزعم الناس ان النصارى احتملوها الى بلادهم ثم فقدوها فوجدت في موضعها بعسقلان ،

وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر ابراهيم عليه السلام ، ينزل اليها في درج متسعة ، ويدخل منها الى بيوت ، وفي كل ناحية من جهاتها الاربع عين تخرج من اسراب مطوية بالحجارة ، وماؤها عذب ، وليس بالغزير . ويذكر الناس من فضائلها كثيراً .

وبظاهر عسقلان وادي النمل ، ويقال : انه المذكور في الكتاب العزيز . وبجبّانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرته أوقفنا عليهما قيّم المزار المذكور ، وله جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار » .

ص ٥٩ — ٦٠ دار صادر ودار بيروت.

الرملة

« ثم سافرت منها الى مدينة الرملة ، وهي فلسطين ، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، حسنة الاسواق ، وبها الجامع الابيض ، ويقال : ان في قبلته

ثلاثمائة من الانبياء مدفونين ، عليهم السلام ، وفيها من كبار الفقهاء مجد الدين النابلسي » .

ص ٦٠ – ٦١ دار صادر ودار بيروت

نابلس

« ثم خرجت منها الى مدينة نابلس ، وهي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار ، مطّردة الانهار ، من اكثر بلاد الشام زيتوناً ، ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق ، وبها تصنع حلواء الخرّوب ، وتجلب الى دمشق وغيرها .

وكيفية عملها : ان يطبخ الخرّوب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرّب فتصنع منه الحلواء ، ويجلب ذلك الرُبّ ايضاً الى مصر والشام ، وبها البطيخ المنسوب اليها ، وهو طيب عجيب ، والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن ، وفي وسطه بركة ماء عذب » .

ص ٦٠ دار صادر ودار بيروت

فهرست الاعـــلام

لقد راعينا في ترتيب الاعلام الاسم الوارد عن الشخص سواء كان هذا الاسم كنية ، او اسماً مجرداً عن الصفة ، او صفة خاصة وذلك خلافاً لما تباني عليه واضعو فهارس الاعلام الذين يعتمدون النسبة او الصفة دون غيرها في الترتيب فاقتضى التنبيه ؛

حرف الالف

حرف البـــاء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة







